



Islamic University of Gaza
Deanery of Higher Studies
Faculty of Osool Edin
The Quranic interpretation (Tafsir)

الجامعة الإسلامية غزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف

الحزب الأول من القرآن

سورة الفاتحة، وسورة البقرة الآيات: (1-74)

Analytical study for the goals and objectives of

The first Hizb of the Holly Quran

(Sura Al-Fatihah, and Sura Al-Baqarh verses: (1-74)

إعداد الباحث

محمد حسن عبد الله ظاهر

إشرافُ

الأستاذ الدكتور

جمال محمود الهوبي

قُدِّمَ هَذَا الْبَحْثُ إِسْتِكْمَالًا لِمَتَطَلِبَاتِ الْحُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ

فِي (التفسير وعلوم القرآن) بِكَلِيَّةِ (أصول الدين) فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِغَزَّةِ

يونيو/2017م - شوال/1837هـ

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف

الحزب الأول من القرآن

سورة الفاتحة، وسورة البقرة الآيات: (1-74)

Analytical study for the goals and objectives of

The first Hizb of the Holly Quran

(Sura Al-Fatihah, and Sura Al-Baqarh verses: (1-74)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	محمد حسن عبد الله ظاهر	اسم الطالب:
Signature:	محمد ظاهر	التوقيع:
Date:	8/7/2107	التاريخ:



هاتف داخلي 1150

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

الرقم: ج س غ/35
Date: 2017/07/08 م
التاريخ:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ محمد حسن عبدالله ظاهر لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد واهداف

الحزب الأول من القرآن (سورة الفاتحة، وسورة البقرة الآيات: 1-74)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 13 شوال 1438هـ، الموافق 2017/07/08م الساعة العاشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....	مشرفاً و رئيساً	أ.د. جمال محمود الهوبي
.....	مناقشاً داخلياً	د. وليد محمد العمودي
.....	مناقشاً خارجياً	د. ماجد رجب سكر

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه لخدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤف علي المناعمة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ

عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٨٢﴾

[النساء: 82]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: 29]

الملخص

الرسالة تحمل عنوان (الدراسة التحليلية لمقاصد واهداف الحزب الأول من القران) سورة الفاتحة، وسورة البقرة الآيات: 1-74)، تهدف دراستها لبيان أهمية الموضوع وإبارزه كدراسة قرآنية من جميع جوانبه. وقد سلك الباحث المنهج التحليلي الاستنباطي الموضوعي في التفسير، حيث تناول في كل مطلب ذكر الآية أو الآيات المراد تحليل هدفها ومقصدتها وتقسيمه لعدة عناوين موجزة ليسهل على القارئ فهمه والاستفادة منه علميا وعمليا، وقد اشتملت الرسالة على مقدمة، وفصل تمهيدي، وأربعة فصول، وخاتمة، ومجموعة من الفهارس على النحو الآتي.

المقدمة: وقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه ومنهجية البحث، والفهارس العامة.

الفصل التمهيدي: واشتمل على التعريفات بالدراسة التحليلية ومتطلباتها، والمقاصد والأهداف وأهميتها، وتعريف عام بسورة الفاتحة تعريف عام بسورة البقرة.

ثم تناول الباحث في الفصول الأربعة للرسالة الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفاتحة وسورة البقرة من المعاني اللغوية والبلاغة والمناسبة بين الآيات وأسباب النزول والمعنى الإجمالي للآية والأهداف والمقاصد للآية.

وفي نهاية الرسالة ذكر الباحث أهم التوصيات والنتائج، إضافة لإدراج مجموعة فهارس لتسهيل الوصول الى المعلومة بأقل جهد.

ABSTRACT

The thesis is entitled "An analytical Study of the Purposes and Objectives of the First Hizb of Qur'an" (Surat Al-Faatihah, and Verses 1-74 in Surat Al-Baqarah). The study aims to demonstrate the importance of the subject and present a Quranic study that covers all the required aspects. The researcher used the analytical, deductive, and subjective methods in the interpretation, where he addressed in each topic the the investigated verse or verses in terms of their purpose(s) and aim(s), and divided them into several short topics to make it easy for the reader to understand and benefit from the analysis scientifically and practically. The thesis contains an introduction, the introductory chapter, four chapters, conclusion, and a set of indexes as follows:

The introduction, which includes the importance of the subject, the reasons behind its selection, its objectives, its methodology, and the general indexes.

The introductory chapter, which includes a definition of the analytical study and its requirements, the aims and the objectives and their importance, and a general introduction of Surat Al-Fatihah, and Surat Al-Baqarah.

Then the researcher discussed in the four chapters of the thesis the analytical study of the purposes and objectives of Surat Al-Fatihah and the first part of Surat Al-Baqarah. The study included the linguistic and eloquent meanings, the relationship between the verses and the causes of revelation, the overall meaning of the verse, and the objectives and purposes of the verse.

At the end of the thesis, the researcher mentioned the main recommendations and results, in addition to the inclusion of a set of indexes to facilitate the access to the information with the least effort.

الإهداء

إلى المعلم الأول القائد المجاهد الذي علم البشرية كلها وأرسله ربه هدى ورحمة وبشرى للعالمين محمد ﷺ
وعلى آله وصحبه اجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.
إلى روح أمي وأبي نبع الحب الحنان والتضحية والكرم.
إلى روح الاستشهادي البطل ابني العزيز عبد الرحمن ظاهر.
إلى روح الشهيد البطل ابن أخي أشرف مجدي ظاهر.
إلى زوجتي الغالية التي ضحت بكل ما تملك من أجلى وأمها الكريمة.
إلى أبنائي الأعزاء حسن وعبد الله ولينا وأسامة وأحمد ودينا وأشرف.
إلى أخواني وأخواتي وأبنائهم وبناتهم وأبناء عمي وعشيرتي الكرام.
إلى أخي وشيخي الدكتور عماد الدين الشنطي عميد كلية أصول الدين الذي شجعني ووقف بجانبني.
إلى أرواح الشهداء الذين ضحوا من أجل هذا الدين العظيم ابتداء من الصحابة الكرام إلى يومنا هذا.
إلى شهداء الحركة الإسلامية في فلسطين الذين ضحوا من أجل تحرير هذه الأرض المباركة.
إلى إخواني الأسرى الذين ضحوا بأعمارهم من أجل هذا الوطن.
إلى أساتذتي الكرام في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية.
أهدي هذه الرسالة المتواضعة، سائلا الله تعالى أن يجعلها في ميزان حسناتي.

شكر وتقدير

الحمد لله حمد الشاكرين الذاكرين القائل في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^{١٣} وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿١٤﴾ [ابراهيم: ٧]، والقائل ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣]، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد على آله وصحبه أجمعين القائل (من لا يشكر الله لا يشكر الناس)^(١) وعرفاناً بجهد أهل الفضل والعلم فإنني أتوجه بأسمى معاني الشكر والتقدير إلى استاذي ومعلمي ومشرفي فضيلة الأستاذ الدكتور/ جمال محمود الهوبي حفظه الله ورعاه على تفضله بالإشراف على هذه الرسالة فأولاًها عناية وأثرها بعلمه وقومها بتسديده ورأيه حتى استوت على سوقها فوجدت منه خلقاً وعلماً وتواضعاً، فكان خير ناصح وخير معلم وموجه فقد غمرني بعلمه وبيانه فجزاه الله خير ما جازى أستاذاً وشيخاً عن تلاميذه.

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى استاذي الكريمين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة الدكتور الفاضل/ وليد العمودي مناقشاً داخلياً والدكتور الفاضل/ ماجد سكر مناقشاً خارجياً على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة لتحظى بملاحظتهما النافعة وسديد آراءهما وتقويماؤها المفيدة لها، فبارك الله لهما على جهودهما، وكما أخص بالشكر والتقدير جامعتي الإسلامية العريقة، وكلية أصول الدين، والى كل اساتذتي الميامين في قسم التفسير وعلوم القرآن على عطائهم وجميل نصحتهم أثناء الراسة، وكما أخص أخي وصديقي وشيخي الدكتور عماد الدين الشنطي عميد كلية أصول الدين الذي وقف بجانبني وشجعني فأسأل الله ان يجزيه عني خير الجزاء في الدنيا و الآخرة وأتقدم بالشكر لكل من ساهم وساعد في انجاح هذه الرسالة بنص وتوجيه وارشاد أو دل على ما ينفع ويثري أو دعا بظهر الغيب فبارك الله فيهم جميعاً.

(١) [أحمد بن حنبل، مسند الامام أحمد بن حنبل/ مسند ابي هريرة ؓ، 322/13: رقم الحديث 7938]، إسناده صحيح على شرط مسلم

فهرس المحتويات

أ.....	الاقتباس
ب.....	الملخص
ت.....	ABSTRACT
ث.....	الإهداء
ج.....	شكر وتقدير
ح.....	فهرس المحتويات
1.....	المقدمة
2.....	أولاً: أسباب اختيار موضوع البحث:
2.....	ثانياً: أهمية موضوع البحث:
3.....	ثالثاً: أهداف البحث:
3.....	رابعاً: الدراسات السابقة:
3.....	خامساً: منهجية الباحث
4.....	سادساً: خطة البحث:
10.....	الفصل التمهيدي
10.....	التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف
10.....	المبحث الأول
10.....	التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف
10.....	المطلب الأول: تعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها
14.....	المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها
25.....	المبحث الثاني
25.....	تعريف عام بسورتي الفاتحة والبقرة
25.....	المطلب الأول: تعريف عام بسورة الفاتحة
36.....	المطلب الثاني: التعريف العام بسورة البقرة
45.....	الفصل الأول

45	الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفاتحة وسورة البقرة من الآية (1-25)
45	المبحث الأول
45	المقاصد والأهداف لسورة الفاتحة من الآية (1-5)
45	المطلب الأول: حمد الله ورحمته
55	المطلب الثاني: الله هو المالك ليوم الدين
59	المطلب الثالث: إخلاص العبادة لله وعدم الاستعانة بغيره
65	المبحث الثاني
65	المقاصد والأهداف لسورة الفاتحة من الآية (6-7)
65	المطلب الأول: الدعاء بالهداية إلى الإسلام
70	المطلب الثاني: الهداية طريقها واحد والضلال طرقه متعددة
77	المبحث الثالث
77	المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (1-5)
77	المطلب الأول: القرآن كتاب حق وهداية
82	المطلب الثاني: المتقون متصفون بالإيمان والعمل الصالح
87	المطلب الثالث: المؤمنون شهد الله بهدايتهم وفلاحهم
92	المبحث الرابع
92	المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (6-7)
92	المطلب الأول: جحود الكافرين وعدم هدايتهم
95	المطلب الثاني: عقاب الكافرين الجاحدين
100	المبحث الخامس
100	المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (8-20)
100	المطلب الأول: تعريف المنافقين وخداعهم
105	المطلب الثاني: الإفساد والسفاهة من شيم المنافقين
108	المطلب الثالث: حيرة المنافقين وترددهم بين الإيمان والكفر
112	المطلب الرابع: ضرب الأمثلة لحال المنافقين
118	المبحث السادس
118	المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (21-25)

118.....	المطلب الأول: دعوة الناس إلى عبادة رب العالمين ونبذ الشرك.
121.....	المطلب الثاني: إعجاز القرآن الكريم وإكرام النبي ﷺ والنار للكفار.
124.....	المطلب الثالث: ثواب الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح.
127.....	الفصل الثاني
127.....	الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف وسورة البقرة من الآية (26-43).
127.....	المبحث الأول
127.....	المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (26-29).
127.....	المطلب الأول: الحكمة من ضرب المثل وموقف المؤمنين والكافرين منه.
132.....	المطلب الثاني: نقض العهد وقطع ما أمر الله به من صفات الفاسقين.
137.....	المطلب الثالث: مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق.
144.....	المبحث الثاني.....
144.....	المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (30-39).
144.....	المطلب الأول: الحكمة من خلق الإنسان وتكريمه وجوب تعيين خليفة.
148.....	المطلب الثالث: علم الله تعالى المطلق.....
151.....	المطلب الرابع: الحث على العلم وفضله.....
156.....	المطلب الخامس: الإباء والاستكبار أساس الكفر.....
160.....	المطلب السادس: التحذير من عداوة الشيطان وإغوائه.....
168.....	المبحث الثالث
168.....	المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (40-43).
168.....	المطلب الأول: دعوة اليهود إلى تذكر نعمة الله عليهم والوفاء بعهده والإيمان
173.....	المطلب الثاني: تحذير اليهود من إلباس الحق بالباطل وكتمانه.....
176.....	المطلب الثالث: دعوة اليهود إلى الصلاة والزكاة:
179.....	الفصل الثالث
179.....	الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة البقرة من الآية (44-59).
179.....	المبحث الأول
179.....	المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (44-48).
179.....	المطلب الأول: ذم التناقض بين القول والعمل.....
184.....	المطلب الثاني: صفات الخاشعين.....

192.....	المطلب الثالث: التذكير بنعمة الله على بني إسرائيل وتخويفهم من يوم القيامة.
197.....	المطلب الأول: نهاية الظالم حتمية ونصر المظلوم محتوم.
203.....	المطلب الثاني: نعم الله على بني إسرائيل.
210.....	المطلب الرابع: المبادرة إلى التوبة سبيل التخلص من المعصية.
214.....	المطلب الخامس: تبديل أوامر الله تعالى والاستهزاء بها سبب في الهلاك.
225.....	الفصل الرابع.
225.....	الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة البقرة من الآية (60-74).
225.....	المبحث الأول.
225.....	المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (60-61).
225.....	المطلب الأول: تقرير سنة الاستسقاء.
231.....	المطلب الثاني: كفران اليهود للنعمة سبب زوالها وذلتهم والغضب عليهم.
238.....	المبحث الثاني.
238.....	المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (62-66).
238.....	المطلب الأول: الإيمان والعمل الصالح سبب الفوز والصلاح.
243.....	المطلب الثاني: التمسك بشرع الله طريق التحصيل على التقوى.
247.....	المطلب الثالث: أخذ العبرة والعظة مما حدث للسابقين.
254.....	المبحث الثالث.
254.....	المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (67-74).
254.....	المطلب الأول: ذم التشدد في الدين والإلحاح في السؤال.
261.....	المطلب الثاني: الإنكار الشديد على قتل النفس البريئة.
265.....	المطلب الثالث: ذم أصحاب القلوب القاسية.
271	الخاتمة.
271	أولاً: أهم النتائج:
273	ثانياً: التوصيات:
273.....	المصادر والمراجع.
283	الفهارس العامة.
284.....	فهرس الآيات.

310.....	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.....
315.....	فهرس الأعلام.....

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقدمة

الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، جدد الله به رسالة السماء، وأحيا ببعثته سنة الأنبياء، ونشر بدعوته آيات الهداية، وأتم به مكارم الأخلاق، وعلى آله وأصحابه الذين فقههم الله في دينه، فدعوا إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فهدى الله بهم العباد، وفتح على أيديهم البلاد، وجعلهم أمة يهدون بالحق تحقيقا لسابق وعده قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور 55]:

فشكروا ربهم على ما هداهم إليه من هداية خلقه والشفقة على عباده، وجعلوا شكرهم بذل النفس والنفيس في الدعوة إلى الله تعالى، أما بعد.

فإن الله تعالى قد وصف هذه الأمة بالخيرية على سائر الأمم والشعوب والجماعات، يقول ﷺ: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110]، ولن تحوز الأمة هذه الخيرية إلا بالقيام بأشرف المهمات وأنبها وهي الدعوة إلى الله تعالى القائمة في أساسها على كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ.

لذلك فقد أنزل الله تعالى كتابه الخالد معجزة النبي ﷺ إلى يوم القيامة أنزله عليه هداية للبشر إخراجاً لهم من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإسلام والهداية، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وخالقهم، وقد حث الله عباده المؤمنين على تدبر القرآن، وفهم آياته ومعانيه، وتفسيره، وتعلم علومه، والخوض في أعماقه للكشف عن آلائه المكنونة فيه، يقول رب العزة: ﴿ فَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: 24]

ولاشك أن علم التفسير بل وكافة علوم القرآن الكريم من خير العلوم على الإطلاق، لأنها تتعلق بكلام الله تعالى ألا وهو القرآن الكريم، وتكمن أهمية هذا العلم في أنه يتفق مع المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، ويحقق هذه المقاصد القرآنية في حياة المسلمين، ومما لاشك فيه أيضا أنه لا توجد في القرآن آية بدون معنى أو فائدة أو حكمة أو تشريع، فهو كلام الله تعالى المعجز، فكل آية في كتاب الله تعالى تحتوي على كثير من المقاصد والأهداف التي تمثل منهج حياة للمسلمين في مجالاتها الدعوية، والحركية، والإصلاحية، تشخص مشاكلهم وهمومهم، وتقدم

العلاج الشافي لتلك المشاكل والهموم بما يتفق مع هذه المقاصد والأهداف القرآنية، فمن المتفق عليه أن مسلمي هذا العصر يعانون من مشكلات خطيرة عديدة، ومن المتفق عليه أيضاً أن حل هذه المشكلات يكمن في القرآن الكريم.

لذلك كانت رسالتي: "الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الأول من القرآن الكريم" (سورة الفاتحة، وسورة البقرة: 1-74).

أولاً: أسباب اختيار موضوع البحث:

1. اخترت هذا الموضوع، لأنه بداية موسوعة أقرأها قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية.
2. استنباط مقاصد وأهداف آيات الدراسة في كون القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للبشرية جميعاً. ورغبة مني في التدبر والتفكير والتأمل في القرآن الكريم تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: 24]
3. إبراز ما تناولته سورة الفاتحة والحزب الأول من سورة البقرة من موضوعات متنوعة ومختلفة في التربية الإيمانية والتوجيهات التشريعية، وتصحيح المفهوم الإسلامي عند الأمة، وذلك من خلال ربطها بواقعنا المعاصر.
4. تحقيقاً للدراسة التحليلية لآيات القرآن الكريم، فنزد بذلك خبرة وعمقاً في التعامل بهذا المنهج.

ثانياً: أهمية موضوع البحث:

- 1- يعد علم التفسير من أشرف العلوم وأعظمها، لأنه يتعلق بأشرف الكتب وأعظمها ألا وهو القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد - ﷺ - وجعله معجزته الخالدة إلى يوم القيامة.
- 2- وتكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يقدم الحلول المناسبة للمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم، وذلك عن طريق بيان وإبراز الأهداف والمقاصد التي تحتويها الآيات القرآنية.
- 3- إن التعرف على مقاصد وأهداف الآيات والسور هو المنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله مؤثلاً منتظماً، وقد بلغ الكمال في لفظه ونظمه ومعناه، وتكون معه السورة كالبناء المرصوص من وحدة بنائها وترابطها.
- 4- إن بيان مقاصد وأهداف الآيات يبعث على رسوخ الإيمان في النفس، والعناية بالقرآن، والإقبال عليه، والتحاكم إليه.
- 5- إن الدراسة التحليلية تصقل الإنسان المسلم، وتبني قدراته في فهم آيات الله تعالى فهماً دقيقاً تؤهله للتأصيل والاستنباط.

ثالثاً: أهداف البحث:

- 1- إظهار الموضوعات الأساسية لسورة الفاتحة والبقرة وشخصيتهما الرئيسة، بما يظهر المقاصد العامة والأهداف الحقيقية التي تريد الدراسة إرسائها في المجتمع الإسلامي
- 2- بيان الجانب الإعجازي في القرآن الكريم، وذلك من خلال الدراسة التحليلية والوحدة الموضوعية لآيات الدراسة.
- 3- إثراء المكتبات الإسلامية بموسوعة بحثية تتناول دراسة تحليلية شاملة للمقاصد والأهداف المستنبطة من آيات الدراسة.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية، والبحث عبر شبكة الإنترنت، وقواعد بيانات الجامعات الداخلية والخارجية وبعد سؤال الإخوة المختصين، لم أعثر على أية رسالة علمية سواء كانت رسالة ماجستير أو دكتوراه قد تناولت هذا الموضوع.

كما أنني سأكون أول المبتدئين بالكتابة في السلسلة التي أقرأها قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة والمختلفة لآيات القرآن الكريم، ولذا كان نصيبي في هذه الدراسة الحزب الأول من سورة البقرة.

خامساً: منهجية الباحث

- 1- استخدم الباحث المنهج الاستنباطي في التفسير، وذلك بوضع مقدمة لسورتي الفاتحة والبقرة يبين من خلالها أسماء السورة، وفضلها، ومكان نزولها وزمانه، ومحورها الرئيسي، كما عمل على تقسيم آيات سورة الفاتحة والحزب الأول إلي مباحث مختلفة في أربعة فصول، جاعلاً لكل مبحث آياته المناسبة له حسب موضوع آيات المبحث نفسه، وقام بتحديد واكتشاف ما تحتويه آيات كل مبحث من مقاصد واهداف، وتحليلها، و استشهد لهذه الأهداف والمقاصد بالمنهج التحليلي بما فيه من أدوات متعددة تخدم هذا المنهج من : علوم القرآن، وعلم اللغة، وإعجاز القرآن والسنة المطهرة وغيرها، كما قام بربط هذه المقاصد والأهداف بواقع الأمة وحالها، بما يسهم في حل مشاكلها التي تعاني منها .
- 2- عزو الآيات القرآنية المستشهد بها إلى سورها، بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذلك كله في متن الدراسة وليس في حواشي الصفحات، وذلك بهدف التخفيف عن الحواشي

3- تخريج الأحاديث المستشهد بها في البحث وعزوها الي مصادرها الاصلية، وذلك حسب ضوابط وأصول التخريج ونقل أقوال العلماء على الحكم على الحديث، عدا أحاديث الصحيحين

- 4- بيان معاني المفردات الغريبة الواردة في البحث، وذلك في حواشي الصفحات.
- 5- عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها بما يحقق الأمانة العلمية، مع توثيقها حسب الأصول، أما إذا كنت قد استخلصت المعنى العام من الأقوال، فإنني أكتفي في الحاشية بقول: (انظر) ثم أذكر المراجع التي استعدت منها.
- 6- الترجمة للشخصيات والأعلام المغمورة الواردة في البحث.
- 7- اکتفي في التوثيق بذكر اسم المؤلف ثم الكتاب، ورقم الجزء والصفحة، وأترك مواصفات المرجع لقائمة المراجع، وذلك تخفيفاً عن الحاشية.
- 8- عند إحالة القارئ إلى فكرة أو جزئية أو حديث قد سبق ذكره في البحث أقول: سبق الإشارة إليه وأذكر رقم الصفحة.
- 9- عمل الفهارس اللازمة للوصول إلى المعلومة بأقرب طريق وأسهله.

سادساً: خطة البحث:

تحقيقاً لأهداف البحث سابقة الذكر، وضعت هذه الخطة والتي تتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ومجموعة فهارس، وبيان ذلك فيما يأتي:

المقدمة: وتشمل العناصر الآتية:

أولاً: أسباب اختيار موضوع البحث

ثانياً: أهمية موضوع البحث

ثالثاً: أهداف البحث

رابعاً: منهجية الباحث في بحثه

خامساً: الدراسات السابقة للبحث

الفصل التمهيدي

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها.

ويشتمل على:

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية

المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها ويشتمل على:

أولاً: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.

ثانياً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

ثالثاً: طرق معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

رابعاً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات.

المبحث الثاني: تعريف عام بسورتي الفاتحة والبقرة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الفاتحة

ويشتمل على:

أولاً: أسماء السورة.

ثانياً: عدد آياتها وزمان ومكان نزولها.

ثالثاً: فضائل السورة وجو نزولها.

رابعاً: محور السورة وخطوطها الرئيسية.

المطلب الثاني: التعريف العام بسورة البقرة.

ويشتمل على:

أولاً: أسماء السورة وعدد آياتها.

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة.

ثالثاً: فضائل السورة وجو نزولها.

رابعاً: محور السورة وخطوطها الرئيسية.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفاتحة وسورة البقرة من الآية (1-25)

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الفاتحة من الآية (1-5)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حمد الله والثناء عليه

المطلب الثاني: الله هو المالك ليوم الدين

المطلب الثالث: إخلاص العبادة لله والاستعانة به

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الفاتحة من الآية (6-7)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الدعاء بالهداية إلى الإسلام

المطلب الثاني: طريق الهداية واحد

المطلب الثالث: تعدد طرق الضلال

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (1-5)

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: القرآن كتاب حق وهداية

المطلب الثاني: المؤمنون يتصفون بالعقيدة الصحيحة وأداء العبادات

المطلب الثالث: المؤمنون شهد الله بهدايتهم وفلاحهم

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (6-7)

وفيه مطلبان

المطلب الأول: جحود الكافرين وعدم هدايتهم

المطلب الثاني: العذاب الأليم للكافرين

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (8-20)

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: تعريف المنافقين وخداعهم

المطلب الثاني: الإفساد في الأرض من شيم المنافقين

المطلب الثالث: حيرة المنافقين وترددهم بين الإيمان والكفر

المطلب الرابع: ضرب الأمثلة لحال المنافقين

المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (21-25)

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: دعوة الناس إلى عبادة رب العالمين ونبذ الشرك

المطلب الثاني: تحدي الجاحدين الإتيان بمثل القرآن وإثبات عجزهم

المطلب الثالث: عاقبة الجاحدين والمؤمنين بالقرآن

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة البقرة من الآية (26-43)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (26-29).

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحكمة من ضرب المثل وموقف المؤمنين والكافرين منه.

المطلب الثاني: نقض العهد وقطع ما أمر الله به من صفات الفاسقين.

المطلب الثالث: مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (30-39)

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الحكمة من خلق الإنسان وتكريمه.

المطلب الثاني: وجوب تعيين خليفة.

المطلب الثالث: علم الله تعالى المطلق.

المطلب الرابع: الحث على العلم وفضله.

المطلب الخامس: التحذير من عداوة الشيطان وإغوائه.

المطلب السادس: الإباء والاستكبار أساس الكفر.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (40-43)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دعوة اليهود إلى تذكر نعمة الله عليهم والوفاء بعهدته والإيمان بكتابه.

المطلب الثاني: تحذير اليهود من إلباس الحق وكتمانه.

المطلب الثالث: دعوة اليهود إلى إداء العبادات.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة البقرة من الآية (44-59).

ويشتمل على مبحثين.

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (44-48)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ذم التناقض بين القول والعمل.

المطلب الثاني: صفات الخاشعين.

المطلب الثالث: التذكير بنعمة الله على بني إسرائيل وتخويفهم من يوم القيامة.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (49-59)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نهاية الظالم حتمية ونصر المظلوم محتوم.

المطلب الثاني: نعم الله على بني إسرائيل.

المطلب الثالث: الصبر مفتاح الفرج.

المطلب الرابع: المبادرة إلى التوبة سبيل التخلص من المعصية.

المطلب الخامس: تبديل أوامر الله تعالى والاستهزاء بها سبب في الهلاك.

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة البقرة من الآية (60-74)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (60-61)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تقرير سنة الاستسقاء.

المطلب الثاني: عدم الشكر على النعمة دليل الزوال.

المطلب الثالث: أسباب ذلة اليهود والغضب عليهم.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (62-66)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان المقترن بالعمل الصالح سبب الفوز والصلاح.

المطلب الثاني: أخذ العبرة والعظة مما حدث للسابقين.

المطلب الثالث: التمسك بشرع الله طريق التحصيل على التقوى.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (67-74)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ذم التشدد في الدين والإلحاح في السؤال.

المطلب الثاني: الإنكار الشديد على قتل النفس البريئة.

المطلب الثالث: ذم أصحاب القلوب القاسية.

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

ثم الفهارس العامة:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

الفصل التمهيدي

التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

الفصل التمهيدي

التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

المبحث الأول

التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

المطلب الأول: تعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية

القرآن الكريم أشرف كتاب، وأشرف كلام في هذه الدنيا، لذا عكف العلماء على خدمته ببيان علومه، وتفسيره، وكل ما يتعلق بكتاب الله ﷻ يعد من أجل العلوم، وأشرفها، وأعلاها منزلة، وأسمها مكانة، ولذلك انكب العلماء والمفسرين على دراسة القرآن الكريم، وتتنوع طرائقهم في عرض علومه، وذلك منذ زمن النبي ﷺ إلى زماننا هذا، وقد تنوعت مشاريعهم في إيضاح خفاياه، وكشف كنوزه. ومن هذه المشاريع التي تخدم القرآن الكريم استخدام اسلوب الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم.

لذلك سنتعرف بداية على الدراسة التحليلية في اللغة والاصطلاح وذلك فيما يأتي:

يتألف مصطلح الدراسة التحليلية من كلمتين مركبتين تركيبياً وصفيّاً هما (الدراسة) و(التحليلية)، لكي يتسنى لنا الوقوف على المعنى اللغوي لهذا المركب لا بد من معرفة المعنى اللغوي لكل كلمة على حدة.

أولاً: المقصود بالدراسة لغة:

هي مصدر الفعل (درس) الدال والراء والسين أصل واحد يدل على خفض وعناء وخفاء (1). وأصل الدراسة الرياضة والتعهد للشيء درس الكتاب أي كرر دراسته لحفظه وفهمه ودرس العلم على فلان أن تلقاه عنه وتعلمد على يديه، ودرسته الرياح عفته ومحته (2).
الدراسة اصطلاحاً: هي معاهدة القرآن الكريم على الحفظ والمداومة وبيان معانيه للوصول إلى الغاية من المدارس القرآنية وهي استخراج واستخلاص النهج القرآني الذي يجب العمل على تحقيقه في

(1) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (ج2/267)

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج6/79)، مرتضى الزبيدي، تاج العروس (ج16/94)، الفراهيدي، العين

(ج7/27)، الفارابي، الصحاح تاج اللغة (ج3/927)، الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ج1/544)

مجالات الحياة كافة عملاً بقول الرسول ﷺ: "تعاهدوا هذا القرآن والذي نفسي بيده لهو أشد ثقلًا من أحدكم من الأبل في عقله" (1).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: 79]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: 105].

ومنه حث الرسول ﷺ عليه في الحديث عن الأعرابي مسلم، أنه قال: "أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا علي النبي ﷺ أنه قال: لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده" (2).
يقال: تدارسوا القرآن أي: إقراؤه وتعهده وتدبروه لتلا تنسوه، يقال: درس يدرس درساً ودراسة، وأصل الدراسة: الرياضة والتعهد للشيء (3).

ثانياً: تعريف التحليلية:

مصدر من الفعل (حل) نقول حللت العقدة أحلها حلا إذا فتحتها وفيه قال تعالى: ﴿ وَأَحْلَلْ عُقَدَةَ مِنَ لِسَانِي ﴾ [طه: 27].

يقال حل العقد أي فتحها ونقضها فانحلت (4).

وحل: أمعن في الأمر بحثاً وتدقيقاً (5).

بحث تحليلي: يتخذ التحليل أساساً، وتحليل الجملة: بيان أجزائها ووظيفة كل منها (6).
ودراسة تحليلية: كل دراسة تتخذ التحليل أساساً لها (7).

(1) [مسند أحمد، مسند الكوفيين/ حديث أبو موسى الأشعري، 195/6: رقم الحديث 316/32 قال شعيب الأرنؤوط وإسناده صحيح على شرط الشيخين]، وقال: الألباني صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني (ج1/568).
(2) [مسلم، صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ فضل اجتماع على تلاوة القرآن والذكر، 4/ 2074: رقم الحديث 9966].

(3) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج2/113).

(4) ينظر: أحمد مختار بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1/550).

(5) رينهارت بيتر أن دوزي، تكملة المعاجم العربية (ج3/262).

(6) أحمد مختار بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصر، (ج1/550).

(7) المرجع السابق، نفس الصفحة.

تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحاً:

يمكن تعريف الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف النص القرآني: تفكيك الكلام على آية لفظة لفظه، والكلام على ما فيها من معان وإعراب وأحكام وغيرها ثم الانتقال إلى ما بعدها (1). ويرى الباحث أن الدراسة التحليلية هي: جهد يقوم به الباحث عند تفكيكه آية قرآنية أجزاء وتحليل ما أصعب أو أشكل فهمه منها، وذلك بهدف الكشف عن أسرار النص القرآني ومعرفة المراد منه، مستعيناً بعلوم القرآن وعلوم اللغة والحديث وغيرها.

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية:

البحث العلمي النزيه أساس المعرفة الحقة التي تعود على طلابها بالنفع، وثمرته من أشهى الأكل لغذاء الفكر وتنمية العقل، ولذلك فإن تهيؤ أسبابه لأي باحث أمر له اعتباره في نضج ثماره ودنو قطوفه والبحث في العلوم الشرعية عامة وفي التفسير خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه، حتى يصفو مشربه ويحفظ روعة الوحي (2). لذلك يتعين على من يتصدى للتفسير أن تتوفر فيه متطلبات الدراسة التحليلية للتفسير، التي تساعده، على القيام بهذه المهمة حتى يقبل تفسيره، وسأتحدث عن متطلبات الدراسة التحليلية من جانبين هما الجانب الشخصي النفسي والجانب المعرفي.

أولاً: الجانب الشخصي النفسي

- 1- **صحة العقيدة:** إن العقيدة الصحيحة لها أثرها في نفس صاحبها، وكثيراً ما تحمل العقيدة المنحرفة ذوبها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار، فإذا صنف أحدهم كتاباً في التفسير أول الآيات التي تخالف عقيدته وحملها باطل مذهبه ليصد الناس عن إتباع السلف ولزوم طريق الهدى (3).
- 2- **التجرد من الهوى:** فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرته مذهبهم، فيغرون الناس بلين الكلام ولحن البيان كدأب طرائق القدرية والرافضة والمعتزلة ونحوهم وغلاه المناهج (4).
- 3- **الإخلاص:** قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: 5]، فالعمل لا يقبل حتى يكون خالصاً لله.
- 4- **التحلي بالأخلاق والآداب الحميدة:** ينبغي على المفسر أن يكون أحسن الناس أخلاقاً ويكون صادقاً لا يكذب أميناً في نقله لا يغش، وفيماً لا يخون إلى غير ذلك من الصفات.

(1) رابط الموقع: أرشيف ملقى التفسير (5808).

(2) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ص340).

(3) مناع القطان، المرجع السابق نفس الصفحة.

(4) مناع القطان، المرجع السابق (ص:320).

- 5- تحري الصدق الضبط في النقل فينبغي أن يكون قول المفسر مطابقاً للحقيقة والواقع فيدع الرواية الكاذبة حتى يوثق بتفسيره وتقبل روايته، فلا يكتب إلا عن تثبت.
- 6- أن يكون صاحب قدرات عقلية، وصاحب موهبة، يتمتع بقوة الفهم وسعة الإدراك وحسن الاستدلال والاستنباط مع القدرة على التوجيه والترجيح إلى غير ذلك.

ثانياً: الجانب العلمي والمعرفي:

ويتمثل الجانب المعرفي للمفسر فيما يأتي:

- 1- العلم بلغة العربية الفصحى وقواعدها: القرآن نزل بلغة العرب لذلك يستحيل على من لا يعرف اللغة العربية أن يتدبر ويفسر القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]، قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب (1).
- وقال أبو حيان: "أعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مرتقياً منه إلى رتبة الإحسان" (2).
- وعلوم اللغة تشمل (النحو، والصرف، والاشتقاق، والمفردات، والمعاني، والبيان، والبديع).
- 2- العلم بعلم القرآن: والتي تشمل (علم القراءات، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمكي والمدني، والقصص القرآني، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن الكريم، فهذه العلوم لا يمكن للمفسر الاستغناء عنها أثناء تفسير القرآن الكريم
- 3- العلم بالفقه: حتى يفسر آيات الأحكام تفسيراً صحيحاً لا يحدد عن جادة الحق والعدل.
- 4- معرفة تاريخ العرب قبل الإسلام: فقد نزل القرآن الكريم في جو مجتمع الجزيرة العربية ولهذا المجتمع خصوصياته التاريخية، والاجتماعية، والجغرافية، كما له مميزاته وخصائصه التربوية، والثقافية، والدينية حيث كان مجتمعاً متعدد الأديان والثقافات (3).
- 5- أن يفسر القرآن بالقرآن: فما أجمل منه في مكان، فقد فُسر في موضع آخر وما اختصره في مكان فقد بُسط في موقع آخر (4).
- 7- أن يُطلب التفسير من السنة فهي شارحة للقرآن، ومبينة له قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَادَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا﴾ [النساء: 105].

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج1/292).

(2) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (ج1/17).

(3) مركز نون للتأليف والترجمة، دراسات في مناهج التفسير (ص 48).

(4) ينظر: مناع القطان، الاتقان في علوم القرآن (4/200).

8- أقوال الصحابة ﷺ فهم أدرى بكتاب الله ﷻ وأعلم بمعانيه، وهم أظهر أجيال الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلهم تكلفاً (1).

9- أقوال التابعين: فمن التابعين من تلقى التفسير عن الصحابة ﷺ فيأخذ بتفسيرهم إذا أجمعوا على رأي، أما إذا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم على بعض حجة ولا على من بعدهم (2).

10- أن يكون صاحب ثقافة واسعة في مختلف جوانب الثقافة كالعلوم العقلية والكونية والاجتماعية والنفسية، والاقتصادية والسياسية والفكرية ويفسر الآيات تفسيراً علمياً عصرياً يتناسب مع مقتضيات العصر مع ربط هذه الآيات مع واقع الأمة.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها

أولاً: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات:

تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً:

أ- التعريف اللغوي:

المقاصد جمع مقصد، وأصلها يرجع إلى الفعل الثلاثي (ق ص د) وقصدت الشيء أي طلبته بعينه، وإليه قصدي، واسم المكان بكسرهما نحو مقصد معين (3).

وقد وردت كلمة القصد في لغة العرب بمعان متعددة منها ما يأتي:

1- **إستقامة الطريق:** قصد يقصد قصداً فهو قاصد، ومنه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩﴾ [النحل: 9].

أي على الله تبين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، وطريق قاصد: سهل مستقيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾ ﴿٤٢﴾ [التوبة: 42]

2- **التوسط والاعتدال:** قصد يقصد قصداً فهو قاصد، والقصد في المعيشة ألا يسرف ولا يقتر (4).

ومنه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْصِضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ﴿١٩﴾ [لقمان: 19].

3- **الإعتماد والأتم وطلب الشيء وإتيانه وقصدك أي اتجاهك، والقصد ايتان الشيء:** تقول قصد له وقصدت إليه (5).

(1) السبجاني، المناهج التفسيرية (ص34).

(2) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (ج1/197).

(3) ينظر: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج2/504).

(4) الهروي، تهذيب اللغة (ج8/274).

(5) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج3/355).

4-الكسر في أي وجه كان، تقول: قصدت العود قصداً كسرته وقيل: هو الكسر بالنصف قصدته أقصده وقصدته فأنقصد وتقصد (1).

5-الغرض والهدف: يقال فهم غرضه، أي قصده، والغرض هو الهدف الذي يرمى إليه (2).
ب-تعريف المقاصد اصطلاحاً:

عرف العلماء المقاصد باعتبار ما أضيفت إليه، فعرف ابن عاشور مقاصد الشريعة بأنها الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة (3).
عرفها الزحيلي بقوله: هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة وأثبتتها في الأحكام (4).

أبو حامد الغزالي (5) عرفها فقال: ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة (6).

وقال العز بن عبد السلام (7): عندما بين سبب تأليف (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) أن الغرض من وضع هذا الكتاب بيان مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات لسعي العباد في تحصيلها، وبيان المخالفات ليسعي العباد دونها....، والشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفسد، أو تجلب مصالح (8).

(1) ينظر: ابن منظور المرجع السابق (ج3/355).

(2) ينظر: الرازي، مختار الصحاح (ج1/226).

(3) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية (ص146).

(4) الزحيلي، الأصول العامة لوحدة الدين (ص61).

(5) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطبرسي أبو حامد، حجة الإسلام فيلسوف متصوف، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في خرسان، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام، ومصر، وعاد إلى بلده، نسبته إلى صناعة الغزل، عند من يقول بتشديد الزاي، ولد عام (450هـ)، وتوفي عام (505هـ) ومن كتبه: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، شفاء العليل في أصول الفقه، المستصفي في علم الأصول.

(6) ينظر: الزركلي، الأعلام (ج7/22).

(7) هو العز بن عبد السلام بن أبي قاسم السلمي، المعروف بابن عبد السلام، ولد بدمشق سنة (577هـ) وقرأ الأصول العربية، وسمع كثيراً درس وأفتى، وبرع في المذهب الشافعي، وبلغ رتبة الاجتهاد، وولي الخطابة بجامع دمشق، والحكم بمصر، وتوفي بالقاهرة، ومن مصنفاته: القواعد الكبرى في أصول الفقه، وتفسير القرآن، العماد في موارِيث العباد، ينظر: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق، معجم المؤلفين (ج5/249).

(8) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام (ج15-11).

- أ- وعرفها ابن تيمية بقوله: الغايات المحمودة في مفعولاته وأموراته سبحانه، وهي ما تنتهي إليه مفعولاته وأموراته من العواقب الحميدة التي تدل على حكمته البالغة (1).
- ب- أما الإمام الشاطبي (2) فقال: هي كل المعاني المصلحية المقصودة من شرع الأحكام والمعاني الدلالية المقصودة من الخطاب التي تترتب على تحقق امتثال المكلف لأوامر ونواهي الشريعة (3).
- ت- عرفها علال الفاسي (4) لنا: مقاصد الشريعة بأنها الغاية منها، والإسرار التي وصفها الشارع عند كل حكم من أحكامها (5).
- ث- عرفها أحمد الريسوني (6): "الغايات التي وضعتها الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد".
- ج- عرفها القرضاوي بقوله: إن مقاصد الشريعة إنما هي جلب المصالح ودرء المضار والمفاسد عنهم (7).
- ويرى الباحث ان المقاصد هي الغايات والكيفيات والأهداف المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس يجلب لهم المنافع ويدرء عنهم والمضار والمفاسد ويحفظ عليهم دينهم وأنفسهم ونسلهم ومالهم.

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج3/19).

(2) إبراهيم بن موسى بن محمد العمري الغرناطي الشهير الشاطبي، أصولي حافظ من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، ومن كتبه: الموافقات في أصول الفقه، الإتيان في علم الاشتقاق أصول النحو، الاعتصام في أصول الفقه، توفي سنة (790هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي (ج2/75).

(3) ابن عاشور، نظرية المقاصد (ص115).

(4) هو علال أو -محمد علال- بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبد الله المجذوب الفاسي الفهري، زعيم وطني، من كبار خطباء العلماء في المغرب، ولد بفاس سنة (1326هـ) وتعلم بالقرويين، وكان معارضاً لسلطات الاستعمار الفرنسي حين أرادت منح جماعة من الفلاحين الفرنسيين، وبمدينة فاس تولى وزارة الدولة للشؤون الإسلامية، ودرس في كلية الحقوق، وصدرت له كتب منها: دفاع عن الشريعة، ومقاصد الشريعة ومكارمها، توفي سنة (1394هـ)، ينظر: للزركلي، الأعلام (ج4/246-247).

(5) علال القاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها (ص7).

(6) الدكتور أحمد الريسوني ولد سنة (1953هـ)، عضو مؤسس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعضو سابق بمجلس أمنائه، ورئيس حركة التوحيد والإصلاح بالمغرب، والمدير المسؤول بجريدة التجديد اليومية، وعمل عدة سنوات بوزارة العدل، وأستاذاً بالتعليم الثانوي الأصيل، ولعلم بأصول الفقه ومقاصد الشريعة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة محمد الخامس بدار الحديث الحسنية، ومن مؤلفاته: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، من أعلام الفكر المقاصدي، ومدخل إلى مقاصد الشريعة ينظر الرابط في المراجع.

(7) يوسف القرضاوي، فقه الزكاة (ج1/39)

تعريف الهدف لغةً واصطلاحاً

أولاً: تعريف الهدف لغةً:

هو كل مرتفع من بناء أو كتيب رمل أو جبل (1)، وهو الغرض وهدفوا إلى موضع كذا: رحلوا إليه، واستهدف هذا الموضع مكان كذا: أي استقبله، وأهدف إلى بني فلان: أي لجأ إليهم، وكذا يدل على انتصاب وارتفاع.

ويشير إلى كل شيء عظيم مرتفع، والأهداف حبورٌ من الرمل وتشرف، واحداها هدف (2).

ثانياً: تعريف الهدف اصطلاحاً:

يتنوع تعريف الأهداف باعتبار ما أضيفت إليه، فهناك الأهداف التربوية، والشرعية، والإدارية، ونحوها، وإن كنا نهدف لتعريف القرآن الكريم، فلا بد من إلقاء نظرة على تعريف الأهداف في الجوانب الأخرى ومن هذه التعريفات:

الأهداف العامة: هي أغراض يرغبها الإنسان، وينظم سلوكه من أجل تحقيقها (3).

الأهداف التربوية: الناتج التعليمي المتوقع من التلميذ بعد عملية التدريس، ويمكن أن يلاحظه المعلم نفسه (4).

الأهداف الإدارية: إجراء ملموس قابل للقياس، يحدد كمية متغيرة يمكن تحقيقه كاملاً (5).

ويرى الباحث من جميع التعريفات السابقة أنها تسعى إلى التغيير نحو الأفضل، وفق الفلسفة، والقيم التي يتبناها محدودها، ويشترط توفر الوسائل اللازمة لتحقيقها، ومؤشر لقياس مدى إنجازها بحوزة الساعي إليها، وعليه فأنسب تعريف لهدف القرآن الكريم هو: "الوصول بالإنسان عموماً، والمسلم على وجه الخصوص، أن يكون عبداً خالصاً لله ﷻ بأن يتحقق فيه كافة المقاصد القرآنية العقدية، والشرعية، والتربوية، والأخلاقية، والنفسية، والاجتماعية، وعمارة الأرض" (6).

الفرق بين المقاصد والأهداف

(1) الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ج 1، ص 861).

(2) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج 6، ص 29)، ابن عباد، المحيط في اللغة، (ج 1، ص 300).

(3) مهدي سالم، الأهداف السلوكية (ص 14) 0

(4) المرجع السابق (ص 105).

(5) سلمان أبو عيسى، التاريخ 2007/9/18

(6) حسن الخطيب، أهداف ومقاصد سورة التوبة (ص 38).

يتضح من خلال تعريف كل من المقاصد والأهداف أن بينهما فروق دقيقة، يدركها الخاصة، رغم أنهما قد يظن البعض أنهما مترادفان.

ويرى الباحث أن علاقة الهدف بالمقصد كاللبنة للحجرة، فعدة حجارة مرصوفة تكون حُجرة، كما أن عدة أهداف منجزة تشكل مقصداً، أو مجموعة مقاصد متكاملة تبني "الغاية" وهي أسمى المطالب (1).

برضى الله ﷻ ومن أوجه التباين الدقيق بين الأهداف والمقاصد ما يلي:

1. الأهداف هي الطريق الموصلة إلى المقاصد، فإذا تحققت أهداف الآيات من وجه له الخطاب، نال المرتبة التي أرادها الله ﷻ لعباده في هذا الخطاب.
2. المراد من الأهداف نتائج تحقيقها، بينما المقاصد مستهدفة بذاتها.
3. أهداف الآيات يبرزها النص ذاته، لكن المقاصد تحتاج لإعمال العقل باستخدام المأثور النبوي، والتجربة وحسن الدراية.
4. المقاصد تقود إلى الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والاباحات، وتسعى الأحكام الجزئية لتحقيقها في حياة المكلفين.
5. المقاصد قائمة على درء المفساد، وجلب المصالح والمنافع.
6. من مرتكزات المقاصد الحفاظ على الكليات الخمسة (الدين، النفس، العقل، المال).
7. المقاصد هي الحكمة الملحوظة للشارع في جميع مواطن وأحوال التشريع.
8. جميع مقاصد القرآن تتمحور حول بؤرة واحدة تمثل الغاية من الخلق ألا وهي عبادة الخالق، والخلافة في الأرض، وتقود لنتيجة واحدة هي السعادة في الدنيا، والفوز بالآخرة.
9. الأهداف تتنوع وتتفاوت مراتب تحقيقها لارتباطها بأفعال العباد، بينما المقاصد ثابتة لتعلقها بإرادة الله ﷻ (2).

ثانياً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات

1. علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال هذا القرآن كله وهو التدبر والهداية كما قال تعالى: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: 29].
- فإنه تعالى أمرنا بالتدبر لمعرفة مراد الله تعالى من كلامه، والعمل به وليس المقصود بالتدبر هو النظر في عباراته، وألفاظه دون النظر في مقاصده قال الشاطبي: "إن كل عاقل يعلم أن مقصود

(1) إبراهيم الفقي، الطريق إلى الامتياز (ص 98).

(2) انظر: حسن الخطيب، أهداف ومقاصد سورة التوبة، رسالة ماجستير (ص 41)، نايف قرموط، الادار في سورة يوسف، رسالة ماجستير (ص 19).

الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، وإنما التفقه في المعبر عنه وما المراد به، هذا لا يرتاب فيه عاقل" (1).

2. مقصد السورة هو أصل معانيها التي يرجع إليه فهو أصل فهم معاني كلام الله.
3. يعين على فهم كتاب الله عز وجل فهماً صحيحاً، ويوصل إلى معرفة تفسير كلام الله سبحانه وتعالى، والتبحر في دلالاته وهداياته، قال البقاعي في كلامه على مقاصد السور: "غايته معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السور ومنفعته، التبحر في علم التفسير فإنه يثمر التسهيل له والتيسير" (2).
4. معرفة مقصد السورة الذي تنتظم به معانيها وآياتها سبيل للسلامة من الخطأ، وتفسير كلام الله ﷻ على غير مراده.
5. إن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يجعل كلام الله ﷻ مؤتلفاً، ومنتظماً على نحو كمال نظمه ومعانيه، ومعناه تكون السورة كالبناء المرصوص، وكالعقد المتناسق (3).
6. بمعرفة مقصد السورة تنتظم آيات السورة، وتظهر المناسبات من آياتها تكون لحمة واحدة يجمعها معنى واحد (4).

7. إن علم مقاصد السور من أعظم ما يتحقق بها ربط الآيات بالواقع، وذلك أن المتدبر في مقصد السور ومعانيه تبعثه على التفاعل والتطبيق.
8. هذا العلم يبعث على رسوخ الإيمان، وزيادة نور القلب، وقرار العين، وهذا من روائع هذا العلم.
9. إدراك المقاصد يساعد الدعاة على تحقيق أهدافهم، وترشيد مسيرتهم، فلا يشتغلون بما يفيد من المظاهر الجوفاء (5).
10. يساعد الباحثين في العصر الحديث على الفهم الصحيح للنص القرآني الذي يحفظ من الزلل، ويصون من الاعوجاج، ومن العلل (6).

ثالثاً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات

لقد أمرنا الله ﷻ بالتدبر في آيات كتابه قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: 29]، وذلك لهدف نبيل، ومغزى عظيم يغفل عنه كثير من الناس، وهو أن نفهم أهداف القرآن الكريم وما سبب نزوله، وأن ندرك مقاصده، وأن نفهم مراده.

(1) انظر: ضياء الدين المقدسي، الموافقات (ج4/262).

(2) البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (ج1/155).

(3) محمد بن عبد الله دراز، انظر: النبأ العظيم (ص155).

(4) البقاعي، المرجع السابق، (ج1/155).

(5) انظر: ابن عاشور، المقاصد العامة للشريعة، (ص77).

(6) انظر: رسالة ماجستير بعنوان أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة "دراسة تحليلية" (ص42).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "واللتبئيه على مقاصد الشريعة وما فيها من إخلاص الدين لله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له، وما سدته من الذريعة إلى الشرك دقه وجله فإن هذا هو أصل الدين، وحقيقة دين المرسلين وتوحيد رب العالمين"(1).

ومن هنا نستطيع أن نتعرف على المقاصد العامة، وأن نستكشف دلالتها من عدة أسس ومبادئ منها:

1. **الاستعانة بالله وإخلاص العمل لله وحده:** إن تحقيق المقصد من الخلق هو العبادة لا تتم من

دون الاستعانة بالله، لذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5].

يقول ابن القيم (2): "إن النظر المجرد في الدليل دون توفر أسباب الهداية، من ذكر الله واللجوء إليه، ودون انتفاء الموانع المعوقة من وسوسة الشيطان لا يحصل الفقه الصحيح".

القرآن الكريم: هو المصدر الأول لمعرفة مقاصد وأهداف السور والآيات، فهو الطريق السريع الذي يوصلنا لذلك، فمقاصد الشرع تعرف أولاً بكتاب الله ﷻ قال الشاطبي: "نصوص الشارع مفهومة لمقاصده بل هي أول ما يتلقى منه فهم المقاصد الشرعية"(3).

قال ابن عاشور: "في القرآن أدلة على مقاصد الشريعة"(4).

وهناك أمثلة كثيرة تبين لنا أن المرشد الأول في معرفة المقاصد والأهداف هو

2. **القرآن الكريم:** نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- نكر القرآن الكريم الحكمة والغاية من خلق الإنسان وهي تحقيق العبودية لله عز وجل

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]

ب- أوضح القرآن الكريم الحكمة والمقصد من إرسال الرسل عليهم السلام، والحكمة من إنزال

الكتب السماوية قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ

بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165].

(1) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (ج2/325).

(2) العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الأصل ثم الدمشقي ابن القيم الجوزية، وتلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية له التصانيف الأنيقة والتأليف التي في العلوم الشرعية، والحقيقة مولده سنة إحدى وسبعين وستمائة، سمع عن القاضي سليمان بن حمزة، وعيسى المطعم وطبقاتهما، ولازم ابن تيمية وأخذ عنه = التفسير والأصول والمفهوم والمنطوق، ومن مصنفاته: زاد المعاد في هدى خير العباد ﷻ في أربع مجلدات، كتاب سفر الهجرتين وباب السعادتين مجلد، توفي ليلة الخميس ثالث عشر من شهر رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، ودفن بمقبرة الباب الصغير من دمشق، ابن ناصر الدين، الرد الوافر (ص 68).

(3) الشاطبي، الموافقات (ج3/125).

(4) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية (ص 189).

ت- عندما أمر الله المسلمين بالصيام بين القرآن المقصود من ذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، من الطبيعي أن يكون منهم المريض والمسافر وأصحاب الأعذار، فأباح لهم الفطر، ثم بين سبحانه تعالى العلة من ذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ^ط وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185].

ث- لما أمرنا الله سبحانه وتعالى بالصلاة بين لنا المقصد والحكمة من ذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ^ط إِنِ الصَّلَاةَ تَنهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ^ط وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ^ط وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45]،

ج- ولما أمرنا بالزكاة قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ^ط إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ ^ط لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 103].

ح- وذكر المقصد من القصاص قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: 179].

والأمثلة على ذلك كثيرة، والتي من خلالها يتبين لنا أن القرآن الكريم المصدر الأول لفهم مقاصد الشريعة ومراعاة مصالح العباد (1).

3. السنة النبوية: هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ونجد أن النبي ﷺ له بعض الأقوال والأثار الواردة في فضائل السور والآيات بما يؤكد على عظم فضل هذه السور والآيات منبثقة من عظم مقاصدها وأهدافها، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة" (2).

يتبين من هذا الحديث أن هناك مقصداً عظيماً من تلاوة سورة البقرة بأنها حرز من الشيطان، خاصة في بيوتنا التي تشكو من عدم الاستقرار، وقلوبنا فيها القلق والاضطراب وعدم الاطمئنان، فتأتي هذه

(1) رسالة ماجستير الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث من القرآن للباحث حرب قدورة إشراف الأستاذ الدكتور عصام زهد (ص 11).

(2) [صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صلاة المسافرين وقصره/استحباب صلاة النافلة في بيته، 539/1: رقم الحديث 780].

السورة بمثابة علاج ووقاية للبيوت والقلوب، ومن الملاحظ أن النبي ﷺ عندما بين فضل السور ومكانتها، إنما يدل ذلك على عظيم مقصدها، وإن أفضلية هذه السورة إنما بما تحققه من الغايات والمقاصد.

4. معرفة مقدمات السورة من أحوال نزولها، وفضائلها، وخصائصها: لا بد لمن أراد الوصول لمقصد السورة أن يبدأ بحثه في السورة ومقصدها بمعرفة ما يتعلق بالسورة من الظروف والأحوال التي نزلت فيها السورة من كونها مكية أو مدنية، وسبب نزولها وفضائلها وخصائصها، فإن ذلك مفتاح رئيسي للوصول لغرضها (1).

5. الرجوع إلى الكتب والآراء الواردة عن السلف في بيان ما أنزلت فيه السور وما يكون منطلقاً لتحديد مقاصدها ومن أمثلة ذلك: أن سورة التوبة تسمى كذلك سورة الفاضحة لأنها كشف خبايا المنافقين، ويقول ابن عاشور: عن سورة التوبة ولهذه السورة أسماء آخر وقعت في كلام السلف من الصحابة والتابعين، فروي عن ابن عمر وابن عباس ؓ: "كنا ندعوها (المقشقة)، من تشقشه إذا أبرئه من المرض وكان هذا لقباً لها ولسورة الكافرين، لأنهما تخلصان من آمن بما فيهما من النفاق والشرك، مما فيهما من الدعاء إلى الإخلاص، ولما فيهما من وصف أحوال المنافقين" (2).

وعن سعيد بن جبير (3) قال: "قلت لابن عباس: سورة التوبة بل هي الفاضحة ومازلت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها" (4). ف جاء الوصف لهذه السورة من خلال مقصودها وهو الحديث عن المنافقين، وكشف خباياهم، وتوضيح وبيان أوصافهم، وكثرة ما ورد فيها من نشر فضائحهم.

**رابعاً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات
نقطة البداية:**

فالقرآن الكريم بُني على مقاصد عامة، بدأت هذه المرحلة مع بدء نزول الوحي على النبي ﷺ ف جاء الوحي ليؤكد على هذه المقاصد والغايات، ومن ذلك مجيء كثير من النصوص القرآنية التي

(1) انظر: محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة (ص 84).

(2) محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة (ص 84).

(3) سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، أبو عبد الله من كبار التابعين، وأعلامهم، ولد سنة 45هـ، حبشي الأصل من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان كان سعيد معهم إلى أن قتل عبد الرحمن فذهب سعيد إلى مكة فقبض عليه وأرسل إلى الحجاج فقتله، قال الإمام أحمد: قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا ومفتقر إلى علمه، وتوفي سنة 95هـ، ينظر، الإعلام للزركلي (ج3/93).

(4) [مسلم، صحيح مسلم، التفسير/ سورة براءة والأنفال والحشر، 4/ 2322: رقم الحديث 3031].

اقتترنت بالمقاصد والحكم والغايات والعلل، وقد ذكرنا لذلك أمثلة من الكتاب والسنة، في الموضوع السابق، فهذه المرحلة تعتبر المرحلة واللبنة الأساسية لعلم المقاصد وهي مرحلة ما قبل التدوين. لم يفرد الأئمة المتقدمون هذا العلم بتصنيف مُستقل، وإنما ضم نواه مُصنفاتهم في التفسير وعلوم القرآن، ثم جاء من ورثهم من العلماء فصنفوا كتباً خاصة في أهداف السور ومقاصدها، وبعضهم اكتفى بتخصيص فصل خاص لها في كتابه، والآخر جعلوا هذه المقاصد مُرتكزاً أساسياً في تفسيرهم، وعليه يمكن تقسيم المُصنفات في مقاصد السور إلى قسمين:

أولاً: العلماء الذين أشاروا لمقاصد السور وأهدافها (1)

1. محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.
2. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
3. مجد الدين بن يعقوب، الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لجنة إحياء التراث، القاهرة ١٩٩٦.
4. محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.
5. أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ.
6. محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
7. محمد بن علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني النشر، القاهرة، ١٤١٧ هـ.
8. سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام.

ثانياً: العلماء الذين اعتنوا بدراسة مقاصد السور والآيات:

1. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، دار المعارف، الرياض.
2. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ١٤١٢.
3. وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨ هـ.
4. محمد بن علي الصابوني، قيس من نور القرآن الكريم، دار القرآن الكريم بيروت ١٩٩٩.
5. الدكتور محمد عبد الله الربيعة، مدخل إلى علم مقاصد السور.
6. صديق حسن خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، ١٩٩٢.
7. الشيخ صالح آل الشيخ، مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير.
8. مقاصد القرآن الكريم، دار الحنان في دمشق عام ٢٠٠٤ م.
9. مصطفى صادق الرافعي، مقاصد السور وطرق الكشف عنها.

(1) انظر: الجزائري، أمهات مقاصد القرآن، ص 125-134، موقع في رحاب التنزيل، محمد الخضير، أهمية علم مقاصد السور، الرابط:

10. مقاصد سورة البقرة، محمد سيد طنطاوي، الأزهر ١٩٩٦
11. صلاح أحمد الطنوبي، مقاصد سورة الغاشية، لواء الإسلام ١٩٧٩
12. عبد الله شحاته، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٦
13. محمد بن صالح العثيمين، تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣ هـ.
14. عز الدين بن سعيد الجزائري، أمهات مقاصد القرآن، دار مجدلاوي، عمان ٢٠١١ م.
15. أهداف ومقاصد سور القرآن سلسلة رسائل الماجستير، تحت إشراف قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية - غزة.

المبحث الثاني

تعريف عام بسورتي الفاتحة والبقرة

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الفاتحة

أولاً: أسماء السورة:

وهذه السورة لها أسماء كثيرة وذلك يدل على شرفها وعظمتها وكثرة الأسماء دالة على شرف المسمى فلها واحد وعشرون اسماً وأسمائها:

1- فاتحة الكتاب:

لأنه يُبَدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَيُبَدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ (1)، لا تقبل صلاة العبد اذا لم يقرأ بفاتحة الكتاب، أخرج البخاري عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: " لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ " (2).

2-3-4- السبع المثاني والقرآن العظيم وسورة الحمد:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: 87]، هذه الآية ذكرت اسمين كرمين لسورة الفاتحة وهما السبع المثاني و القرآن العظيم، و روى البخاري عن أبي سعيد بن المعلّى قال: كُنْتُ أَصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ثُمَّ قَالَ لِي: لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيْتَهُ (3).

روى البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: قَالَ: قَالَ: " رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ " (4).

5- أم القرآن :

سميت الفاتحة: أم القرآن لما تضمنته من جمعها معاني القرآن (5).

(1) [البخاري، صحيح البخاري، تفسير القرآن/ما جاء في فاتحة الكتاب، 17/6].

(2) [البخاري، صحيح البخاري، الأذان/وجوب القراءة الإمام والمأموم في الصلوات، 1/ 152: رقم الحديث 756].

(2) [البخاري، صحيح البخاري، تفسير القرآن/سميت أم الكتاب، 6/ 17: رقم الحديث 4474].

(4) [البخاري، صحيح البخاري، تفسير القرآن/ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن، 6/ 81: رقم الحديث 4704].

(5) ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية (ص29)

روى البخاري عن أبا هريرة رضي الله عنه يقول: " في كل صلاة يُقرأ فما أسمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعناكم وما أخفى عنا أخفينا عنكم وإن لم تزد على أم القرآن أجزأت وإن زدت فهو خير" (1).
 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم" (2).
6- أم الكتاب:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: 4]. وَسُمِّيَتْ أُمَّ الْكِتَابِ لِأَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ (3).
 عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر في الأولين بأُمِّ الكتابِ وسورتين وفي الركعتين الأخرتين بأُمِّ الكتابِ ويُسمِعنا الآية ويَطْوِرُ في الركعة الأولى ما لا يطوِرُ في الركعة الثانية وهكذا في العصر وهكذا في الصبح".
 عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم: " كان يقرأ بأُمِّ الكتابِ وسورة معها في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر وصلاة العصر ويُسمِعنا الآية أحياناً وكان يطويل في الركعة الأولى" (4).
7- الوافية:

سماها بذلك سفيان بن عيينه، وجه التسمية بذلك: لأنها وافية بما في القرآن من المعاني (5).

8- سورة الصلاة:

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قال الله عز وجل: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي شَطْرَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ " قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أقرءوا: يقول العبد: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة: 2]، فيقول الله عز وجل: حمدني عبدي، ولعبدي ما سأل، فيقول: { الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ } [الفاتحة: 1] فيقول: أنتني علي عبدي، ولعبدي ما سأل، يقول: { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } ، فيقول الله: مجدني عبدي فهذا لي، وهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين يقول العبد: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: 5] - يعني فهذا بيني وبين عبدي - ولعبدي ما سأل، وأجز السورة لعبدي، يقول العبد: { هِدْنََا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } [الفاتحة: 7] فهذا لعبدي ولعبدي ما سأل" (6).
9- الكافية:

(1) [البخاري، صحيح البخاري، الأذان/القراءة في صلاة الفجر، 1/ 154: رقم الحديث 772].

(2) [الترمذي، سنن الترمذي، باب: ومن سورة الحجر، 5/ 296: رقم الحديث 3124]، [قال الألباني: صحيح، الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج1/ 187)]

(3) [البخاري، صحيح البخاري، تفسير القرآن/ما جاء في فاتحة الكتاب، 6/17].

(4) [البخاري، صحيح البخاري، الأذان/إذا أسمع الإمام الآية، 1/ 155: رقم الحديث 778].

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/ 101).

(6) [ابن ماجه، سنن ابن ماجه، باب تواب القرآن، 2/1243: رقم الحديث 3784]، قال الألباني صحيح

سورة الفاتحة الكافية تكفي عن غيرها ولا يكفي غيرها عنها.

قال عفيف بن سالم (1): "سألت عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن قراءة الفاتحة خلف الإمام فقال: عن الكافية تسأل؟ قلت: وما الكافية؟ قال: أما علمت أنها تكفي عن سواها، ولا يكفي سواها عنها، إياك أن تصلي إلا بها" (2).

10-أساس القرآن:

أخرج الثعلبي عن الشعبي أن رجلاً شكاً إليه وجع الخاصرة فقال: "عليك بأساس القرآن قال: وما أساس القرآن قال: فاتحة الكتاب (3)

11-الشافية:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أن نقرأ من أصحاب النبي ﷺ مروا بماء فيهم لديعاً أو سليم فعرض لهم رجلاً فقال: هل فيكم راق إن في الماء لديعاً أو سليماً فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء فبرأ ف جاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا: أتخذ على كتاب الله أجراً حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجراً فقال رسول الله ﷺ: إن أحق ما أخذتم عليه أجر كتاب الله ". (4)

12-سورة الشكر:

"سميت سورة الشكر وذلك لأنها ثناء على الله بالفضل والكرم والإحسان" (5).

13-سورة الدعاء:

سميت سورة الدعاء لاشتمالها على قوله: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6).

14-15-سورة السؤال أو سورة تعليم المسألة:

(1) عفيف بن سالم، أبو عمرو الموصلي: مولى بجيلة كان متقها رحالاً في طلب العلم، سمع مالك بن أنس، وابن أبي ذئب، ومسرور بن كدام، وشعبة، وقره بن خالد، وأبا عوانة، وفطر بن خليفة، وشريكا، وليث بن سعد، وبقية بن الوليد وغيرهم. روى عنه كافة المواصلة، وقدم بغداد وحدث بها، البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية (ج12/ 6754).

(2) ينظر، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (ج1/ 12)، الثعلبي، تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (ج1/ 128)، دروس الشيخ عائض القرني (15/ 185)، بترقيم الشاملة آليا، الشوكاني، فتح القدير (ج1/ 15)، والقرطبي (ج1/ 111، 112)، والتفسير الكبير للرازي (ج1/ 173 - 177).

(3) ينظر، السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/ 101)، الشوكاني، الفتح القدير (ج1/ 18)، (ج1/ 12). الثعلبي، تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (ج1/ 128)

(4) البخاري، صحيح البخاري، الطب/الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، 7/ 131: رقم الحديث [5737].

(5) الرازي، تفسير الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج1/ 159).

(6) ينظر، الرازي، تفسير الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (ج1/ 159)، السيوطي، الإتيان في علوم القرآن

(ج1/ 191)، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية (ج2/ 61)، بدر الدين العيني، عمدة

القاري شرح صحيح البخاري (ج18/ 80).

سُورَةُ تَعْلِيمِ الْمَسْأَلَةِ قَالَ الْمُرْسِيُّ: لِأَنَّ فِيهَا آدَابَ السُّؤَالِ لِأَنَّهَا بُدِئَتْ بِالنِّشَاءِ قَبْلَهُ (1).

16-سورة المناجاة:

سميت سورة المناجاة، لأن العبد يناجى فيها ربه بقوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (2).

17-سورة الكنز:

عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: " أعطيت خواتيم سورة البقرة من بيت كنز من تحت العرش ولم يعطهن نبي قبلي " (3).

18-سورة الرقية:

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: "كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَزَلْنَا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٍ وَإِنَّ نَفْرًا غَيْبٌ فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُهُ بِرُقِيَةِ فِرْقَاهُ فَبَرَأَ فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً وَسَقَانَا لَبَنًا فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقِيَةَ أَوْ كُنْتَ تَرْقِي قَالَ: لَا مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأَمْرِ الْكِتَابِ قُلْنَا: لَا تُحَدِّثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ أَوْ نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقِيَةٌ أَفْسِمُوا وَاصْرَبُوا لِي بِسَهْمٍ وَقَالَ أَبُو مَعْمَرٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا هِشَامٌ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ حَدَّثَنِي مَعْبُدُ بْنُ سِيرِينَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ بِهَذَا لِقَوْلِهِ ﷺ لِمَنْ رَقَى بِهَا سَيِّدَ الْحَيِّ: مَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ" (4).

19-سورة التفويض:

سميت سورة التفويض، لاشتمالها عليه في قوله: وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5).

20-فسطاط القرآن:

سميت فسطاط القرآن، وذلك لعظمتها ولما فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها،

(1) انظر، جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (ج1/ 191)، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية (ج2/ 61).

(2) انظر، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية (ج2/ 61)، الشيخ العلامة محمد الأمين الهري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/ 45)، جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (ج1/ 191)، الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثان (مج1/ 40).

(3) [أحمد، مسند أحمد، مسند الأنصار ﷺ/حديث أبي ذر الغفاري ﷺ، 274/35: رقم الحديث 21344]، صحيح لغيره، أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" 398/3 معلقاً، والبيهقي في "الشعب" (2404)

(4) [البخاري، صحيح البخاري، فضائل الأعمال/فاتحة الكتاب، 6/ 187: رقم الحديث 5007].

(5) ينظر، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية (مج2/ 61)، الهري، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/ 45)، السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (ج1/ 191)، الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (ج1/ 477).

وفيما رواه أحمد عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: "البقرة سنَامُ الْقُرْآنِ وَذُرْوَتُهُ نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا تَمَانُونَ مَلَكًا وَاسْتُخْرِجَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ فَوُصِلَتْ بِهَا أَوْ فُوصِلَتْ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ وَيَسَ قَلْبُ الْقُرْآنِ لَا يَفْرَاهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالذَّارَ الْآخِرَةَ إِلَّا غَفَرَ لَهُ وَأَفْرَأَهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ" (1)

21-سورة النور:

أخرج مسلم بسنده عن ابن عباس، قال: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَنْبَشِرُ بِنُورَيْنِ أَوْتِيَهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ". (2)

ثانياً: عدد آياتها وزمان ومكان نزولها:

أولاً: عدد آياتها:

اتفق العلماء على أن سورة الفاتحة سبع آيات، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا

مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٧٧﴾ [الحجر: 87]

وقوله ﷺ: "قَالَ: "هِيَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ السَّبْعُ الْمَثَانِي" (3).

ولكن العلماء اختلفوا في فواصل هذه الآيات على عدة أقوال:

1. قال الزمخشري في الكشاف: وهي سبع آيات بالاتفاق، إلا أن منهم من عدَّ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ دون التسمية، ومنهم من مذهبه على العكس (4).

2. قال الخازن: "وسورة الفاتحة مكيّة وآياتها سبع (5)".

3. "وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة وأربعون حرفاً" (6).

4. فقد اتفقوا الفقهاء على أنها سبع آيات فمن قال: أن التسمية منها فلا إشكال لكن الإشكال فيمن لم يقل بذلك وجوابهم: أن ((صراط الذين أنعمت عليهم)) هذه آية و ((غير المغضوب

(1) [أحمد بن حنبل، مسند أحمد، أول مسند البصريين/حديث معقل بن يسار، 417/33: رقم الحديث 20300]، قال

الألباني ضعيف، الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (ج12/ 783)

(2) [مسلم، صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها/فصل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، 1/ 554: رقم الحديث 806].

(3) البخاري، صحيح البخاري، التفسير/لنا أيها الذين آمنوا، استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يخول بين المرء وقلبه، وأنه إليه تحشرون { [الأنفال: 24]، 6/ 62: رقم الحديث 4647].

(4) ينظر، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج1/ 1)، سيد قطب، في ظلال القرآن، (ج1/ 21).

(5) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (ج1/ 15).

(6) أرشيف ملتقى أهل الحديث 2106/10/12

عليهم ولا الضالين)) هذه آية أخرى، فتكون 7 آيات، وهذا أقرب لأنه جاء في الحديث القدسي أن الله يقول عند قول المصلي: إياك نعبد وإياك نستعين ((هذا بيني وبين عبدي)) فدل على أن ما قبلها من الآيات مساوٍ لما بعدها فتكون قبلها 3 آيات وبعدها 3 آيات (1).
5. ما روي عن أم سلمة من أنه ﷺ: "قرأ سورة الفاتحة وعدّ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية" (2).

لَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ لَفْظَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هُوَ لَفْظٌ قُرْآنِيٌّ لِأَنَّهُ جُزْءٌ آيَةٍ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: 30].
كما أنهم لم يَحْتَلِفُوا فِي أَنَّ الْإِفْتِتَاحَ بِالنَّسْمِيَةِ فِي الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ ذَوَاتِ الْبَالِ وَرَدَ فِي الْإِسْلَامِ، وَرُوي فِيهِ حَدِيثٌ: "كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ" (3).
6. القول الراجح أن سورة الفاتحة هي سَبْعُ آيَاتٍ بِلا خِلَافٍ (4).

ثانياً: زمان ومكان نزولها:

اختلف العلماء في ذلك على أربعة اقوال:

القول الأول: إنها مَكِّيَّةٌ، قاله ابنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ.

- لما روى الثعلبي بإسناده عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: "نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش"، ثم قال الثعلبي: وعليه أكثر العلماء (5).
- ولما أخرجه أبو بكر الأنباري في المصاحف عن عبادة قال: "فاتحة الكتاب نزلت بمكة" (6).
- وأخرج الواحدي في أسباب النزول عن علي قال: "نزلت فاتحة الكتاب بمكة عن كنز تحت العرش" (7).

- وقالوا لم تكن صلاة في الإسلام بدون فاتحة الكتاب ومن المعلوم أن الصلاة شرعت في الأيام الأولى من البعثة، أو فرضت الصلوات الخمس في ليلة الإسراء والمعراج، وكانت قبل الهجرة بثلاث سنوات" (8).

(1) ينظر (ابن عثيمين، الشرح الممتع، (ج3/ 57)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج1/ 101).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج/ 138).

(3) [أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، 329/14 رقم الحديث 8711]

(4) أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج/ 9).

(5) ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج/ 159)، الواحدي،

النيسابوري، أسباب النزول، (ج2/ 31)، نقله السيوطي في الدر، (ج1/ 10).

(6) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (ج1/ 11).

(7) الواحدي، أسباب النزول (ج2/ 31).

(8) انظر: ابن عاشور، قول الجمهور في التنوير والتحرير (ج1/ 135).

القول الثاني: نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً بِمَكَّةَ، وَمَرَّةً بِالْمَدِينَةِ، وَالْأَوَّلُ أَشْبَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَتَانِي﴾ [الحجر: 87]، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، هَذِهِ السُّورَةُ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ مَرَّةً، وَبِالْمَدِينَةِ مَرَّةً أُخْرَى، فَهِيَ مَكِّيَّةٌ مَدِينِيَّةٌ، وَلِهَذَا السَّبَبُ سَمَّاها اللَّهُ بِالْمَتَانِي، لِأَنَّهُ نَتَّى إِنْزَالِهَا، وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ مُبَالَغَةً فِي تَشْرِيفِهَا (1).

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَارِثِ وَعَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ بْنِ الْمَغِيرَةِ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بَكِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا بَرَزَ سَمِعَ مَنَادِيًّا يَنَادِيهِ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا سَمِعَ الصَّوْتِ انْطَلَقَ هَارِبًا، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: إِذَا سَمِعْتَ النِّدَاءَ فَاتَّبِعْ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ لَكَ، قَالَ: فَلَمَّا بَرَزَ سَمِعَ النِّدَاءَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: لِيُكَلِّمَنِي قُلُوبُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ قُلُوبُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: 1-5] حَتَّى فَرَّغَ مِنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ."

وَالْقَوْلُ الثَّلَاثُ: أَنَّهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ، قَالَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَمُجَاهِدٌ وَعَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ وَالرُّهْرِيُّ.

رَوَى الثَّعْلَبِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ أُنزِلَتْ بِالْمَدِينَةِ

" قَالَ الْعُلَمَاءُ: أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ كِبُورَةُ جَوَادٍ مِنْ مُجَاهِدٍ وَالرَّوَايَةُ الَّتِي اسْتَدَّ عَلَيْهَا هِيَ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَصْنَفِ" (2)، أَنَّ الْعُلَمَاءَ عَلَى خِلَافِهِ، وَيَذُلُّ عَلَيْهِ وَجْهَانِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ سُورَةَ الْحَجْرِ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِي﴾ [الحجر: 87] وَهِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَهَذَا يَذُلُّ عَلَى أَنَّ تَعَالَى آتَاهُ هَذِهِ السُّورَةَ فِيمَا تَقَدَّمَ، الثَّانِي: أَنَّهُ يَبْعُدُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ أَقَامَ بِمَكَّةَ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً بِلَا فَاتِحَةِ الْكِتَابِ.

القول الرابع: حَكَى أَبُو اللَّيْثِ السَّمْرَقَنْدِيُّ أَنَّ نِصْفَهَا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَنِصْفَهَا الْآخَرَ نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ غَرِيبٌ جِدًّا، نَقَلَهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنْهُ (3).

القول الرابع: هو القول الأول، "وَأَنَّ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا سَبْعٌ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَدَنِيِّ" (4).

وَمَا يَقْطَعُ بِهِ عَلَى أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87] يَعْنِي الْفَاتِحَةَ (1)، وَلَا شَكَّ أَنَّ سُورَةَ الْحَجْرِ مَكِّيَّةٌ.

(1) نقله السيوطي في الدر (ج1/10)، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج1/159-160).

(2) ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، عن مجاهد عن أبي هريرة بلفظ أنزلت فاتحة الكتاب بالمدينة، (25875).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/101).

(4) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (ج1/111)، الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (ج1/

51)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج1/25)، تفسير الجلالين (ص2)، السيوطي، الدر المنثور في

التفسير بالمأثور (ج1/19)، سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/21)، الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح،

(ج1/9).

ثالثاً: فضائل السورة وجو نزولها

1. الفاتحة أكثر سور القرآن أسماء، وهذا يدل على فضلها وشرفها، وقد سبق تفصيل ذلك بالأدلة

مما أغنى عن تكراره.

2. الفاتحة أعظم سورة في القرآن:

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ: "كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ثُمَّ قَالَ لِي لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ أَلَمْ تَقُلْ: لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ" (2).

3. الفاتحة أفضل سورة في كافة الكتب السماوية:

لما روي عن أبي هريرة، قال: "قال رسول الله ﷺ، وقرأ عليه أبي بن كعب أم القرآن فقال: والذي نفسي بيده، ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، إنها لهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتِيَتْهُ" (3).

4. أنها ركن من أركان الصلاة، لا تصح الصلاة إلا بها:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ" (4).

قال النووي:

"فِيهِ وَجُوبُ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ وَأَنَّهَا مُتَعَيِّنَةٌ لَا يُجْزِي غَيْرُهَا إِلَّا لِعَاجِزٍ عَنْهَا، وَهَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَجُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ" (5)

5. أنها جمعت بين التوسل إلى الله تعالى بالحمد والثناء على الله تعالى وتمجيده، والتوسل إليه

بعبوديته وتوحيده:

(1) الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، (ج2/30-32)، والحديث أخرجه: ابن أبي شيبة، (365)، والبيهقي في الدلائل 158/2، والمصنف في الوسيط 57/1-58، وزاد السيوطي في الدر (10/1)، نسبته إلى أبي نعيم في الدلائل والثعلبي، قال ابن حجر، (هو مرسل، ورجاله ثقات)، العجاب: 155.

(2) [البخاري، صحيح البخاري، التفسير/ما جاء في فاتحة الكتاب، 17/6: رقم الحديث 4474].

(3) ينظر، الواحدي، أسباب النزول، (ج2/32)، [احمد بن حنبل، مسند أحمد، حديث أبي سعيد بن المعلى عن النبي ﷺ، 24/505: رقم الحديث 15730] قال الألباني، إسناده صحيح.

(4) [البخاري، صحيح البخاري، الأذان/وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحصر والسفر، وما يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافُ، 1/151: رقم الحديث 756].

(5) النووي، المجموع شرح المذهب، (ج3/327)

ثم جاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب وهو الهداية بعد الوسيلتين، فالداعي به حقيق بالإجابة.
أ- "أنها مع قصرها تشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد
الأسماء والصفات" (1).

ب- أنها تشتمل على شفاء القلوب وشفاء الأبدان.

قال ابن القيم رحمه الله:

"فأما اشتغالها على شفاء القلوب: فإنها اشتملت عليه أتم اشتغال، فإن مدار اعتلال القلوب وأسقامها
على أصلين: فساد العلم، وفساد القصد، ويترتب عليهما داءان قاتلان وهما الضلال والغضب،
فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد، وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب
جميعها، فهداية الصراط المستقيم تتضمن الشفاء من مرض الضلال، ولذلك كان سؤال هذه الهداية
أفرض دعاء على كل عبد وأوجه عليه كل يوم وليلة في كل صلاة، لشدة ضرورته وفاقته إلى الهداية
المطلوبة، ولا يقوم غير هذا السؤال مقامه.

والتحقيق ب (إياك نعبد وإياك نستعين) علماً ومعرفة وعملاً وحالاً يتضمن الشفاء من مرض فساد القلب
والقصد.

وأما تضمنها لشفاء الأبدان فنذكر منه ما جاءت به السنة، وما شهدت به قواعد الطب ودلت عليه
التجربة⁽²⁾.

فأما ما دلت عليه السنة: ففي الصحيح أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: "كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا
فَنَزَلْنَا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٍ وَإِنَّ نَفَرًا غَيْبٌ فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا
نَأْبُهُ بِرُفِيَّةٍ فَرَقَاهُ فَبَرَأَ فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً وَسَقَانَا لَبَنًا فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُفِيَّةً أَوْ كُنْتَ تَرْقِي
قَالَ: لَا مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأَمْرِ الْكِتَابِ قُلْنَا: لَا تُحَدِّثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ أَوْ نَسْأَلِ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ
دَكَرْنَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُفِيَّةٌ أَفْسِمُوا وَاصْرُبُوا لِي بِسَهْمٍ وَقَالَ أَبُو مَعْمَرٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ
الْوَارِثِ حَدَّثَنَا هِشَامٌ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ حَدَّثَنِي مَعْبُدُ بْنُ سِيرِينَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ بِهَذَا لِقَوْلِهِ
ﷺ لمن رقى بها سيد الحي: ما أدراك أنها رقية"⁽³⁾.

فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه فأغنته عن الدواء وربما بلغت من
شفائه ما لم يبلغه الدواء، هذا مع كون المحل غير قابل، إما لكون هؤلاء الحي غير مسلمين، أو أهل
بخل ولؤم، فكيف إذا كان المحل قابلاً.

(1) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (ج1/24)، (ج1/24-27).

(2) ابن القيم الجوزية، المرجع السابق، (ج1/80).

(3) [البخاري، صحيح البخاري، فضائل الأعمال/فاتحة الكتاب، 6/187: رقم الحديث 5007].

أما ما دلت عليه التجربة: قال ابن القيم رحمه الله: "كان يعرض لي آلام مزعجة بحيث تكاد تقطع الحركة مني، وذلك في أثناء الطواف وغيره فأبادر إلى قراءة الفاتحة وأمسح بها على محل الألم فكأنه حصاة تسقط، جربت ذلك مراراً عديدة، وكنت آخذ قدحاً من ماء زمزم فأقرأ عليه الفاتحة مراراً فأشربه فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء" (1).

6. أنها تشتمل على الرد على جميع المبطلين من أهل الملل، والرد على أهل البدع والضلال من هذه الأمة، وهذا يعلم بطريقتين: مجمل ومفصل:

وبيان ذلك: أن الصراط المستقيم متضمن معرفة الحق وإيثاره وتقديمه على غيره ومحبته والانقياد له والدعوة إليه وجهاد أعدائه بحسب الإمكان.

"والحق هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وما جاء به علماً وعملاً في باب صفات الرب سبحانه وأسمائه وتوحيده وأمره ونهيه ووعده ووعيده، وفي حقائق الإيمان التي هي منازل السائرين إلى الله تعالى، وكل ذلك مسلم إلى رسول الله ﷺ دون آراء الرجال وأوضاعهم وأفكارهم واصطلاحاتهم" (2).

5. أن سورة الفاتحة قد تضمنت جميع معاني الكتب المنزلة.

6. أنها متضمنة لأنفع الدعاء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيت في الفاتحة في: إياك نعبد وإياك نستعين" (3).

7. فسورة الفاتحة مفتاح كل خير وسعادة في الدارين:

قال ابن القيم رحمه الله: "فاتحة الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني والشفاء التام والدواء النافع والرقية التامة ومفتاح الغنى والفلاح وحافظة القوة ودافعة الهم والنغم والخوف والحزن لمن عرف مقدارها وأعطاهها حقها وأحسن تنزيلها على دائه وعرف وجه الاستشفاء والتداوي بها والسر الذي لأجله كانت كذلك، ولما وقع بعض الصحابة على ذلك رقى بها اللديغ فبرأ لوقتته، فقال له النبي ﷺ: "وما أدراك أنها رقية" (4).

"ومن ساعده التوفيق وأعين بنور البصيرة حتى وقف على أسرار هذه السورة وما اشتملت عليه من التوحيد، ومعرفة الذات والأسماء والصفات والأفعال، وإثبات الشرع والقدر والمعاد، وتجريد توحيد الربوبية والإلهية، وكمال التوكل والتفويض إلى من له الأمر كله وله الحمد كله وبيده الخير كله وإليه

(1) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، (ج1/80)

(2) ينظر: ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، (ج52-78).

(3) ابن تيمية، المستدرک على مجموع الفتاوى، (ج1/175).

(4) [مسلم، صحيح مسلم، الطب/أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن، 19/7 رقم الحديث 5784]، ابن القيم الجوزية، زاد

المعاد، (ج4/318).

يرجع الأمر كله، والافتقار إليه في طلب الهداية التي هي أصل سعادة الدارين، وعلم ارتباط معانيها بجلب مصالحتها ودفع مفاسدهما، وأن العاقبة المطلقة التامة والنعمة الكاملة منوطة بها موقوفة على التحقق بها؛ أغنته عن كثير من الأدوية والرقى، واستفتح بها من الخير أبوابه، ودفع بها من الشر أسبابه" (1).

رابعاً: محور السورة وخطوطها الرئيسية

1. تضمنت هذه السورة معاني القرآن العظيم، واشتملت على أصول الدين وفروعه، وتناولت العقيدة، والعبادة، والتشريع، والإيمان بالبعث وبصفات الله الحسنى، وإفراده بالعبادة والاستعانة والدعاء، والإرشاد إلى طلب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم، وتجنب طريق المنحرفين عن هداية الله تعالى (2).

2. اشتملت على ما فيه من الثناء على الله ﷻ، والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية، والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء (3).

3. إن في هذه السورة من كليات العقيدة الإسلامية، وكليات التصور الإسلامي، وكليات المشاعر والتوجهات، ما يشير إلى طرف من حكمة اختيارها للتكرار في كل ركعة، وحكمة بطلان كل صلاة لا تذكر فيها (4).

4. اشتملت على مقاصد القرآن من الثناء على الله والتعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده (5).

5. واحتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن، فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: {رَبِّ الْعَالَمِينَ}، وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ: {اللَّهُ} ومن قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ {الْحَمْدُ} كما تقدم، في الرحمن الرحيم وتضمنت إثبات النبوة في قوله: {هُدًى صِرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ} لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة.

6. وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: {مَا لِكِ يَوْمَ الدِّينِ} وأن الجزاء يكون بالعدل، لأن الدين معناه الجزاء بالعدل.

7. تضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل حقيقة، خلافاً للتقديرية والجبرية.

(1) الشيخ محمد صالح النجد، موقع الإسلام سؤال وجواب الرابط.

(2) الزحيلي، التفسير المنير، (ج1/ 53).

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (ج1/ 25).

(4) سيد قطب، في ظلال القرآن، (ج1/ 21).

(5) أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (ج1/ 23).

8. تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} لأنه معرفة الحق والعمل به، وكل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك.

9. تضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادة واستعانة في قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فالحمد لله رب العالمين (1).

المطلب الثاني: التعريف العام بسورة البقرة.

أولاً: أسماء السورة وعدد آياتها.

لها أسماء كثيرة منها توفيقية ومنها توفيقية

سورة البقرة ليس لها سوى اسم توفيقية واحد

سورة البقرة:

عن أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ" (2).
وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ النَّبَاهِلِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ وَلَا يَسْتَطِيعُهَا النَّبْطَةُ"، قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَّغَنِي أَنَّ النَّبْطَةَ: السَّحْرَةُ (3).
وَرَوَى أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفُرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ" (4).

سبب التسمية:

سميت هذه السورة «سورة البقرة» لاشتمالها على قصة البقرة، التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها، لاكتشاف قاتل إنسان، بأن يضربوا الميت بجزء منها، فيحيا بإذن الله، ويخبرهم عن القاتل، والقصة تبدأ بالآية (67) من [سورة البقرة] وهي قصة مثيرة فعلا، يعجب منها السامع، ويحرص على طلبها (5)

(1) ينظر، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص40)، ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (ج/ 31).

(2) [مسلم، صحيح مسلم، بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ/ وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ، 1/ 553: رقم الحديث 804]، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، بَابُ مَا جَاءَ فِيهَا مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، 1/ 435: رقم الحديث 1368.

(3) [أحمد بن محمد بن حنبل، مسند أحمد، مسند أبو هريرة، 13/ 224: رقم الحديث 7821]، قال الألباني صحيح، الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (ج/ 7/ 1721).

(4) [مسلم، صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها/ استِحْبَابُ صَلَاةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ، وَجَوَازُهَا فِي الْمَسْجِدِ، 1/ 539: رقم الحديث 780].

(5) (الزحيلي، التفسير المنير للزحيلي (ج/ 1/ 70-71).

أسماء سورة البقرة التوفيقية:

1- سنام القرآن:

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة البقرة، وإن الشيطان إذا سمع سورة البقرة تقرأ، خرج من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة "(1).
- قال ابن منظور: سنام كل شيء أعلاه؛ وفي شعر حسن:

وإن سنامَ المجد من آل هاشم *** بنو بنتٍ مخزومٍ ووالدك العبدُ
أي: أعلى المجد؛ فسره فقال معناه خيارها لأن السنام خيار ما في البعير ستم الشيء رفعه (2).

2- الزهراء:

عن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعتُ رسولَ الله يقول: " اقرأوا القرآنَ. فإنه يأتي يومَ القيامةِ شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنَّهما تأتيان يومَ القيامةِ كأنَّهما غمامتان، أو كأنَّهما غيابتان، أو كأنَّهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة، فإنَّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة" قال معاوية: بلغني أنَّ البطلة السحرة (3).

قال الإمام القرطبي: للعلماء في تسمية «البقرة وآل عمران» بالزهراوين ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنهما النيرتان، مأخوذ من الزهر والزهرة؛ فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما، أي من معانيهما.

القول الثاني: لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة

القول الثالث: سُميتا بذلك لأنهما أشركتا فيما تضمنه اسم الله الأعظم، كما ذكره أبو داود وغيره عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ قال: إن اسمَ الله الأعظم في هاتين الآيتين [وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ] والتي في آل عمران [اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ] (4).

3- فسطاط القرآن:

(1) [الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، کتاب فضائل القرآن، 561/1: رقم الحديث 2060]، وقال:

صحيح الإسناد، وافقه الذهبي، الألباني، سلسلة الاحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها (ج2/135)

(2) ابن منظور، لسان العرب، (ج12/306)، لابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، (ج2/409).

(3) [مسلم، صحيح مسلم، الصلاة/فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، 2/197: رقم الحديث 1825].

(4) [الترمذي، سنن الترمذي، الدعوات/ما جاء في جامع الدعوات، 5/517: ورقم الحديث/3478]، قال الألباني:

حسن، الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج1/229).

قال ابن حجر العسقلاني: " السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها؛ فإن تعلمها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطة" (1). وروى الدارمي عن خالد بن معدان (2) قال: "سورة البقرة تعليمها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطة وهي فسطاط (3) القرآن" (4).

4- سيدة سور القرآن :

عن علي مرفوعا: " سيدُ البشر آدمُ وسيدُ العربِ محمدٌ ولا فخرٌ وسيدُ الفُرسِ سلمانٌ وسيدُ الرومِ صُهيبٌ وسيدُ الحبشةِ بلالٌ وسيدُ الجبالِ الطورُ وسيدُ الأيامِ يومُ الجمعةِ وسيدُ القرآنِ سورةُ البقرةِ وسيدُ البقرةِ آيةُ الكرسي (5)".

عدد آيات سورة البقرة:

مَدَنِيَّةٌ، وَلَا نَظِيرَ لَهَا فِي عَدَدِ آيَاتِهَا وَكَلِمَاتِهَا سِتَّةَ آلَافِ كَلِمَةٍ وَمِئَةَ وَاحِدَةٍ وَعِشْرُونَ كَلِمَةً وَحُرُوفِهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةَ حَرْفٍ وَهِيَ مَائَتَانِ آيَةٌ وَتَمَائُونُ وَخَمْسُ آيَاتٍ فِي الْمَدَنِيِّ وَالْمَكِيِّ وَالشَّامِيِّ وَسِتٌّ فِي الْكُوفِيِّ وَسَبْعٌ فِي الْبَصْرِيِّ (6).

وَأَعْلَمُ أَنَّ سَبَبَ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي عَدَدِ الْآيَاتِ وَالْكَلِمَاتِ وَالْحُرُوفِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقِفُ عَلَى رُءُوسِ الْآيَاتِ لِلتَّوْقِيفِ فَإِذَا عَلِمَ مَحَلَّهَا وَصَلَ لِلتَّمَامِ فَيَحْسَبُ السَّمْعُ أَنَّهَا لَيْسَتْ فَاصِلَةً وَأَيْضًا الْبِسْمَلَةُ نَزَلَتْ مَعَ السُّورَةِ فِي بَعْضِ الْأَحْزَفِ السَّبْعَةِ فَمَنْ قَرَأَ بِحَرْفٍ نَزَلَتْ فِيهِ عَدَّهَا وَمَنْ قَرَأَ بِغَيْرِ ذَلِكَ لَمْ يَعُدَّهَا وَأَطْوَلُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ هِيَ الْبَقْرَةُ وَأَقْصَرُهَا الْكُوثَرُ (7).

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة.

نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقْرَةِ بِالْمَدِينَةِ بِالِاتِّفَاقِ وَهِيَ أَوْلُ مَا نَزَلَ فِي الْمَدِينَةِ، وَحَكَى ابْنُ حَجَرٍ فِي «شَرْحِ الْبُخَارِيِّ» الْإِتِّفَاقَ عَلَيْهِ، وَقِيلَ نَزَلَتْ سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ قَبْلَهَا بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ سُورَةَ الْمُطَفِّفِينَ مَدَنِيَّةٌ، وَلَا شَكَّ أَنَّ سُورَةَ الْبَقْرَةِ فِيهَا فَرْصُ الصِّيَامِ، وَالصِّيَامُ فُرِضَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهَجْرَةِ، فُرِضَ فِيهَا صَوْمُ عَاشُورَاءَ ثُمَّ

(1) [الدارمي، سنن الدرامي، باب في فضل في سورة البقرة، 539/2: رقم الحديث 3376]، لم يحكم عليه المحقق.

(2) خالد ابن معدان الشامي مات سنة 103هـ، قال عنه بحير ابن سعيد ما رأيت أحدا أكرم للعلم من خالد بن معدان، 176 طبعة دار المعارف العثمانية، وقال عن نفسه أدركت سبعين من صحابة النبي، وقال عمر بن جعثم، كان خالد بنى معدان إذا قعد لم يقدر أحد منهم أن يذكر الدنيا عنده مهابة له، ينظر: البخاري، التاريخ الكبير البخاري (ج3/176)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، (ج4/538).

(3) الفسطاط هو بالضم والكسر: المدينة التي فيها مجتمعت الناس. وكل مدينة فسطاط، وقال الزمخشري: " هو ضرب من الأبنية في السفر دون السرايق وبه سميت المدينة، ويقال لمصر والبصرة: الفسطاط، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، (ج3/445)، لسان العرب، (ج7/372).

(4) [الدارمي، سنن الدارمي، فضائل القرآن/في فضل سورة البقرة، 768/1: رقم الحديث 3693].

(6) أبو عمر الداني، البيان في عد آيات القرآن (ص140).

(7) ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (ج1/251-252)

فُرِضَ صِيَامُ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَامَ سَبْعَ رَمَضَانَاتٍ أَوَّلَهَا رَمَضَانُ مِنَ الْعَامِ الثَّانِي مِنَ الْهَجْرَةِ، فَتَكُونُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ نَزَلَتْ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهَجْرَةِ فِي أَوَّلِهَا أَوْ فِي الثَّانِيَةِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ: "مَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ" (1)، [تَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ] وَكَانَ بِنَاءُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى عَائِشَةَ فِي سُؤَالٍ مِنَ السَّنَةِ الْأُولَى لِلْهَجْرَةِ، وَقِيلَ: فِي أَوَّلِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ (2)

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهَا أَنَّهَا مَكُنَتْ عِنْدَهُ تِسْعَ سِنِينَ فَتُوقِي وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعَ سِنِينَ، إِلَّا أَنَّ اشْتِمَالَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ عَلَى أَحْكَامِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَعَلَى أَحْكَامِ الْقِتَالِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ يَنْبِئُ بِأَنَّهَا اسْتَمَرَّ نُزُولُهَا إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَسَنَةِ سِتِّ، وَقَدْ يَكُونُ مُمْتَدًّا إِلَى مَا بَعْدَ سَنَةِ ثَمَانَ كَمَا يَتَّضِعُ قَوْلُهُ: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ -الآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ- لِمَنِ اتَّقَى [الْبَقَرَةَ: 197-203]، عَلَى أَنَّهُ قَدْ قِيلَ إِنَّ قَوْلَهُ: وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [الْبَقَرَةَ: 281] الْآيَةَ هُوَ آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَقَدْ يَسْتَمِرُّ نُزُولُ السُّورَةِ فَتَنْزَلُ فِي أَتْنَاءِ مُدَّةِ نُزُولِهَا سُورٌ أُخْرَى.

وَقَدْ عُدَّتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ السَّابِعَةَ وَالثَّمَانِينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّورِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ وَقَبْلَ آلِ عِمْرَانَ، وَإِذَا كَانَ نُزُولُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي أَوَّلِ عَهْدِ بِإِقَامَةِ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَاسْتِقْلَالِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِمَدِينَتِهِمْ كَانَ مِنْ أَوَّلِ أَعْرَاضِ هَذِهِ السُّورَةِ تَصْفِيَةُ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ أَنْ تَخْتَلِطَ بِعَنَاصِرٍ مُفْسِدَةٍ لِمَا أَقَامَ اللَّهُ لَهَا مِنَ الصَّلَاحِ سَعِيًّا لِتَكْوِينِ الْمَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ النَّقِيَّةِ مِنْ شَوَائِبِ الدَّجْلِ وَالذَّخْلِ.

وَإِذْ كَانَتْ أَوَّلَ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ فَقَدْ عُنِيَ بِهَا الْأَنْصَارُ وَأَكْبُوا عَلَى حِفْظِهَا، يُدَلُّ لِذَلِكَ مَا جَاءَ فِي السِّيَرَةِ أَنَّهُ لَمَّا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ حُنَيْنٍ (3) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْعَبَّاسِ: "أَصْرُخُ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ يَا أَهْلَ السَّمُرَةِ، [يَعْنِي شَجَرَةَ النَّبِيَّةِ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ] يَا أَهْلَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ" فَقَالَ الْأَنْصَارُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْبَشِرُ" (4).

ثالثاً: فضائل سورة البقرة وجو نزولها:

إن سورة البقرة من أعظم سور القرآن، وجاء في فضلها الكثير من الأحاديث الصحيحة، ففي قراتها وحفظها الكثير من المنافع في الدنيا، فهي تطرد الشياطين وتقي الإنسان من السحر، والشر، والمكروه، وقرارؤها أجدر بالإمارة من غيره، وفيها أعظم آية في القرآن، وفي الآخرة تأتي تدافع عن صاحبها حتى تدخله الجنة وهذه بعض الأحاديث الصحيحة في فضلها.

1- الشيطان يفر من البيت التي تقرأ فيه سورة البقرة:

(1) [صحيح البخاري، فضائل القرآن/تأليف القرآن، 6/ 185: رقم الحديث 4993].

(2) يُنظر، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ 201).

(3) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (ج1/ 202).

(4) [مسلم، صحيح مسلم، باب عطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام 2/735: رقم الحديث 1059].

من فضائل سورة البقرة، انها تطرد الشياطين من البيوت التي تقرأ فيها فيسودها الهدوء والسكينة والمحبة والاتفاق، أما البيوت التي لا قرأ فيها سورة البقرة مليئة بالشياطين فهي مليئة بالمشاكل والخلافات، فاذا أردت ان تطهر بيتك من الشياطين وتجعله عامرا بذكر الله فعليك بسورة البقرة فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ النَّبْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ"⁽¹⁾.

2- وقاية للإنسان من السحر:

سورة البقرة تحمي الإنسان من السحر، لما روى مسلم عن أبو أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بلعني أن البطلة السحرة"⁽²⁾.

3- حافظه من الشر ووقاية من المكروه:

عن أبي مسعود الأنصاري قال: "قال: رسول الله ﷺ من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه"⁽³⁾، قيل كفتاه من قيام تلك الليلة وقيل كفتاه المكروه فيها والله أعلم⁽⁴⁾.

4- قارؤها جدير بإمارة قومه:

عن أبي هريرة قال: "بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن فأتى على رجل منهم من أحدثهم سناً فقال: ما معك يا فلان قال معي كذا وكذا وسورة البقرة قال: أمعك سورة البقرة فقال: نعم قال فأذهب فأنت أميرهم فقال رجل من أشرافهم: والله يا رسول الله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية ألا أقوم بها فقال رسول الله ﷺ تعلموا القرآن وقرأوه فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكاً ينفوخ ريحاً في كل مكان ومثل من تعلمه فتركه

(1) [مسلم، صحيح مسلم، صلاة المسافرين/استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها، 539/1: رقم الحديث 780].

(2) [مسلم، صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها/فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، 553/1: رقم الحديث 804].

(3) [البخاري، صحيح البخاري، فضائل القرآن/فضل سورة البقرة، (6/188: رقم الحديث 5008]، [كفتاه) حفظته من

الشر ووقته من المكروه قيل أغنتاه عن قيام الليل وذلك لما فيهما من معاني الإيمان والإسلام والالتجاء إلى الله عز وجل والاستعانة به والتوكل عليه وطلب المغفرة والرحمة منه.

(4) [النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج2/153)

وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ وَكَيْ عَلَى مِسْكِ⁽¹⁾. فحافظ سورة البقرة رغم صغر سنه تقدم على صاحب المال والجاه والشرف فيجب على ولاة الأمور ان يقدموا حفظة القرآن في المناصب العليا للدولة.

5- فيها أعظم آية في القرآن:

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَبَا الْمُنْذِرِ، أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمَ مَعَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255] قَالَ: فَصَرَبَ صَدْرِي وَقَالَ: لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ⁽²⁾. وَمَعْنَى الْحَدِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَالَ الْعُلَمَاءُ إِنَّمَا تَمَيَّزَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ بِكُونِهَا أَعْظَمَ لِمَا جَمَعَتْ مِنْ أَصُولِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْمُلْكِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَهَذِهِ السَّبْعَةُ أَصُولُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ⁽³⁾

6- فضل آخر آيتين من سورة البقرة:

روى مسلم عن الزبير بن عدي عن طلحة عن مرة عن عبد الله قال: "لما أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا قَالَ: إِذْ يَعْسَى السِّدْرَةَ مَا يَعْسَى قَالَ فَرَأَسُ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ: فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا أُعْطِيَ الصَّلَاةَ الْحَمْسَ وَأَعْطِيَ حَوَاتِمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحَمَاتُ"⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

-
- (1) [الترمذي، سنن الترمذي، فضائل القرآن/ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، 5/ 156: رقم الحديث 2876]، وقال حديث حسن، أخرجه بن خزيمة في صحيحه (رقم/1509)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، (611/1)، (ح/ 1622)
- (2) [الحاكم، صحيح المستدرک على الصحيحين، ذكر مناقب ابي بن كعب، 3/ 344: رقم الحديث 5326]، قال الألباني، صحيح، الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (ج7/ 1207)
- (3) يُنظر، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج6/ 94)
- (4) المقحمتات: معناها الذنوب الكبيرة التي تقحم صاحبها في النار، فيغفر لمن لا يشرك بالله من أمته هذه الذنوب المقحمتات، أما الصغائر فإن الله جل وعلا يغفرها في اجتناب الكبائر، كما صحت بذلك أحاديث رسول الله ﷺ، ودل عليه كتاب الله، قال تعالى: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} [النساء: 31]، والرسول ﷺ يقول: (الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر).
- أما الكبائر فهي التي قصد بها المقحمتات هنا، فيغفر لمن مات لا يشرك بالله شيئاً المقحمتات، ثم هذا معلق بمشيئة الله إن شاء غفر وإن شاء أخذ به، الغنيمان، شرح فتح المجيد (14/ 9).
- (5) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ في ذكر سدرة المنتهى، 1/ 157: رقم الحديث 173].

وروى مسلم عن ابن عباس قال: "بَيْنَمَا جَبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَنْبَشِرُ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَتْهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ"⁽¹⁾.

7- فيها اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب:

عن أبي امامة أن رسول الله ﷺ قال: "اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور، البقرة وآل عمران وطه يعني الحي القيوم"⁽²⁾.

عن أسماء بنت يزيد، أن النبي ﷺ قال: "اسمُ الله الأعظمُ في هاتين الآيتين **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْهَكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163] وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: 2]"⁽³⁾**

8- من قرأ البقرة من الصحابة عُد عظيما

عن أنس، أن رجلاً كان يكتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ كَانَ قَرَأَ: الْبَقْرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ: الْبَقْرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، جَدَّ فِينَا - يَعْنِي عَظَمَ.⁽⁴⁾

رابعا: محور السورة وخطوطها الرئيسية

هذه السورة تضم عدة موضوعات، ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يتربط الخطان الرئيسيان فيه ترابطا شديدا، فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها ﷺ وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها. وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى.

(1) [مسلم، صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها/فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، 554/1: رقم الحديث 806].

(2) [ابن ماجه، سنن بن ماجه، باب اسم الله الأعظم، 2/ 1267: رقم الحديث 1267]، قال الالباني حسن، الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (ج2/ 371)

(3) [الترمذي، سنن الترمذي، 5/ 517: رقم الحديث 3478]، قال الالباني حسن صحيح، الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (ج2/ 281)

(4) [أحمد بمن حنبل، مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رضي اله عنه، 19/ 247: رقم الحديث 12215]، صحيح

وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها، وتجريدهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم عليه السلام صاحب الحنفية الأولى، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم. وكل موضوعات السورة تدور حول هذا المحور المزدوج بخطيه الرئيسيين، كما سيجيء في استعراضها التفصيلي، ولكي يتضح مدى الارتباط بين محور السورة وموضوعاتها من جهة، وبين خط سير الدعوة أول العهد بالمدينة، وحياة الجماعة المسلمة وملابساتها من الجهة الأخرى (1).

وهذه السورة الكريمة اشتملت على منهجين عظيمين:

المنهج الأول: جاء في صدرها إلى آية 142 وطابعه أنه خطاب عام لجميع الناس فقد بدئت السورة بالكلام على القرآن، وأثره، ثم بيان موقف الناس منه، فمنهم المؤمن المسالم، والكافر المجاهر، والمنافق المخادع، ثم اتجهت لخطاب أمة الدعوة -الناس جميعا- حيث دعاهم الله إلى الإيمان الصحيح، مبينا لهم إعجاز القرآن وصدق الرسول، ثم ذكر قصة خلق الإنسان وتكريمه، وموقف الشيطان منه.

ثم التفت إلى بني إسرائيل -الطبقة الواعية في المجتمع المدني- فدعاهم إلى ما فيه خيرهم وذكرهم بنعم الله عليهم، وحذرهم من نقمه، وبين لهم قبائحهم وسيئات آبائهم، وأطال في ذلك، وتعرض لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وإلى علاقته بالعرب، وإلى موقفهم منه، وكل هذا لا يعرفه الرسول إلا عن طريق الوحي.

أما المنهج الثاني فطابعه أنه خطاب للمسلمين -أمة الإجابة- وهو واقع في عجز السورة وقد بدئ بالكلام على أول حادثة دينية تمس المسلمين وأهل الكتاب -تحويل القبلة- ثم عالجت السورة المجتمع الإسلامي فذكرت الكثير من التشريعات والقوانين، وما يجب أن يكون عليه المجتمع المثالي المسلم. وكان الأساس الأول الدعوة إلى التوحيد الخالص لله، وتعرضت لأحكام القصاص والوصية والقتال والإنفاق في سبيل الله، ولبيان بعض العبادات كالصيام والحج، وظهرت أحكام الخمر، ونكاح الشركات والعدة والإيلاء والطلاق والرضاع، والربا وأحكام التداين والمعاملات وخاصة الرهن، وفي خلال ذلك قصص وحكم، ثم ختمت السورة بالدعاء الإسلامي الكامل (2).

إعلم أن هذه السورة على طولها تتألف وحدتها من: مقدمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة، على هذا الترتيب:

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، (ج1/ 28).

(2) يُنظر، أبي زهرة، التفسير الواضح، (ج1/ 12).

1. "المقدمة" في التعريف بشأن هذا القرآن، وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حدًا من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يعرض عنه من لا قلب له، أو من كان في قلبه مرض.

2. المقاصد:

"المقصد الأول" في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام.
"المقصد الثاني" في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في هذا الدين الحق.
"المقصد الثالث" في عرض شرائع هذا الدين تفصيلًا⁽¹⁾.
"المقصد الرابع" ذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع وينهى عن مخالفتها.

3. "الخاتمة" في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد وبيان ما يرجى لهم في آجلهم وعاجلهم⁽²⁾.

(1) محمد بن عبد الله دراز، النبأ العظيم، (ص196).

(2) محمد بن عبد الله دراز، النبأ العظيم، (ص196).

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف

سورة الفاتحة وسورة البقرة من الآيات

(25-1)

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفاتحة وسورة البقرة من الآية (1-25)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة الفاتحة من الآية (1-5)

المطلب الأول: حمد الله ورحمته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: 2، 3]

أولاً: معاني المفردات:

الْحَمْدُ لغة: (حمد) الحاء والميم والذال أصل واحد يدل على خلاف الذم⁽¹⁾

هو المدح على فعل حسن صدر عن فاعله باختياريه سواء أسداه إلى الحامد، أو إلى غيره، والمدح يعم هذا وغيره فيقال مدح المال، ومدح الجمال، ومدح الرياض⁽²⁾.

المدح اصطلاحاً: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصداً⁽³⁾.

والثناء: يستعمل في المدح والذم على السواء، فيقال أنتى عليه شراً، كما يقال أنتى عليه خيراً⁽⁴⁾.

الشكر: الثناء باللسان على المنعم بما أولى من النعم، فهو أخص من الحمد مورداً إذ مورده النعمة فقط وأعمّ متعلقاً إذ متعلقه القلب واللسان والجوارح، لقول القائل⁽⁵⁾:

أفادتك النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا⁽⁶⁾

والحمد رأس الشكر وليس كله بل جزء منه والشكر أعم من الحمد لحديث: "الحمد رأس الشكر⁽⁷⁾".

لِلَّهِ: اللام حرف جر ومعناها الاستحقاق أي: أن الله مستحق لجميع المحامد والله علم على ذات الرب تبارك وتعالى.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة (3/100)

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/12).

(3) الجرجاني، التعريفات (ص: 207)

(4) أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (ج1/29).

(5) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/12).

(6) تفسير الكتاب العزيز وإعرابه (ص382)، البيت من شواهد الزمخشري في الكشاف، (ج1/47) ولم يعزه، وأورده السمين الحلبي في الدر المصون 36/1، والشاهد فيه قوله يدي ولساني والضمير حيث أفادت هذه الكلمات الثلاث معنى الشكر في معانيه الثلاثة، فاليد كناية عن العطاء، ولساني كنى بها عن الشكر، والضمير كناية عن الاعتقاد.

(7) البغوي، شرح السنة، باب الثواب والتحميد (ج5/50).

الرب: المعبود، والسيد المالك، والقائم بالأمور المُصلِح لما يفسد منها، فالرب على الإطلاق هو ربُّ الأرباب على كل جهة، وهو الله تعالى (1).

العَالَمِينَ: جمع عالم وهو كل ما سوى الله تعالى، كعالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الإنس، وعالم الحيوان، وعالم النبات (2).

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: الرحمة - في اللغة - رقة مقنضيه للتعطف والتفضل، فمبدأها الرقة التي هي انفعال، ومنتهاها: العطف والتفضل الذي هو فعل.

فأما لفظة الرَّحْمَنِ فليس يطلق إلا لله كلفظة الله، فإنه اسم اختص به البارئ ﷻ باتفاق، ولأجل ذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: 110]، فالرحمن هو الذي كثرت رحمته وتكررت ووسعت كل شيء ولذلك فسر بأنه الذي يكون منه تعطف بعد تعطف وتفضل.

وأما الرَّحِيمِ: فقد وصف به غيره إذا كان معناه: الذي كثرت رحمته (3).

وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "الرحمن رحمن الدُّنْيَا وَالرَّحِيمُ رَحِيمُ الْآخِرَةِ" (4).

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"النَّشَاءُ عَلَى اللَّهِ بِصِفَاتِهِ الَّتِي كُلُّهَا أَوْصَافُ كَمَالٍ، وَبِنِعْمَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَفِي ضَمْنِهِ أَمْرٌ لِعِبَادِهِ أَنْ يَحْمَدُوهُ، فَهُوَ الْمَسْتَحَقُّ لَهُ وَحْدَهُ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ الْمُنْشِئُ لِلْخَلْقِ، الْقَائِمُ بِأُمُورِهِمُ، الْمُرِيءُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ بِنِعْمِهِ، وَأَوْلِيَاءُهُ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

(الرَّحْمَنُ): ذو الرحمة العامة الذي وسعت رحمته جميع الخلق، (الرَّحِيمُ): بالمؤمنين، وهما اسمان من أسماء الله تعالى" (5).

ثالثاً: البلاغة

الْحَمْدُ لِلَّهِ جَمَلَةٌ خَبْرِيَّةٌ لَفْظًا، إِنشَائِيَّةٌ مَعْنَى، أَي قَوْلُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَهِيَ مَفِيدَةٌ قَصْرَ الْحَمْدِ عَلَيْهِ تَعَالَى (6).

(1) الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (ج1/164).

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/12).

(3) الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني (ج1/50).

(4) أبو حيان، بن حيان بن أثير الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج1/31).

(5) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، (ج1/1).

(6) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/55).

رابعاً: المناسبة

وأن ربوبية الله عز وجل مبنية على الرحمة الواسعة للخلق الواصلة؛ لأنه تعالى لما قال: {رب العالمين} كأن سائلاً يسأل: "ما نوع هذه الربوبية؟ هل هي ربوبية أخذ، وانتقام؛ أو ربوبية رحمة، وإنعام؟" قال تعالى: {الرحمن الرحيم}.⁽¹⁾

خامساً: مقاصد وأهداف الآية:

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1. إخلاص الحمد لله عز وجل:

مَعْنَى {الْحَمْدُ لِلَّهِ} الشُّكْرُ لِلَّهِ خَالِصًا دُونَ سَائِرِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَدُونَ كُلِّ مَا بَرَأَ مِنْ خَلْقِهِ، بِمَا أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا، وَلَا يُحِيطُ بِعَدَدِهَا غَيْرُهُ أَحَدٌ⁽²⁾. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:18]، إذا قال الحمد لله، فهذا يدل على أن العبد حمده لأجل كونه مستحقاً للحمد لا لخصوص أنه ﷺ أوصل النعمة إليه، فيكون الإخلاص أكمل، واستغراق القلب في مشاهدة نور الحق أتم، وانقطاعه عما سوى الحق أقوى وأثبت⁽³⁾، كأنه ﷺ يقول لهم: اجعلوا حمدكم وثناءكم لي وحدي، لأنى أنا رب العالمين، وأنا الذي تعهدتكم برعايتي وعنايتي وتربيتي منذ تكوينكم من الطين حتى استويتم عقلاء مفكرين⁽⁴⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:5]

2. محبة الله ﷻ لحمده:

أن الله تعالى يحب الحمد فحمد نفسه وأمر عباده به، فقال رسول الله ﷺ: "ما من أحد أحب إليه الحمد من الله تعالى حتى إنه حمد نفسه"⁽⁵⁾ ولفظ البخاري، "لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه"⁽⁶⁾ وقال ﷺ: "ما أنعم الله على عبده بنعمة فقال: الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ"⁽⁷⁾.

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة والفاحة، (ج1/11).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/128).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج12/472).

(4) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (ج1/19).

(5) أبو بكر الجزائري، ايسر التفاسير، (ج1/14).

(6) [البخاري، صحيح البخاري، التفسير/لاقبوا الفواحش ما هر منها وما بطن، 57/6: رقم الحديث 4634].

(7) [ابن ماجه، سنن بن ماجه، الأدب/فضل حامدين، 2/1250: رقم الحديث 3805، [حكم الألباني] حسن،

الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/975)

3. كيفية حمد الله:

الله ﷻ جلت قدرته وعظمته، نعمه لا تعد ولا تحصى، علمنا أن نشكره في كلمتين اثنتين هما: الحمد لله (1).

والذي علمنا الله إياه، يقرؤه المؤمن في كل المناسبات، في الصلاة وغيرها، لأن بدايته على تأويل: قولوا: الحمد لله رب العالمين، وذلك يقضي أن الله أمرنا بفعل الحمد، وعلمنا كيف نحمده ونثني عليه، وكيف ندعوه، ويفهم منه أن من آداب الدعاء: أن يبدأ بحمد الله والثناء عليه، ليكون ذلك أدعى إلى الإجابة (2) أفضل الدعاء الحمد لله:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ" (3).

4. أجر الحامدين:

ان أجر الحامدين عظيم جدا عند الله لا يعلمه الا الله وهو أفضل واحب شيء عند الله وهذه بعض الاحاديث الدالة على عظيم أجره.

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ" (4).

- وَرَوَى عَنْ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" (5).

- وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: النَّاتِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا شَيْءٌ أَكْثَرَ مَعَادِيرَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَمْدِ" (6).

- وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ: "أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَالَ يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ فَعَصَلَتْ بِالْمَلَائِكِينَ فَلَمْ يَدْرِي كَيْفَ يَكْتُبَانَهَا فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَا يَا رَبَّنَا إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَا نَدْرِي كَيْفَ تَكْتُبَهَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَهُوَ

(1) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (1/ 55).

(2) وهبه بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير (1/ 62).

(3) [ابن ماجه، سنن ابن ماجه، الأدب/ فضل الحامدين، 2/ 1249: رقم الحديث 3800] [حكم الألباني] حسن،

الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج/ 248)

(4) [ابن ماجه، سنن ابن ماجه، الأدب/ فضل الحامدين، 2/ 1250: رقم الحديث 3805] قال الألباني صحيح،

الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج/ 975)

(5) [مسلم، صحيح مسلم، الطهارة/ فضل الوضوء، 1/ 203: رقم الحديث 2223].

(6) [البهقي، شعب الايمان، تعديد نعم الله ﷻ، 6/ 211: رقم الحديث 4058] قال الألباني إسناده حسن، الألباني،

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فوائدها (ج/ 4/ 404)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج/ 132).

أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ مَاذَا قَالَ عَبْدِي قَالَا يَا رَبِّ إِنَّهُ قَدْ قَالَ يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ
وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ فَقَالَ اللَّهُ لَهُمَا اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا" (1).

- عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا بَحْدَافِيرِهَا فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ
لِلَّهِ، لَكَانَ الْحَمْدُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ" (2) قَالَ الْفَرُطِيُّ: مَعْنَاهُ لَكَانَ إِلِهَامُهُ الْحَمْدَ أَكْبَرَ نِعْمَةٍ عَلَيْهِ
مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا، لِأَنَّ ثَوَابَ الْحَمْدِ لَا يَفْنَى، وَنَعِيمِ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى" (3).

5. النبي ﷺ كان يبدأ صلاة ودعائه بالحمد:

روى البخاري عن ابن عباسٍ ؓ قال: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَوْلُكَ
الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ
وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أُنْبِتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ
وَأَعْلَنْتُ أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ لِي غَيْرِكَ حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهِذَا وَقَالَ أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ
الْحَقُّ" (4).

6. الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلِمَةٌ كُلٌّ شَاكِرٌ:

أمر الله ﷻ نوحاً عليه السلام بحمده بعد ركوب السفينة فقال تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ
فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَجَّئَنَا مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ [المؤمنون: 28]، وإبراهيم عليه السلام كان كثير الحمد لله،
فمثلاً: حمد الله على نعمة الولد، فقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ﴿٣١﴾ [إبراهيم: 39]، وكذلك داوود وسليمان: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا
دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٥﴾ [النمل: 10]،
وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بحمده، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي
الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ ﴿١١١﴾ [الإسراء: 111]

والحمد يكون أيضاً في الآخرة قَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ
إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [فاطر: 34]، قَالَ تَعَالَى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا
سَلَامٌ وَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ [يونس: 10]

(1) [ابن ماجه، سنن بن ماجه، الأدب/ فضل الحامدين، 2/ 1249: رقم الحديث 3801]. [حكم الألباني] ضعيف

(2) الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول (2ج/ 267).

(3) الفرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج1/ 131)

(4) [البخاري، صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض، 9/ 117: رقم الحديث

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس قال: "الحمد لله { كلمة الشكر إذا قال العبد {الحمد لله} قال الله شكرني عبدي(1).
وإن آدم عليه السلام قال حين عطس: الحمد لله (2).

7. الحمد أوسع الصفات وأعم المدائح

جميع أسمائه، تبارك وتعالى، حمد، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله في إحسانه إلى أوليائه حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده، ووجد بحمده، وظهر بحمده، وكان الغاية هي حمده، فحمده سبب ذلك وغايته ومظهره وحامله، فحمده روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات، وظهور آثاره فيه أمر مشهود بالأبصار والبصائر(3).

وروى ابن جرير عن الحكم بن عمير، وكانت له صُحبة قال: قال ﷺ: "إذا قلت: الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك" (4).

8. سبب الحمد:

أن المدح يكون لمقتضى، وإلا فهو باطل وزور، فالله تعالى لما حمد نفسه ذكر مقتضى الحمد وهو كونه رب العالمين والرحمن الرحيم ومالك يوم الدين (5).

سادساً: ربط الحمد بالواقع:

أ- أن يجعل الإنسان له ورد يومي يحمد الله عليه يداوم عليه قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم:18]، وروى مسلم عن أبي هريرة قال ﷺ: "من قال حين يضح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثلما قال أو زاد عليه" (6).

ب- أن تحمد الله على كل شيء في السراء والضراء على الأكل والشرب، فعن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أكل طعاماً ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غير له ما تقدم من ذنبه" (7).

(1) [ينظر، البيهقي، شعب الايمان، باب ذكر فاتحة الكتاب، 37/4: رقم الحديث 2147]، السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (ج1/30).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج1/134).

(3) القاسمي، محاسن التأويل (ج1/226).

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج1/23).

(5) أبو بكر الجزائري، أيسر التفسير (ج1/14).

(6) [مسلم، صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة/ فضل التهليل والتسبيح والدعاء، 4/2071: رقم الحديث 2692].

(7) صهيب عبد الجبار، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (ج17/231).

ت- أن الحمد يُشعر العبد بالرضا والطمأنينة ومحبة الله له.

ث- أن حمد العبد لله خير مما طلعت عليه الشمس، من الكنوز والممالك والنعم والخيرات كما روي مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ" (1).

ج- أن الله تعالى مستحق مختص بالحمد الكامل من جميع الوجوه؛ ولهذا كان النبي ﷺ إذا أصابه ما يسره قال: "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات؛ وإذا أصابه خلاف ذلك قال: "الحمد لله على كل حال" (2).

سادساً: مقاصد وأهداف الآية:

تظهر هذه المقاصد والاهداف من خلال النقاط الآتية:

1- المقصود والمراد برحمة الله:

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: رَحِمَنَ الْآخِرَةِ وَرَحِيمِ الدُّنْيَا، وَقَالَ الصَّحَّاحُ: لِأَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: بِرَحْمَةٍ وَاحِدَةٍ وَبِمَاءَةِ رَحْمَةٍ، وَقَالَ الْمَرْزِيُّ: بِنِعْمَةِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ. وَقَالَ الْعَزِيزِيُّ: الرَّحْمَنُ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ فِي الْأَمْطَارِ، وَنِعَمِ الْحَوَاسِ، وَالنِّعَمِ الْعَامَّةِ، الرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي الْهُدَايَةِ لَهُمْ وَاللُّطْفِ بِهِمْ، وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ: بِرَحْمَةِ النُّفُوسِ وَرَحْمَةِ الْقُلُوبِ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: لِمَصَالِحِ الْمَعَادِ وَالْمَعَاشِ، وَقَالَ الصَّادِقُ: خَاصَ اللَّفْظُ بِصِغَةِ عَامَّةٍ فِي الرَّزْقِ، وَعَامُ اللَّفْظِ بِصِغَةِ خَاصَّةٍ فِي مَغْفِرَةِ الْمُؤْمِنِ، وَقَالَ ثَعْلَبٌ: الرَّحْمَنُ أَمْدَحُ، وَالرَّحِيمُ الْطَفُ وَقِيلَ: الرَّحْمَنُ الْمُنْعَمُ بِمَا لَا يُتَصَوَّرُ جِنْسُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَالرَّحِيمُ الْمُنْعَمُ بِمَا يُتَصَوَّرُ جِنْسُهُ مِنَ الْعِبَادِ. وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ: الرَّحْمَنُ اسْمٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ، يَخْتَصُّ بِهِ اللَّهُ، وَالرَّحِيمُ إِنَّمَا هُوَ فِي جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وَوَصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّحْمَةِ مَجَازٌ عَنِ إِنْعَامِهِ عَلَى عِبَادِهِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَلِكَ إِذَا عَطَفَ عَلَى رَعِيَّتِهِ وَرَقَّ لَهُمْ، أَصَابَهُمْ إِحْسَانُهُ فَتَكُونُ الرَّحْمَةُ إِذْ ذَاكَ صِفَةً فِعْلٍ؟ وَقَالَ قَوْمٌ: هِيَ إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ذَلِكَ، فَتَكُونُ عَلَى هَذَا صِفَةً ذَاتٍ، وَيُنْبَنِي عَلَى هَذَا (3).

(1) [مسلم، صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ فضل التهليل والتسبيح والدعاء،، 4/ 2072: رقم الحديث 2695].

(2) [ابن ماجة، سنن ابن ماجة، الأدب/ فضل الحامدين، 2/ 125: رقم الحديث 3803]، قال الالباني حسن، الالباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (ج1/ 530)

(3) يُنظَر، أَبُو حَيَانَ، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ (ج1/ 31).

الخلاصة:

"الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" صفتان لله مشتقتان من الرحمة، لوحظ في كل منهما معنى معين، فالرحمن: صيغة مبالغة بمعنى: عظيم الرحمة، وهو اسم عام في جميع أنواع الرحمة، وأكثر العلماء على أن الرَّحْمَنَ اسم مختص بالله عزَّ وجلَّ، ولا يجوز أن يسمى به غيره، والرَّحِيمُ بمعنى دائم الرحمة، ولما كان في اتصافه تعالى ب رَّبِّ الْعَالَمِينَ ترهيب، قرنه بالرحمن الرحيم" (1)

2- سعة رحمة الله ولا أحد يمنعها:

أ- سعة رحمته في القرآن:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: 156]، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: 2]

أي ما يعطي الله تعالى من نعمة حسية أو معنوية من رزق ومطر، أو صحة وأمن، أو علم ونبوة وحكمة، فلا مانع له، وما يمنع من ذلك فلا يقدر أحد أن يرسله من بعد إمساكه، بيده الخير كله، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع (2).

ب- سعة رحمته في السنة:

أن الله أنزل رحمة واحدة في الدنيا وآخر تسعة وتسعون رحمة الي يوم القيامة، فعن أبي هريرة عن النَّبِيِّ ﷺ قال: "لِلَّهِ مِائَةٌ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَبِهَا تَعَطَّفُ الْوَحْشُ عَلَى أَوْلَادِهَا وَأَخْرَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ" (3). وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ يَبْلُغُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَنَتْهُ" (4).

3- نكر اهتمام القرآن بكثير نكر رحمة الله:

وردت كلمة رحمة في القرآن ثلاثة وسبعون مرة ومنها على سبيل الدعاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: 8]

(1) الزحيلي، التفسير المنير، (ج1/ 56).

(2) الزحيلي، المرجع السابق، (ص223)

(3) [مسلم، صحيح مسلم، التوبة/في سعة رحمة وانها سبقت غضبه، 4/ 2108 رقم الحديث 2752].

(4) [أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة/ باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، 11/

33: رقم الحديث/ 6494] قال الألباني صحيح، الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج1/ 661)

وغيرها كثير من الآيات التي تتحدث عن الرحمة ولكن المقام لا سمح بذكرها ولكن من جدير ذكره ان الله يدخل المؤمنين الجنة ويبيض وجوههم و يخلدهم فيها،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَنفى رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: 107]

4- مظاهر رحمة الله بعباده:

وان مظاهر رحمة لله بعباده كثيرة منها أنه يحبهم ويغفر ذنوبهم ويدخلهم الجنة ويرضى عنهم وأرسل اليهم رسله ورحمة الله بعباده لا تعد ولا تحصى نذكر منها على سبيل المثال لا للحصر 0

أ- الله يدخل المؤمنين برحمته:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَمَسُدْنَا لَهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنِّهِ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: 175] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنِّهِ وَرِضْوَانٍ وَجَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: 21]، وذكر النبي ﷺ ان لا أحد يدخل الجنة بعمله ولكن يدخلها برحمة الله ﷻ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَلَا إِيَّايَ، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا»⁽¹⁾،

ب- محبة الله لعباده المؤمنين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: 53] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96] الرحيم: فالرفيق بالمؤمنين خاصة، يستر عليهم ذنوبهم في الدنيا، ويرحمهم في الآخرة، ويدخلهم الجنة. وقيل أيضا: إنما سمي نفسه رحيمًا، لأنه لا يكلف عباده جميع ما يطيقون، وكل ملك يكلف عباده جميع ما يطيقون، فليس برحيم. وروى الترمذي عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ"⁽²⁾، "وَالرَّحْمَنُ يُوجِبُ مَحَبَّةَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ"⁽³⁾.

وروي عن علي بن أبي طالب ؓ أنه قال في قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ قَالَ: اسمه شفاء من كل داء، وعون على كل دواء، وأما الرحمن فهو عون لمن آمن به، وهو اسم لم يسم به غيره. وأما «الرحيم» فلمن تاب وآمن وعمل صالحا⁽¹⁾.

(1) [مسلم، صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار/لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، 4/ 2169: رقم الحديث 2816].

(2) [الترمذي، سنن الترمذي، البر والصلة/ ما جاء في رحمة الناس 4/323: رقم الحديث 1922] قال الألباني صحيح، الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج/ 1122)

(3) [الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج/ 1/ 155)].

ورى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي" (2).

وإن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- سأل عن تفسير بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فقال: أما الباء: فبلاء الله وروحه، ونصره وبهاؤه وأما السين: فسناء الله، وأما الميم: فملك الله وأما الله: فلا إله غيره وأما الرحمن: فالعاطف على البر والفاجر من خلقه وأما الرحيم: فالرفيق بالمؤمنين خاصة (3).

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: 43]

5- رحمة الله بإرسال محمد ﷺ نبياً ورسولاً:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ قَالَ: "اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فَظَهَرَ أَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: أُمَّتِي، أُمَّتِي، فَهَذَا كَرَمٌ عَظِيمٌ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا حَصَلَ فِيهِ هَذَا الْكَرَمُ وَهَذَا الْإِحْسَانُ لِكُونِهِ رَحْمَةً كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] فإذا كان أثر الرحمة الواحدة بلغ هذا المبلغ فكيف كرم من هو رحمن رحيم؟ (4).

6- رحمة الله سبقت غضبه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي" (5).
قِيلَ فِي قَوْلِهِ: "الرَّحِيمُ هُوَ تَعَالَى رَحِيمٌ بِهِمْ فِي سَنَةِ مَوَاضِعَ فِي الْقَبْرِ وَحَشْرَاتِهِ، وَالْقِيَامَةِ وَظُلُمَاتِهِ، وَالْمِيزَانَ وَدَرَجَاتِهِ، وَقِرَاءَةَ الْكِتَابِ وَفَرَغَاتِهِ، وَالصِّرَاطِ وَمَخَافَاتِهِ وَالنَّارِ وَدَرَكَاتِهِ" (6).

ربط الآية بالواقع:

أ- رحمة الإنسان بوالديه والدعاء لهما بالرحمة كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24]

ب- ألا يقنط العبد المذنب من رحمة الله كما قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج1/107).

(2) مسلم، صحيح مسلم، التوبة/ في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، 4/ 2107: رقم الحديث/ 2751

(3) السمرقندي، بحر العلوم (ج1/14).

(4) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج203).

(5) مسلم، صحيح مسلم، التوبة/ في سعة رحمة الله وانها سبقت غضبه، 4/ 2108: رقم الحديث [2751].

(6) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج155).

[الزمر: 53]. وروى ابن ماجه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْهُ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا" (1).

- ت- صلة الرحم كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: 22 - 23].
- ث- روي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " إِنْ الرَّجَمَ شَجْنَةً مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ " (2).
- ج- رحمة الكبير للصغير ورحمة الحاكم للمحكوم روى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ مَنْ رَفَقَ بِأُمَّتِي فَارْفُقْ بِهِ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَشَقِّ عَلَيْهِ" (3).
- ح- أن نعيش الرحمة واقع في حياتنا ونطبق قول الحق ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: 29].

المطلب الثاني: الله هو المالك ليوم الدين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: 4]

أولاً: معاني المفردات:

"مَالِكِ: المالك: صاحب الملك المتصرف كيف يشاء.

ملك: الملك ذو السلطان الأمر الناهي المعطي المانع بلا ممانع ولا منازع.

يَوْمِ الدِّينِ: يوم الجزاء وهو يوم القيامة حيث يجزي الله كل نفس ما كسبت" (4).

ثانياً: القراءات:

"قَرَأَ عَاصِمٌ وَالْكَسَائِيُّ {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {مَلِكِ النَّاسِ}، وكلاهما قراءتان عشريتان" (5). وقد اختلف العلماء أيما أبلغ: مَلِكٌ أَوْ مَالِكٌ؟ وَالْقِرَاءَتَانِ مَرْوِيَّتَانِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، ذَكَرَهُمَا التِّرْمِذِيُّ، فَقِيلَ: (مَلِكٌ) أَعَمٌّ وَأَبْلَغُ مِنْ (مَالِكِ) إِذْ كُلُّ مَلِكٍ مَالِكٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مَالِكٍ مَلِكًا، وَلِأَنَّ أَمْرَ الْمَلِكِ

(1) [ابن ماجه، سنن ابن ماجه، الزهد/ ذكر التوبة، 1419/2: رقم الحديث 4247] قال الألباني صحيح، الالباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/ 898).

(2) البخاري، صحيح البخاري، الأدب/ من وصله الله وصله، 6/8: رقم الحديث 5988.

(3) [أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مسند عائشة بنت الصديق ﷺ، 393/40: رقم الحديث 24337]، قال الالباني،

إسناد جيد على شرط مسلم، الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (ج7/ 1349)

(4) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 13).

(5) ابن خالويه، أبو عبد الله، حجة القراءات (ص 77).

نَافِذٌ عَلَى الْمَالِكِ فِي مُلْكِهِ، حَتَّى لَا يَتَّصِرَفَ إِلَّا عَن تَدْبِيرِ الْمَلِكِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْمُبَرِّدُ. وَقِيلَ: "مَالِكٌ" أَبْلَغُ، لِأَنَّهُ يَكُونُ مَالِكًا لِلنَّاسِ وَغَيْرِهِمْ، فَالْمَالِكُ أَبْلَغُ تَصَرُّفًا وَأَعْظَمُ، إِذْ إِلَيْهِ إِجْرَاءُ قَوَانِينِ الشَّرْعِ، ثُمَّ عِنْدَهُ زِيَادَةُ التَّمَلُّكِ (1).

قلت ولما كان المالك قد لا يملك أي لا يحكم، ولما كان الملك (كالرئيس) قد لا يملك أي لا يمتلك، ولما كان الله المالك والمالك ليوم القيامة جاءت بقراءتين.

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

"مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ الْمَالِكُ: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف بممالكه بجميع أنواع التصرفات، وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها، لأن في ذلك اليوم، يظهر للخلق تمام الظهور، كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق، حتى [إنه] يستوي في ذلك اليوم، الملوك والرعايا والعبيد والأحرار، كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين ولغيره من الأيام" (2).

رابعاً: مقاصد وأهداف الآية:

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1. إثبات المعاد:

جزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها، وتقرّد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل (3).

2. عدل الله يوم القيامة:

لأنه لو لم يوجد يوم للحساب، لنجا الذي ملأ الدنيا شروراً، دون أن يجازى على ما فعل، ولكان الذي التزم بالتكليف والعبادة وحرّم نفسه من متع دنيوية كثيرة إرضاء لله قد شقي في الحياة الدنيا، ولكن لأن الله ﷻ هو {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، أعطى الاتزان للوجود كله، هذه الملكية ليوم الدين هي التي حمت الضعيف والمظلوم وأبقت الحق في كون الله، إن الذي منع الدنيا أن تتحول إلى غابة يفتك فيها القوي بالضعيف والظالم بالمظلوم هو أن هناك آخرة وحساب، وأن الله ﷻ هو الذي سيحاسب خلقه" (4).

(1) القرطبي، الجمع لحكام القرآن، (ج1/ 140).

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص 39).

(3) ابن القيم، التفسير القيم، تفسير القرآن الكريم (ص11).

(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 68).

3. تربية للعبد:

فإنه إذا آمن بأن هناك يوماً يظهر فيه احسان المحسن، وإساءة المسيء، وأن زمام الحكم في ذلك اليوم العظيم بيد الله تكوّن عنده خُلق المراقبة، وتوقّع المحاسبة، فكان ذلك أعظم سبيل لإصلاح كل ما يعمل (1).

وقد جاء قوله تَعَالَى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] إثر قوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 3]، ليكون كترهيب بعد ترغيب، وليعلمنا أنه تعالى ربّي عباده بكلا النوعين من التربية، فهو رحيم بهم، ومجاز لهم على أعمالهم كما قَالَ تَعَالَى: ﴿نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿﴾ [الحجر: 49 - 50]، فإذا جاء ذلك اليوم استوفى كل عامل جزاء عمله كاملاً إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، جزاء وفاقاً لما عمل قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَظَلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49]، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: 7 - 8] (2).

4. أثر عدم الايمان بيوم الدين علي الأمم والجماعات:

أما الناس باعتبارهم أمماً وجماعات فيظهر جزاؤهم في الدنيا ظهوراً تاماً، فما من أمة انحرفت عن الصراط السوي، ولم تراع سنة الله في الخليقة إلا حلّ بها ما تستحق من الجزاء من فقر بعد غنى، وذلّ بعد عزة، ومهانة بعد جلال وهيبة (3).

5. الحكمة من اختصاص الله بملك يوم الدين مع كونه مالك لكل شيء:

"لأمرين: أحدهما: أنه قد ملك في الدنيا قوماً أشياء يبطل عنها ملكهم لها يوم القيامة" (4)، ولذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: 40]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: 19].

والثاني على وجه التعظيم: لأنهم يجعلون ما يستعظمونه ملكاً له نحو: بيت الله وناقة الله وتعظيم إياه على وجه أن اليوم الآخر لا انقضاء له ولا فناء، وجميع ما في الدنيا فان، وقد علم أن الباقي أشرف من الفاني، فأما الدين فالجزء، كقوله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الذاريات: 6]، وقيل: الدين عبارة عن

(1) إبراهيم القطان، تيسير التفسير (ج2/1).

(2) الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، (ج/66).

(3) المراغي، تفسير المراغي، (ج1/32).

(4) الأصفهاني، تفسير الراغب، (ج1/56).

الشريعة كقوله: تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، ومعناه يوم جزاء الدين، ومثلاً: الدين الطاعة، أي يوم جزاء الطاعة وخص الطاعة وإن كانت المجازاة عنها وعن المعصية لأمرين أحدهما إن كل أحد بطبعه في ذلك اليوم ولذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93] أن الطاعة هي المقصودة بالجزاء ولأجلها خلقنا وعلى ذلك دل قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] (1).

وَتَخْصِيصُ الْمُلْكِ بِيَوْمِ الدِّينِ لَا يَنْفِيهِ عَمَّا عَدَاهُ، لِأَنَّهُ قَدْ نَقَدَّمَ الْإِخْبَارَ بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَذَلِكَ عَامٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ لِأَنَّهُ لَا يَدَّعِي أَحَدٌ هُنَاكَ شَيْئًا، وَلَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: 38].

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108]، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: 105]. وَقَالَ الصَّحَّاحُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" يَقُولُ: لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَعَهُ حُكْمًا، كَمَلِكِهِمْ فِي الدُّنْيَا، قَالَ: وَيَوْمَ الدِّينِ يَوْمُ الْحِسَابِ لِلْخَلَائِقِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُدِينُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، إِلَّا مَنْ عَفَا عَنْهُ" (2).

ربط الآية بالواقع:

- أ- أن مخالفة الملك الحق تقول إلى بلاء عظيم وفساد كبير، فكيف مخالفة ملك الملوك؟ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخُرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: 90]
- ب- أن الطاعة سبب المصالح، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49]، فعلى الرعية مطاوعة الملوك بالحق، وعلى الملوك مطاوعة ملك الملوك؛ ليصلح حال الناس دنيا وآخرة.
- ت- أن {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} "والله سبحانه يبين أن كمال ملكه بعدله حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: 47] (3)، فالإيمان بهذه الحقيقة، والركون إليها، يدفع صاحبها المؤمن إلى الإكثار من الحسنات، وإلى اجتناب السيئات، لعلمه بأنه سبحانه سيحاسبه على ذلك يوم الدين بالعدل والقسط.

(1) الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب، (ج1/57)

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج1/134)

(3) الهريري، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/66).

المطلب الثالث: إخلاص العبادة لله وعدم الاستعانة بغيره.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: 5]

أولاً: معاني المفردات:

إِيَّاكَ: ضمير نصب يخاطب به الواحد.

نَعْبُدُ: نطيع مع غاية الذل لك والتعظيم والحب.

نَسْتَعِينُ: نطلب عونك لنا على طاعتك وعلى كل ما يهم العبد من أمور دينه ودنياه (1)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

إننا نخصك وحدك بالعبادة، ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا، فالأمر كله بيدك، لا يملك منه أحد مثقال ذرة، وفي هذه الآية دليل على أن العبد لا يجوز له أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة والذبح والطواف إلا لله وحده، وفيها شفاء القلوب من داء التعلق بغير الله، ومن أمراض الرياء والعجب، والكبرياء (2).

ثالثاً: البلاغة:

وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ ... فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، وتقديم المفعول يفيد القصر، أي لا نعبد سواك (3).

اعجاز القرآن في الترتيب والتركيب إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.

رابعاً: مقاصد وأهداف الآية:

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- وجوب إخلاص العبادة لقبولها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 11]

والنبي ﷺ حث على الإخلاص فقال: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ

هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَتَّكِحُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" (4)، والمرائي له عقابان

أ- احباط عمله والدليل قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ

لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]

(1) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (ج1/14).

(2) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، (ج1/1).

(3) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (ج1/55).

(4) [البخاري، صحيح البخاري، بدء الوحي/ باب كيف كان بدء الوحي الى رسول ﷺ، 6/1: رقم الحديث/1].

ب- عذاب الآخرة لقوله ﷺ " أَنْ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِي: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيهَا عُلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فَلَانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَوْسِعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعُكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيهَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّجِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فَلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فَلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتَيْ فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾

قَالَ الصَّحَّاحُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} يَعْنِي: إِيَّاكَ نُوحِّدُ وَنَخَافُ وَنَرْجُو يَا رَبَّنَا لَا غَيْرَكَ {وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} عَلَى طَاعَتِكَ وَعَلَى أُمُورِنَا كُلِّهَا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: " {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } بِأَمْرِكُمْ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَأَنْ تَسْتَعِينُوهُ عَلَى أَمْرِكُمْ"

(2). قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: 14]

أَشَارَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِلَى تَحْقِيقِ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا مُرَكَّبٌ مِنْ أَمْرَيْنِ: نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ، فَالنَّفْيُ: خَلَعَ جَمِيعَ الْمَعْبُودَاتِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، وَالْإِثْبَاتُ: إِفْرَادُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَحْدَهُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ (3).

2- درجات العبادة:

يقول الرازي العبادة لها ثلاث درجات:

الدرجَةُ الْأُولَى: أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ طَمَعًا فِي الثَّوَابِ أَوْ هَرَبًا مِنَ الْعِقَابِ، وَهَذَا هُوَ الْمُسَمَّى بِالْعِبَادَةِ.
وَالدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ لِأَجْلِ أَنْ يَتَشَرَّفَ بِعِبَادَتِهِ، أَوْ يَتَشَرَّفَ بِقَبُولِ تَكَالِيفِهِ، أَوْ يَتَشَرَّفَ بِالْإِنْتِسَابِ إِلَيْهِ، وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ أَعْلَى مِنَ الْأُولَى، إِلَّا أَنَّهَا أَيْضًا لَيْسَتْ كَامِلَةً، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالذَّاتِ غَيْرُ اللَّهِ.

(1) [الترمذي، سنن الترمذي، الزهد/ما جاء في الرياء والسمعة، 592/4: رقم الحديث [2382]، حكم الالباني صحيح،

الالباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج1/352).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج1/135).

(3) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج1/7).

وَالدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَعْبُدَ اللَّهُ لِكَوْنِهِ إِلَهًا وَخَالِقًا، وَلِكَوْنِهِ عَبْدًا لَهُ، وَالْإِلَهِيَّةُ تُوجِبُ الْهَيْبَةَ وَالْعِزَّةَ، وَالْعُبُودِيَّةُ تُوجِبُ الْخُضُوعَ وَالذَّلَّةَ، وَهَذَا أَعْلَى الْمَقَامَاتِ وَأَشْرَفُ الدَّرَجَاتِ، وَهَذَا هُوَ الْمُسَمَّى بِالْعُبُودِيَّةِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِ الْمُصَلِّي فِي أَوَّلِ الصَّلَاةِ أُصَلِّي لِلَّهِ، فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ أُصَلِّي لِنُورِ اللَّهِ، أَوْ لِلْهَرَبِ مِنْ عِقَابِهِ فَسَدَّتْ صَلَاتُهُ (1).

3- شرف وفضل العبادة:

العبادة والعبودية لله ﷻ شرفها عظيم وفضلها كبير ومقامها عال، يدل على ذلك الآيات التالية:

الآية الأولى: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنْتَكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: 97 - 99]

وَالْإِسْتِدْلَالُ بِهَا مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ قَالَ: وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ فَأَمَرَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْمُؤَابَذَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْإِخْلَالُ بِالْعِبَادَةِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَذَلِكَ يُدُلُّ عَلَى غَايَةِ جَلَالَةِ أَمْرِ الْعِبَادَةِ.

وَتَانِيَهُمَا: أَنَّهُ قَالَ: وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنْتَكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَهُ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: التَّسْبِيحَ: وَهُوَ قَوْلُهُ فَسَبِّحْ وَالتَّحْمِيدَ: وَهُوَ قَوْلُهُ بِحَمْدِ رَبِّكَ، وَالسُّجُودَ: وَهُوَ قَوْلُهُ: وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَالْعِبَادَةَ، وَهِيَ قَوْلُهُ: وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ، وَهَذَا يُدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعِبَادَةَ تُزِيلُ ضَيْقَ الْقَلْبِ، وَتُعِيدُ انْشِرَاحَ الصَّدْرِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الْعِبَادَةَ تُوجِبُ الرُّجُوعَ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ، وَذَلِكَ يُوجِبُ زَوَالَ ضَيْقِ الْقَلْبِ.

الآية الثانية: فِي شَرَفِ الْعُبُودِيَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: 1]

وَلَوْلَا أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ أَشْرَفُ الْمَقَامَاتِ، وَإِلَّا لَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فِي أَعْلَى مَقَامَاتِ الْمِعْرَاجِ. فِي شَرَفِ الْعُبُودِيَّةِ: أَنَّ عَيْسَى أَوَّلَ مَا نَطَقَ قَالَ: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ، وَصَارَ ذِكْرُهُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ سَبَبًا لِبَهَارَةِ أُمَّهِ، وَلِبَرَاءَةِ وُجُودِهِ عَنِ الطَّغْنِ، وَصَارَ مِفْتَاحًا لِكُلِّ الْخَيْرَاتِ، وَدَافِعًا لِكُلِّ الْآفَاتِ (2).

4- الحكمة من تقديم العبادة على الاستعانة:

وَقُدِّمَتِ الْعِبَادَةُ عَلَى الْإِسْتِعَانَةِ لِتَقْدِيمِ الْوَسِيلَةِ قَبْلَ طَلَبِ الْحَاجَةِ لِتَحْصُلِ الْإِجَابَةِ إِلَيْهَا، وَأُطْلِقَ الْعِبَادَةَ وَالْإِسْتِعَانَةَ لِتَتَنَاوَلَ كُلُّ مَعْبُودٍ بِهِ وَكُلُّ مُسْتَعَانَ عَلَيْهِ (3).

"وَتَقْدِيمُهُ عَلَى الْفِعْلِ لِقَصْدِ الْإِخْتِصَاصِ، وَقِيلَ لِإِلَهْتِمَامِ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ لَهَا وَلَا تَرَاحَمَ بَيْنَ الْمُفْتَضِلَاتِ. وَالْمَعْنَى: نَخْصُكَ بِالْعِبَادَةِ وَنَخْصُكَ بِالْإِسْتِعَانَةِ، لَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ وَلَا نَسْتَعِينُكَ، وَالْعِبَادَةُ أَفْصَى غَايَاتِ الْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ" (4).

(1) يُنْظَرُ، الرَّازِي، مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ أَوْ التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ (ج 1/ 214).

(2) يُنْظَرُ، الرَّازِي، مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ أَوْ التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ (ج 1/ 214).

(3) أَبُو حَيَانَ الْإِنْدَلِسِيِّ، الْبَحْرُ الْمَحِيْطُ، (ج 1/ 44).

(4) الشُّوْكَانِيُّ، الْفَتْحُ الْقَدِيرُ، (ج 1/ 27).

فَقَدَّمَ قَوْلَهُ إِيَّاكَ عَلَى قَوْلِهِ نَعْبُدُ وَلَمْ يَقُلْ نَعْبُدُكَ، أَنَّهُ تَعَالَى قَدَّمَ نَفْسَهُ لِيَتَنَبَّهُ الْعَابِدُ عَلَى أَنَّ الْمَعْبُودَ هُوَ اللَّهُ الْحَقُّ، فَلَا يَنْكَاسِلُ فِي التَّعْظِيمِ وَلَا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا (1).

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَإِيَّيَ فَارْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]، كيف تجده في قوة لا ترهبوا غيري لا تتقوا سواي، وكذلك إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ هو في قوة لا نعبد غيرك ولا نستعين بسواك، ولو قيل: نعبدك ونستعينك، لم يفد نفي عبادتهم لغيره (2).

يقول ابن القيم رحمه الله: "وتقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل؛ إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها . ولأن العبادة حقه الذي أوجبه عليك، والاستعانة طلب العون على العبادة، وهو بيان صدقته التي تصدق بها عليك، وأداء حقه أهم من التعرض لصدقته.

ولأن العبادة شكر نعمته عليك، والله يحب أن يشكر، والإعانة فعله بك وتوفيقه لك، فإذا التزمت عبوديته، ودخلت تحت رقبها، أعانك عليها، فكان التزامها والدخول تحت رقبها سببا لنيل الإعانة، وكلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة من الله له أعظم، والعبودية محفوفة بإعانتين إعانة قبلها على التزامها والقيام بها وإعانة بعدها على عبودية أخرى وهكذا أبدا حتى يقضي العبد نحبب" (3).

5- الحكمة من الجمع بين العبادة والاستعانة:

ومن أجمع الأدعية وأنفعها في هذا المقام: ما ورد في سورة الفاتحة من الجمع بين العبادة والاستعانة في قوله تعالى: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] [الفاتحة: 5]، حيث فرض سبحانه علينا أن نناجيه وندعوه في كل صلاة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقوله تعالى في الفاتحة: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وعلم القرآن جمع في الفاتحة وعلم الفاتحة في هذين الأصلين عبادة الله والتوكل عليه، وإذا أفرد لفظ العبادة دخل فيه التوكل فإنه من عبادة الله تعالى كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: 21]، وقوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وإذا قرن به التوكل كان مأمورا به بخصوصه" (4).

ويقول ابن القيم: "وسر الخلق والأمر، والكتب والشرائع، والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين، وعليهما مدار العبودية والتوحيد، حتى قيل: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب، جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن، وجمع معاني القرآن في المفصل، وجمع

(1) الرازي، مرجع سبق ذكره، (ج1/ 211).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، (ج1/ 247).

(3) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (ج1/ 75-77).

(4) ابن تيمية، جامع الرسائل، (ج1/ 91).

معاني المفصل في الفاتحة، ومعاني الفاتحة في إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده نصفين، فنصفهما له تعالى، وهو إِيَّاكَ نَعْبُدُ، ونصفهما لعبده وهو إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" (1).

ويقول ابن كثير: "في هذا إشارة إلى أهمية الجماعة في الإسلام، المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد والمصلي فرد منهم، ولا سيما إن كان في جماعة أو إمامهم، فأخبر عن نفسه وعن إخوانه" (2)، ويقول الرازي: "لو قال إياك أعبد لكان ذلك تكبراً ومعناه أنني أنا العابد أما لما قال إياك نعبد كان معناه أنني واحد من عبيدك، فالأول تكبر، والثاني تواضع، ومن تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله" (3).

وقرنت العبادة بالاستعانة ليدل على أن العبد لا يستطيع أن يقوم بأي عبادة إلا بإعانة الله وتوفيقه، فهو إقرار بالعجز عن حمل هذه العباد، فالاستعانة بالله علاج الغرور العبد وكبريائه، ويجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم، وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته (4). وقد أطلق الاستعانة لتفيد العموم والشمول لأن الاستعانة بالله على كل أمور الدين والدنيا (5).

ربط الآية بالواقع:

أ- فضل صلاة الجماعة كما روى مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: "صلاة

الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً" (6)، قال تعالى: ﴿وَأَقِمُوا

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّكْعِينَ﴾ [البقرة: 43]

ب- الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك، والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما، وإنما تكون العبادة عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول الله ﷺ مقصوداً بها وجه الله فبهذين الأمرين تكون عبادة" (7).

ت- إن دوام العبادة والاستمرار عليها مع القيام بحقها من خشوع وخضوع لله وتذكر مقام الله العليا الأعلى، وحضور لذاته العلية كأنه يرى الله تعالى، مع الإحساس بأنه - سبحانه -

(1) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (ج1/95).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج1/135).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، (ج1/150).

(4) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (ج1/57).

(5) ينظر: الشوكاني، الفتح القدير، (ج1/27)، الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (ج1/90-91).

(6) [مسلم، صحيح مسلم، الصلاة/ فضل صلاة الجماعة، 2/ 121: رقم الحديث 1416].

(7) [السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص39)].

يراه، ودوام العبادة على هذا النحو تولد في نفسه صدق العبودية، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
 لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
 فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ
 وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ
 يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: 1 - 11]، فيحس في كل أحواله بأنه لله،
 ويحب الشيء لا يحبه إلا لله، ويكون ربانيا، مستجيبا لأمر الله: (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ) (١).

(١) أبو زهرة، زهرة التفسير (ج 1 / 64).

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة الفاتحة من الآية (6-7)

المطلب الأول: الدعاء بالهداية إلى الإسلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]

أولاً: معاني المفردات:

اهدنا: عرفنا ووقفنا ودلنا على الطريق الموصل إلى الحق، وأرشدنا إليه، وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أنسك وقربك⁽¹⁾.

"الصِّرَاطُ: الطريق الموصل إلى رضاك وجنتك وهو الإسلام لك.

الْمُسْتَقِيمَ: الذي لا ميل فيه عن الحق ولا زيغ عن الهدى"⁽²⁾.

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"دلنا وأرشدنا، ووقفنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط.

فالهداية إلى الصراط، لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك"⁽³⁾.

ثالثاً: مقاصد وأهداف الآية:

تظهر هذه المقاصد والاهداف من خلال النقاط الآتية:

1- الدعاء هو العبادة:

للدعاء أهمية كبيرة في حياة المسلم (4) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ

دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]

قال الطبري رحمه الله: "يعني تعالى نكره: بذلك وإذا سألك يا محمد عبادي عني: أين أنا؟ فإنني قريب منهم أسمع دعاءهم، وأجيب دعوة الداعي منهم"⁽⁵⁾.

(1) وهبة الرحيلي، التفسير النير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/56)

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (ج1/15)

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص39)

(4) الرومي، ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة (ص17)

(5) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (ج3/480)

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: "هذا جواب سؤال، سأل ﷺ بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله، أقریب ربنا فنناجیه، أم بعيد فننادیه؟ فنزل: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} لأنه تعالى، الرقیب الشهید، المطع على السر وأخفی، یعلم خائنة الأعین وما تخفی الصدور، فهو قریب أيضاً من داعیه، بالإجابة، ولهذا قال: {أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا} والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة. والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعیه بالإجابة والمعونة والتوفیق" (1)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60]

فالدعاء هو أعلى أنواع العبادة وأرفعها وأشرفها، والآية الكريمة قد دلت على أن الدعاء من العبادة، فإنه ﷺ أمر عباده أن يدعوه، ثم قال: "إن الذين يستكبرون عن عبادتي" فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه وتعالى استكبار، ولا أقبح من هذا الاستكبار، وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له، ورازقه وموجده من العدم، وخالق العالم كله، ورازقه، ومحيه، ومميته، ومثيبه، ومعاقبه، فلا شك أن الاستكبار طرف من الجنون، وشعبة من كفران النعم (2).

وسمى الله تعالى الدعاء ديناً كما في قوله سبحانه وتعالى ﴿ فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا جَحَّوهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: 65]

وقد نهى الله تعالى عن دعاء غيره فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: 18] قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: 106]

2- الصراط المستقيم هو الإسلام:

لأن دين الله واحد في جميع الأزمان: فهو إيمان بالله ورسله واليوم الآخر، وتخلق بفاضل الأخلاق وعمل الخير وترك الشر، وما عدا ذلك فهو فروع وأحكام تختلف باختلاف الزمان والمكان، يرشد إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: 163]، فإنه لا نجاة من العذاب إلا بهذه الهداية، ولا وصول إلى السعادة إلا به، فمن فاته هذا الهدى فهو: إما من المغضوب عليهم، وإما من الضالين" (3).

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص 87).

(2) عبد العزيز العبد اللطيف، نواقض الإيمان القولية، (ص 140).

(3) ينظر ابن تيمية، مجموع الفتاوي، (ج 22/399)، القاسمي، محاسن التأويل، (ج 1/234-235).

وهذا الاهتمام لا يحصل إلا بهدى الله من يَهْدِي اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ﴿١٧﴾ [الكهف: 17]

، فلهذا كان هذا الدعاء مفروضاً عليهم في الصلاة -فرضها ونفلها- وأيضاً فإن هذا الدعاء يتضمن الرزق والنصر: لأنه إذا هدى الصراط المستقيم كان من المتقين قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ﴿٣﴾ [الطلاق: 1 - 3] وكان من المتوكلين قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ﴿٣﴾ [الطلاق: 3]، وكان ممن ينصره الله ورسوله ومن ينصر الله ينصره وكان من جند الله، وجند الله هم الغالبون. فالهدى التام يتضمن حصول أعظم ما يحصل به الرزق والنصر، فتيبين أن هذا الدعاء هو الجامع لكل مطلوب تحصل به كل منفعة، وتندفع به كل مضرة (١).

3- طلب الهداية من الله ﷻ:

قوله تعالى على السنة عباده المتقين: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)، هو دعاء من العباد لربهم بأمره سبحانه، وذلك تجلٍ من الله العلي الأعلى بالإرشاد والتعليم فقوله تعالى: (اهْدِنَا) والدعاء ذاته عبادة كما روي أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: "ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء (٢)، دعاؤهم بطلب الهداية" (٣)، وفي هذا الدعاء أسمى ألوان الأدب، لأن هذا الدعاء قد تضرع به المؤمنون إلى خالقهم بعد أن اعترفوا له -سبحانه- قبل ذلك بأنه هو المستحق لجميع المحامد، وأنه هو رب العالمين، والمتصرف في أحوالهم يوم الدين (٤).

قال الإمام ابن كثير: "وهذا أكمل أحوال السائل، أن يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته وحاجة خوانه المؤمنين بقوله: اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ لأنه أنجح للحاجة، وأنجح للإجابة، ولهذا أرشدنا الله إليه لأنه الأكمل قَدْ يَكُونُ السُّؤَالُ بِالْإِخْبَارِ عَنْ حَالِ السَّائِلِ وَاحْتِيَاجِهِ، كَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ ﴿٢٤﴾ [الفصص: 24]، وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسؤل، كَقَوْلِ ذِي الثَّنُونِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء: 87] (٥).

(١) ينظر، القاسمي، محاسن التأويل، (ج1/234-235).

(٢) [الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل الدعاء، 455/5: رقم الحديث 3370] [قال الألباني حسن]، الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (ج2/276)

(٣) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، (ج1/66).

(٤) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (ج1/23).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج1/136).

4- مراتب الهداية: (1)

المرتبة الأولى: أن يملأ قلوبهم وقلوبهم بالحق يميلون نحوه، ويتجهون إليه، وأن يكونوا ممن كتبت عليهم التقوى، وأن تكون هدايتها إلى نجد الخير وقد قال، وقوله الحق: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: 10]

المرتبة الثانية: بعد أن تصغي قلوبهم إلى الحق وتفتح بقوله والنظر في بيناته وهي إقامة الدلائل على الحق ليتبعوه عن بينة، أو تفتح نفوسهم وعقولهم لقبول ما تدل عليه آيات الكون وأدلة الحق وهي أماراته، بل بيناته من سماء ذات أبراج، وأرض ذات جبال كالأوتاد، وزروع وثمار، ذات بهجة للناظرين، وأن يتدبروا في ملكوت الله تعالى وخلقه فينظروا نظرة الإدراك والاعتبار كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية: 17 - 22].

أما المرتبة الثالثة: فهي إرسال الرسل هداة مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: 24]، وإن إرسال الرسل للهداية والإرشاد، وتبليغ رسالته، إنما هو لكيلا يكون على الله حجة بعد الرسل.

والمرتبة الرابعة: مرتبة الوحي والكشف وتعليم الله تعالى لخلقه، وهو ما يكون للرسل الكرام دعاء الحق والهداية إليه، فهداية الله تعالى بالوحي، أو إرسال رسول أو أن يكلمه الله تعالى من وراء شيء من خلقه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ [الشورى: 51].

1- أنواع الهداية:

وقد منح الله تعالى للإنسان خمس هدايات يتوصل بها إلى سعادته.

- 1- هداية الإلهام الفطري: وتكون للطفل منذ ولادته، فهو يحس بالحاجة إلى الطعام والشراب،
- 2- هداية الحواس: وهي متممة للهداية الأولى، وهاتان الهدايتان يشترك فيهما الإنسان والحيوان، بل هما في البداية أكمل في الحيوان من الإنسان.
- 3- هداية العقل: وهي أسمى من الهدايتين السابقتين، فالإنسان خلق مدنياً بالطبع ليعيش مع غيره، ولا يكفي الحس الظاهر للحياة الاجتماعية، فلا بد له من العقل الذي يوجهه إلى مسالك الحياة، ويعصمه من الخطأ والانحراف.

(1) ينظر، محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، (ج1/67)، البيضاوي، أنوار التنزيل أسرار التأويل، (ج1/30).

4- هداية الدين: وهي الهداية التي لا تخطئ، والمصدر الذي لا يضل، فقد يخطئ العقل، وتتجرف النفس مع اللذات والشهوات، حتى توردها موارد الهلاك، فيحتاج الإنسان إلى مقوم مرشد هاد لا يتأثر بالأهواء وقد أشار القرآن إلى تلك الهدايات في آيات كثيرة، منها ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:10].

5- هداية المعونة والتوفيق للسير في طريق الخير والنجاة: وهي أخص من هداية الدين، وهي التي أمرنا الله بدوام طلبها في قوله تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ أَي دلنا دلالة، تصحبها من لذلك معونة غيبية، تحفظنا بها من الضلال والخطأ، وهذه الهداية خاصة به سبحانه، لم يمنحها أحدا من خلقه، بل نفاها عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56].
والخلاصة: الهداية في القرآن نوعان: هداية عامة: وهي الدلالة إلى مصالح العبد في معاده، وهذه تشمل الأنواع الأربعة السابقة، وهداية خاصة: وهي الإعانة والتوفيق للسير في طريق الخير والنجاة، مع الدلالة، وهي النوع الخامس (1).

ربط الآية بالواقع:

- أ- أن يدعو العبد لأخيه المسلم بالهداية بظهر الغيب لقول النبي ﷺ: "إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ (2)".
لجوء الإنسان إلى الله عز وجل بعد استعانته به على العبادة أن يهديه الصراط المستقيم؛ لأنه لا بد في العبادة من إخلص.
ب- دعاء الله عز وجل أن يوفقنا لطريقه الشرعي، وأن يحرسنا من واستهواء الشهوات، ويعصمنا من الشبهات، وأن يزدنا هدى لما وعد بقوله تعالى: [وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ]، وقوله تعالى: [وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى]، وأن يُعلمنا العلم الحقيقي، فذلك سبب الخلاص، وهو المعبر عنه بالنور في قوله تعالى: [يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ]، وسؤال الله الجنة، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فِئْتَانًا مِّنْهُمْ لِيُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 3 - 5]، قال بعض

(1) ينظر، الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/59)، رضا، تفسير المنار، (ج1/52)، المراغي، تفسير المراغي، (ج1/35).

(2) مسلم، صحيح مسلم، الدعوات/فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، 8/86: رقم الحديث [7028]

المحققين: الهدى من الله كثير، ولا يبصره إلا البصير، ولا يعمل به إلا اليسير، ألا ترى إلى نجوم السماء ما أكثرها ولا يهتدي بها إلا العلماء (1).

ت- اتباع الصراط المستقيم وأن الصراط ينقسم إلى قسمين: مستقيم، ومعوج؛ فما كان موافقاً للحق فهو مستقيم، كما قال الله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام: 153]، وما كان مخالفاً له فهو معوج.

ث- الصراط المستقيم: هو جملة ما يوصل إلى السعادة في الدنيا، والآخرة من عقائد، وأحكام، وآداب، وتشريع ديني، كالعلم الصحيح بالله والنبوة، وأحوال الكون، وأحوال الاجتماع (2).

المطلب الثاني: الهداية طريقها واحد والضلال طرقه متعددة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7]

أولاً: معاني المفردات:

والصراط: قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: "أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَى أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ: هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اغْوَجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي لُغَةِ جَمِيعِ الْعَرَبِ" (3).
"غَيْرِ": لفظ يستثنى لفظ غير مفرد مضاف دائماً لفظاً أو معنى وإدخال أل عليه خطأ وأصله الوصف ويستثنى به كإلا.

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ: من غضب الله تعالى عليهم لكفرهم وفسادهم في الأرض؛ كاليهود.

الضَّالِّينَ: من أخطأوا طريق الحق فعبدوا الله بما لم يشرعه؛ كالنصارى

الضلال: الانحراف والبعد عن الهدى المطلوب وهو في الشرع نوعان: ضلال في الاعتقاد، وضلال في العمل، فالضلال في الاعتقاد: هو كل اعتقاد مخالف كلاً أو بعضاً للمعتقد الإسلامي الذي بينه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ، والضلال في العمل: هو عبادة الله تعالى بغير ما شرع والتقرب إليه ﷻ بما لم يشرعه قربة، ولا ينجو من هذا الضلال إلا من تمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ (4).

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ": أي لا تجعلنا مع أولئك الحائدين عن طريق الاستقامة، المبعدين عن رحمة الله، المعاقبين أشد العقاب، لأنهم عرفوا الحق وتركوه، وضلوا الطريق، ويرى

(1) يُنظر، القاسمي، محاسن التأويل، (ج1/232).

(2) الشيخ العلامة محمد الأمين، حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/77).

(3) الشوكاني، الفتح القدير، (ج1/28).

(4) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (ج1/16).

الجمهور أن المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى، والحق: أن المغضوب عليهم: هم الذين بلغهم الدين الحق الذي شرعه الله لعباده، فرفضوه ونبذوه، والضالون: هم الذين لم يعرفوا الحق، أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح، وهم الذين لم تبلغهم رسالة أو بلغتهم بنحو ناقص" (1).

ثالثاً: مقاصد وأهداف الآية:

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- المراد بصراط الذين أنعم الله عليهم:

إشارة إلى أن الطريق المستقيم واحد، وطرق الضلال كثيرة، وعلى هذا النحو، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْكَم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، (2) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ مُرَخَّاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجَهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: خُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ: مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ " (3).

وعلى هذا فسر الآية فقول: الصراط المستقيم: القرآن وقيل: الإسلام، وقيل: سنة النبي ﷺ وهذا كله إشارة إلى شيء واحد وإن اختلفت العبارات.

والثاني أن طريق النجاة بإضافة بعضها إلى بعض كثيرة، ولكن بعضها أقصد، وبعضها أبعد، وأقصد الطرق الطريق المستقيم الذي هو طريق السابقين دون طريق المقتصدین الظالمين وإن كانا مؤديين إلى النجاة أيضاً، ولكنهما أبعد، ألا ترى أنه قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا

(1) وهبة بن مصطفى الزحيلي، المنير في التفسير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/57).

(2) النواس بن سمعان بن خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة الكلابي معدود في الشاميين، يقال: أن أباه سمعان بن خالد وفد على النبي ﷺ فدعا له رسول الله ﷺ، وأعطاه نعليه، فقبلهما رسول الله ﷺ وزوجه أخته، فلما دخلت على النبي ﷺ تعودت منه فتركها، وهي الكلابية روى عن النواس بن سمعان جبير بن نفيير، ونفيير بن عبد الله، وجماعة القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج4/1534)، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (ج5/345).

(3) [أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن أحمد، باب حديث النواس بن سمعان الكلابي الانصاري، 181/29: رقم الحديث/

17634]، قال الألباني صحيح، الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/721)

مَنْ عِبَادَنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُادِنُ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴿فاطر: 32﴾

فجعل ثلثهم مصطفين، ولكون بعض الطرق أقرب من بعض، قال النبي ﷺ في قوم: "إنهم يدخلون الجنة قبل آخرين بكذا سنة" (1)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: 153]،

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ -هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: "حَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا، وَحَطَّ عَلَى يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}" (2).

أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِابْنِ مَسْعُودٍ: مَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؟ قَالَ: تَرَكْنَا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَدْنَاهُ، وَطَرَفُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَنْ يَمِينِهِ جَوَادٌّ، وَعَنْ يَسَارِهِ جَوَادٌّ، وَتَمَّ رِجَالٌ يَدْعُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ، فَمَنْ أَخَذَ فِي تِلْكَ الْجَوَادِّ انْتَهَتْ بِهِ إِلَى النَّارِ، وَمَنْ أَخَذَ عَلَى الصِّرَاطِ انْتَهَى بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: 153] (3).

قَوْلُهُ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ بِالْمُسْتَقِيمِ إِيْمَاءً إِلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ وَاضِحُ الْحُجَّةِ قَوْمِ الْمَحَبَّةِ لَا يَهْوِي أَهْلُهُ إِلَى هَوَا الضَّلَالَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: 161]، عَلَى تَعَاوُتٍ فِي مَرَاتِبِ إِصَابَةِ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ اجْتَهَدَ وَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَمَنْ اجْتَهَدَ وَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ" (4)، وَلَمْ يَنْزُكْ بَيَانُ الشَّرِيعَةِ مَجَارِيِ اشْتِبَاهِ بَيْنِ الْخِلَافِ الَّذِي تُحِيطُ بِهِ دَائِرَةُ الْإِسْلَامِ وَالْخِلَافِ الَّذِي يَخْرُجُ بِصَاحِبِهِ عَنْ مُحِيطِ الْإِسْلَامِ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل: 79] (5).

(1) الراغب الاصفهاني، تفسير الراغب الاصفهاني، (ج1/63).

(2) [أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبدالله بن مسعود، 7/ 436: رقم الحديث 4437]، اسناده صحيح.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج3/367).

(4) [البخاري، صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/ إذا الحاكم اجتهد أصاب أو أخطأ، 9/108: رقم الحديث 7352].

(5) محمد الطاهر بن عاشور، (ج1/200).

2- الدعاء بالتوفيق والثبات على الصراط المستقيم:

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ نَحْوَ هَذَا فَقَالَ "وَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ: وَقَفْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَى مَا ارْتَضَيْتَهُ، وَوَقَفْتَ لَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِكَ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَذَلِكَ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، لِأَنَّ مَنْ وُفِّقَ إِلَيْهِ مِمَّنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فَقَدْ وُفِّقَ لِلْإِسْلَامِ وَتَصَدِيقِ الرُّسُلِ، وَالنَّمْسُكِ بِالْكِتَابِ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ وَالْإِنْجَارِ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ، وَاتِّبَاعِ مِنْهَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْهَاجِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَكُلِّ عَبْدٍ صَالِحٍ، وَكُلِّ ذَلِكَ مِنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ" (1).

قال أبو جعفر: "وفي هذه الآية دليل واضح على أن طاعة الله جل ثناؤه لا ينالها المُطيعون إلا بإنعام الله بها عليهم، وتوفيقه إياهم لها، أو لا يسمعونه يقول: صراط الذين أنعمت عليهم، فأضاف كل ما كان منهم من اهتداء وطاعة وعبادة إلى أنه إنعام منه عليهم" (2).

3- الصراط المستقيم طريق الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين:

إذا قال العبد: {اهدنا الصراط المستقيم} يقول جل جلاله: هذا لعبدي ولعبدي ما سألت.

يقول الحق تبارك وتعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} ما معنى {الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦٩﴾ [النساء: 69] وأنت حين تقرأ الآية الكريمة فأنت تطلب من الله تبارك وتعالى أن تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أي أنك تطلب من الله ﷻ، أن يجعلك تسلك نفس الطريق الذي سلكه هؤلاء لتكون معهم في الآخرة فكأنك تطلب الدرجة العالية في الجنة لأن كل من ذكرناهم لهم مقام عال في جنة النعيم، وهكذا فإن الطلب من الله سبحانه وتعالى هو أن يجعلك تسلك الطريق الذي لا اعوجاج فيه، والذي يوصلك في أسرع وقت الي الدرجة العالية في الآخرة (3).

ومن النعم أن يحس بإشراق النفس وإخلاص القلب، والاتجاه إلى الله تعالى، وأن يكون مستقيم الفكر، نير المدارك، ولا يضل، بل يهتدي بما أنعم، ومن النعم نعمة الإخلاص في القول والصدق فيه، وأن يعمل العمل، لا يعمله إلا لله، وأن يراقب الله في سره وجهره وعمله، حتى يصدق عليه قول النبي ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشيء لا يحبه إلا لله " (4). إذا كان المؤمن كذلك يكون ممن هداه الله إلى صراط الذين أنعم عليهم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

(1) الشوكاني، الفتح القدير، (ج1/28).

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (ج1/179).

(3) ينظر، الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج1/87).

(4) [البخاري، صحيح البخاري، الأدب/ الحب في الله، 8/14: رقم الحديث 6041].

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٦﴾ [النساء: 69] (١).

4- طرق الضلال متعددة

أ- المراد بطرق الضلال

والضالون هم الذين لم يعرفوا الحق، أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح، وهؤلاء هم الذين لم تبلغهم رسالة، أو بلغتهم على وجه لم يستتب لهم فيه الحق، فهم تائهون في عماية لا يهتدون معها إلى مطلوب، تعترضهم الشبهات التي تلبس الحق بالباطل، والصواب بالخطأ إن لم يضلوا في شئون الدنيا ضلوا في شئون الحياة الأخرى، فمن حرم هدى الدين ظهر أثر الاضطراب في أحواله المعيشية وحلت به الرزايا (٢)، والمغضوب عليهم هم الذين بلغهم الدين الحق الذي شرعه الله لعباده فرفضوه ونبذوه وراءهم ظهريًا، وانصرفوا عن النظر في الأدلة تقليدًا لما ورثوه عن الآباء والأجداد وهؤلاء عاقبتهم النكال والوبال في جهنم وبئس القرار، ولكي ننجوا من النار يجب اتباع الصراط المستقيم قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْكَم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: 153]

ب- سؤال المؤمنين لله أن لا يضلهم

فَكَمَا سَأَلُوهُ أَنْ يُهْدِيَهُمْ سَأَلُوهُ أَلَّا يُضِلَّهُمْ، وَكَذَٰلِكَ يَدْعُونَ فَيَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران: 8] (٣).

غَيْرِ صِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ فَسَدَتْ إِرَادَتُهُمْ، فَعَلِمُوا الْحَقَّ وَعَدَلُوا عَنْهُ، وَلَا صِرَاطِ الضَّالِّينَ وَهُمْ الَّذِينَ فَقَدُوا الْعِلْمَ فَهُمْ هَائِمُونَ فِي الضَّلَالَةِ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَكَّدَ الْكَلَامَ بِمَا لَيْدَلَّ عَلَى أَنَّ تَمَّ مَسْلُكِينَ فَاسِدِينَ، وَهُمَا طَرِيقَتَا الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى (٤).

5- عصمة الأنبياء من طرق الضلال

ان الأنبياء معصمون من الضلال فهم الذين اصطفاهم الله لتبليغ دينه وارشاد الناس للحق وتجنب الضلال، و قوله: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَا أَقْدَمَ عَلَى عَمَلٍ يُخَالِفُ قَوْلَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا عَلَى اعْتِقَادِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ لَوْ صَدَرَ عَنْهُ ذَلِكَ لَكَانَ قَدْ ضَلَّ عَنِ الْحَقِّ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: [فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ] [يونس: 10].

(١) أبو زهرة، زهرة التفاسير، (ج1/70).

(٢) المراغي، تفسير المراغي، (ج1/37).

(٣) القرطبي، الجامع لحكام القرآن، (ج1/149).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج1/140).

[32] وَلَوْ كَانُوا ضَالِّينَ لَمَا جَاَزَ الْإِفْتِدَاءُ بِهِمْ، وَلَا الْإِهْتِدَاءُ بِطَرِيقِهِمْ، وَلَكَانُوا خَارِجِينَ عَنِ قَوْلِهِ: أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ بَاطِلًا عَلِمْنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ عِصْمَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ" (1).

6- السبب في تعدد طرق الضلال

وَالْجَوَابُ أَنَّ الَّذِينَ كُمَلْتُمْ نِعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هُمُ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ لِذَاتِهِ وَالْخَيْرِ لِأَجْلِ الْعَمَلِ بِهِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُرَادُونَ بِقَوْلِهِ: أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ اخْتَلَّ قَيْدُ الْعَمَلِ فَهُمُ الْفَسَقَةُ وَهُمْ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 93] وَإِنْ اخْتَلَّ قَيْدُ الْعِلْمِ فَهُمُ الضَّالُّونَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: 32] (2) فَأَلْيَهُودُ تَمَرَّدُوا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ غَيْرَ مَرَّةٍ وَبَدَّلُوا الشَّرِيعَةَ عَمْدًا فَلَزِمَهُمْ وَصْفُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَعَلِقَ بِهِمْ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَالنَّصَارَى ضَلُّوا بَعْدَ الْحَوَارِيِّينَ وَأَسَاءُوا فَهَمَّ مَعْنَى التَّقْدِيسِ فِي عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَزَعَمُوهُ ابْنَ اللَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَّهَلَّ أَلْكُتِبِ لَا تَعْلَمُونَ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77] (3).

رابعاً: ربط الآية بالواقع:

- 1- يجب على الأمة الإسلامية أن تتحد وتسير على الصراط المستقيم لمواجهة اليهود والنصارى والله ﷻ يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103] والله ﷻ حذرنا من ترك الصراط المستقيم والخلاف بسبب الهزيمة والذل والتفرق كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّجُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]
- 2- عدم موالاتة اليهود المغضوب عليهم والنصارى الضالين كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51]

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، (ج1/223).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، (ج1/223).

(3) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (ج1/200).

3- لا مخرج للأمة الإسلامية من أزماتها وظلامها وتفرقها وتشتتها وضعفها إلا بتباع الصراط المستقيم كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: 153]

4- أن الله ﷻ قدم الأشد، عداوة؛ لأنه تعالى قدم المغضوب عليهم على الضالين؛ لأنهم أشد

مخالفة للحق من الضالين؛ فإن المخالف عن علم يصعب رجوعه، بخلاف المخالف عن جهل

كما قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا

وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ

قَبَائِسَ كُفْرًا وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ [المائدة: 82]

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (1-5)

المطلب الأول: القرآن كتاب حق وهداية

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: 2]

أولاً: معاني المفردات:

ذَلِكَ: هذا، وإنما عُدل عن لفظ هذا إلى ذلك، لما تفيدته الإشارة بلام البعد من علو المنزلة وارتفاع القدر والشأن.

الْكِتَابُ: القرآن الكريم الذي يقرأه رسول الله ﷺ على الناس.

لَا رَيْبَ: لا شك أنه وحي الله وكلامه أوحاه إلى رسوله.

فِيهِ هُدًى: دلالة على الطريق الموصل إلى السعادة والكمال في الدارين.

لِلْمُتَّقِينَ: المتقين أي: عذاب الله بطاعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه (1).

ثانياً: البلاغة:

"ذَلِكَ الْكِتَابُ" الإشارة بالبعيد عن القريب للتنبية على علو شأنه.

هُدًى لِلْمُتَّقِينَ مجاز مرسل أو عقلي، أسند الهداية للقرآن، لأنه سبب الهداية، والهادي في الحقيقة هو الله تعالى (2).

الفرق بين الشك والريب، الشك هو استواء الطرفين والريب هو أدنى من الشك.

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

"ذَلِكَ الْقُرْآنُ" هو الكتاب العظيم الذي لا شك أنه من عند الله، فلا يصح أن يرتاب فيه أحد لوضوحه، ينتفع به المتقون بالعلم النافع والعمل الصالح وهم الذين يخافون الله، ويتبعون أحكامه (3).

رابعاً: مقاصد وأهداف الآية

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- أوصاف القرآن ثلاثة:

وصف الله تعالى القرآن بأوصاف ثلاثة وهي:

أ- أنه الكتاب الكامل في كل ما اشتمل عليه من معان ومقاصد وقصص وعبر وتشريعات غير

قابلة للنقض.

(1) ينظر، أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (ج1/20)، الصابوني، صفوة التفاسير (1/25)، الكواري، تفسير غريب

القرآن (2/2)

(2) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/72).

(3) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/2).

- ب- أنه لا شك في كونه حقاً من عند الله، لمن أمعن النظر وأصغى بقلبه.
- ت- أنه مصدر هداية وإرشاد للمؤمنين المتقين، الذين يتقون عذاب الله، بامثال أوامره واجتتاب نواهيهِ، فهم المنتفعون به (1).

2- تخصيص الهداية للمتقين

لم خص الْمُتَّقِينَ بالذكر وَهُوَ هُدَى لَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قيل: "إِنَّمَا خَصَّهُم بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا، أَوْ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِالْهُدَى، حَيْثُ نَزَلُوا مِنْزِلَ التَّقْوَى دُونَ غَيْرِهِمْ" (2).

فإن قال لنا قائل: أَوْ مَا كِتَابُ اللَّهِ نُورًا إِلَّا لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا رِشَادًا إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ؟ قيل: ذلك كما وصفه ربنا ﷺ، ولو كان نوراً لغير المتقين، ورشاداً لغير المؤمنين، لم يخص ﷺ المتقين بأنه لهم هدى، بل كان يُعمِّم به جميع المنذرين. ولكنه هدى للمتقين، وشفاء لما في صدور المؤمنين، وَوَقَّرَ فِي آذَانِ الْمَكْذِبِينَ، وَعَمَى لِأَبْصَارِ الْجَاهِدِينَ، وَحَجَّةٌ لِلَّهِ بِالْغَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ، فَالْمُؤْمِنُ بِهِ مُهْتَدٍ، وَالْكَافِرُ بِهِ مَحْجُوجٌ (3).

وَحُصِّتِ الْهُدَايَةُ لِلْمُتَّقِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ فُرْقَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: 44]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: 82]

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن؛ لِأَنَّهُ هُوَ فِي نَفْسِهِ هُدًى، وَلَكِنْ لَا يَنَالُهُ إِلَّا الْأَبْرَارُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: 57]

وَقَدْ قَالَ السُّدِّيُّ عَنِ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ أَنَسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} يَعْنِي: نُورًا لِلْمُتَّقِينَ (4).

(1) وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (ج1/74).

(2) السمعاني، تفسير القرآن، (ج1/42).

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج1/230)، حجه يحجه فهو محجوج: غلبه بالحجة فهو مغلوب. الطبري،

نفس الصفحة (ج1/230)

(4) ينظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج1/163)

3- تعريف التقوى والمنتقين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ ﴿٧﴾ [محمد: 17]

هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، فَإِنَّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ هِدَايَتِهِ نَفَعَتِ الْمُتَّقِينَ فِي سَائِرِ مَرَاتِبِ التَّقْوَى، وَفِي سَائِرِ أَوْزَانِهِ وَأَوْزَانِهِمْ عَلَى حَسَبِ حِرْصِهِمْ وَمَبَالِغِ عِلْمِهِمْ وَاخْتِلَافِ مَطَالِبِهِمْ، فَمَنْ مُنْتَفِعٌ بِهِدْيِهِ فِي الدِّينِ، وَمِنْ مُنْتَفِعٍ فِي السِّيَاسَةِ وَتَدْبِيرِ أُمُورِ الْأُمَّةِ، وَمِنْ مُنْتَفِعٍ بِهِ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْفَضَائِلِ، وَمِنْ مُنْتَفِعٍ بِهِ فِي التَّشْرِيعِ وَالتَّفْقُّهِ فِي الدِّينِ، وَكُلُّ أُولَئِكَ مِنَ الْمُتَّقِينَ وَانْتِفَاعُهُمْ بِهِ عَلَى حَسَبِ مَبَالِغِ تَقْوَاهُمْ، (1) وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: التَّقْوَى تَرْكُ الْإِصْرَارِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَتَرْكُ الْإِغْتِرَارِ بِالطَّاعَةِ، وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ: (2) أَنْ لَا يَجِدَ الْخَلْقَ فِي لِسَانِكَ عَيْبًا، وَلَا الْمَلَائِكَةَ الْمُقْرَبِينَ فِي أَعْمَالِكَ عَيْبًا، وَلَا مَلِكَ الْعَرْشِ فِي سِرِّكَ عَيْبًا. وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: أَنْ تَرْتِينَ سِرِّكَ لِلْحَقِّ كَمَا زِينْتَ ظَهْرَكَ لِلْخَلْقِ، وَيُقَالُ: التَّقْوَى أَنْ لَا يَرَاكَ مَوْلَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ. وَلِلَّهِ دَرُ الْقَائِلِ: خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا، وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التَّقِيُّ" (3).

كُنْ مِثْلَ مَا شِئْتَ فِي طَرِيقِ الشُّوقِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً ... إِنْ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} قَالَ: هُمْ الْمُؤْمِنُونَ.
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: {الْمُتَّقِينَ} أَيُّ: الَّذِينَ يَخْذِرُونَ مِنَ اللَّهِ عُقُوبَتَهُ فِي تَرْكِ مَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْهُدَى، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ فِي التَّصَدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ.

وَعَنْ الضَّحَّاكِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: {الْمُتَّقِينَ} قَالَ: الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ الشِّرْكَ بِي، وَيَعْمَلُونَ بِطَاعَتِي.
وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، قَوْلُهُ: {الْمُتَّقِينَ} قَالَ: اتَّقُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَدُّوا مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ: سَأَلَنِي الْأَعْمَشُ عَنِ الْمُتَّقِينَ، قَالَ: فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ لِي، سَلْ عَنْهَا الْكَلْبِيُّ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى الْأَعْمَشِ، فَقَالَ: نَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ.

(1) ينظر، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/227).

(2) إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي أبو إسحاق: زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز، جاءه عبد لأبيه يحمل إليه عشرة آلاف درهم ويخبره أن أباه قد مات في بلخ وخلف له مالا عظيما، فأعتق العبد ووهبه الدراهم ولم يعبأ بمال أبيه، وكان يلبس في الشتاء فروا لا قميص تحته ولا يتعمم في الصيف ولا يحتذي، يصوم في السفر والإقامة، وينطق بالعربية = الفصحى لا يلحن، وكان إذا حضر مجلس سفیان الثوري وهو يعظ أوجز سفیان في كلامه مخافة أن يزل، وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، ينظر: الأعلام للزركلي (ج1/31)، تهذيب ابن عساكر (ج2: 167)، والبداية والنهاية (ج10: 135).

(3) النيسابوري، غرائب القرآن ورجائب الفرقان (ج1/138).

وَقَالَ قَتَادَةُ {لِلْمُتَّقِينَ} هُمُ الَّذِينَ نَعَتَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} الْآيَةَ وَالَّتِي بَعْدَهَا [البقرة: 3، 4]. واختار ابن جرير: أَنَّ الْآيَةَ نَعَمَ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ (1).

والمتقون في هذه الآية هم الذين سمت نفوسهم، فأصابت ضرباً من الهداية واستعداداً لتلقى نور الحق، والسعي في مرضاة الله بقدر ما يصل إليه إدراكهم ويبلغ إليه اجتهادهم (2).

وَفِي الْحَدِيثِ: كُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ انْتَقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (3) أَي: إِذَا اشْتَدَّ الْحَرْبُ جَعَلْنَاهُ حَاجِرًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَدُوِّ [فَكَأَنَّ الْمُتَّقِيَ يَجْعَلُ امْتِنَالَ أَمْرِ اللَّهِ وَالْإِجْتِنَابَ عَمَّا بِهِا حَاجِرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَذَابِ] وَالْمُتَّقِيَ الَّذِي يَتْرُكُ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذراً مِمَّا بِهِ بَأْسٌ، وَتَخْصِيصُ الْمُتَّقِينَ بِالذِّكْرِ تَشْرِيفٌ لَهُمْ أَوْ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِالْهُدَى (4).

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: "من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده" (5).

4- بيان فضيلة التقوى وأهلها:

والتقوى مقام شريف قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الشَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 197]

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾ [الحجرات: 13]

عن عبد الله بن عمرو، قال: "قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب، صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو النقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد" (6).

1- مراتب التقوى:

1. التوقّي عن العذاب المخلّد؛ بالتبرّي من الكفر، وعليه قوله تعالى: {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى}.
2. التجنّب عن كل ما يؤثّم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم، وهو المتعارف بالتقوى في الشرع، وهو المعني بقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا}.

(1) ينظر: ابن كثير تفسير القرآن العظيم، (ج1/163)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج1/230).

(2) أحمد المراغي، تفسير المراغي، (ج1/41).

(3) [مسلم، صحيح مسلم، المغازي/في غزوة حنين، 5/168: رقم الحديث 4639].

(4) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (ج1/82).

(5) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الأدب 4/270: رقم الحديث 7707، هذا حديث صحيح

(6) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، الزهد/الورع والتقوى، 2/1409: رقم الحديث 4216، قال الالباني صحيح، الألباني،

صحيح الترغيب والترهيب (ج3/99)

3. أن يتنزّه عما يشغل سرّه عن الحقّ ﷻ، ويتبتل إليه بكلّيته، وهو التقوى الحقيقية المأمور بها في قوله تعالى: {لَا أُيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ}.

وأقصى مراتب هذا النوع من التقوى: ما انتهى إليه همم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حيث جمعوا رياستي النبوة والولاية (1).

1- مظاهر التقوى:

وقد عدد الله تعالى أصنافاً من المتقين في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: 177] (2)، والتقوى لها مظاهر كثيرة منها:

أ- الخشية من الله قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَتَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْرَتَكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: 33]

ب- الإيمان قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: 26] أي التوحيد.

ت- التوبة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: 96] أي تابوا.

ث- الطاعة قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ أَنْذَرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل: 2]

ج- ترك المعصية قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة: 189]

(1) ينظر: محمد الأمين الهري، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/ 109)، البيضاوي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، (ج1/36)، إسماعيل حقي، روح البيان، (ج1/31).

(2) حكمت بشير ياسين، موسوعة الصحيح السبور من التفسير بالمأثور، (ج1/97).

ح- الإخلاص قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعْبًا أَلَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: 32] أي من إخلاصها. (1)

خامساً: ربط الآية بالواقع:

1- يجب على المؤمن أن يجعل له ورد يومي يقرأ فيه القرآن وأن يتدبر آياته قراءة تدبرية كما

قَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: 29]

2- وقد حذر الله ﷻ من هجر القرآن وترك تلاوته وتدبر آياته فقال تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ

أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: 24]، وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا

هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: 30]

3- يجب على المؤمن أن يطبق القرآن واقعاً عملياً في حياته وأن يكون وقافاً عند حدود الله

روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قَالَ: " الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ

وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالْأَنْزَجَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَعْمَلُ بِهِ:

كَالْتَّمْرِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ

وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالْحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ - أَوْ حَبِيثٌ - وَرِيحُهَا

مُرٌّ " (2).

4- على المؤمن أن يتعلم القرآن ويعلمه كما روى البخاري في صحيحه عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ

قَالَ: " خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ " (3).

المطلب الثاني: المتقون متصفون بالإيمان والعمل الصالح:

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: 3]

أولاً: معاني المفردات:

الإيمان: الإيمان في اللغة يُطْلَقُ عَلَى التَّصَدِيقِ الْمَحْضِ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْقُرْآنِ، وَالْمُرَادُ بِهِ ذَلِكَ، كَمَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة: 61]، وَكَمَا قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِأَبِيهِمْ: ﴿وَمَا

أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿٧﴾﴾ [يوسف: 17] (4).

(1) النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان (ج1/ 138).

(2) [البخاري، صحيح البخاري، فضائل القرآن/إثم من رآه بقرآن القرآن أو تأكل به أو فخر به، 197/6: رقم الحديث 5059].

(3) [البخاري، صحيح البخاري، فضائل القرآن/خيركم من تعلم القرآن وعلمه، 192/6: رقم الحديث 5027].

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج1/ 165).

بِالْغَيْبِ: الْعُيُوبُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كُلُّ مَا غَابَ عَنْكَ، (1) إنما هم الذين يؤمنون بما غاب عنهم من الجنة والنار، والثواب والعقاب والبعث، والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله، وجميع ما كانت العرب لا تدين به في جاهليتها، مما أوجب الله جل ثناؤه على عباده الدنيونة به دون غيرهم (2).

الصَّلَاةُ: أَصْلُهَا فِي اللَّغَةِ: الدُّعَاءُ مِنْ صَلَّى يُصَلِّي إِذَا دَعَا (3).

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ: أي يؤديونها على الوجه الأكمل بشروطها وأركانها، وخشوعها وآدابها قال ابن عباس: إقامتها: إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع (4).

رَزَقْنَاهُمْ: الرزق هو: كل ما أوجده الله تعالى في الدنيا للإنسان من صنوف الأموال وضروب المأكولات والمشروبات والملبوسات والمركوبات والمسكن، والمراد بالرزق في الآية: المال صامتاً كان أو ناطقاً.

يُنْفِقُونَ: من بعض ما آتاهم الله من مال ينفقون وذلك بإخراجهم لركاة أموالهم وبإنفاقهم على أنفسهم وأزواجهم وأولادهم ووالديهم وتصدقهم على الفقراء والمساكين (5).

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"وهم الذين يُصَدِّقُونَ بالغيب الذي لا تدركه حواسهم ولا عقولهم وحدها؛ لأنه لا يُعْرَفُ إلا بوحى الله إلى رسله، مثل الإيمان بالملائكة، والجنة، والنار، وغير ذلك مما أخبر الله به أو أخبر به رسوله ﷺ، (والإيمان: كلمة جامعة للإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والتصديق الإقرار بالقول والعمل بالقلب واللسان والجوارح) وهم مع تصديقهم بالغيب يحافظون على أداء الصلاة في مواقيتها أداءً صحيحاً وفق ما شرع الله لنبيه محمد ﷺ، ومما أعطيناهم من المال يخرجون صدقة أموالهم الواجبة والمستحبة" (6).

ثالثاً: مقاصد وأهداف الآية:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال هذه النقاط الآتية:

1- الإيمان بالله من أركان العقيدة:

من أركان الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج1/ 163).

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (ج1/ 238).

(3) الشوكاني، فتح القدير، (ج1/ 42).

(4) الصابوني، صفوة التفسير، (ج1/ 26).

(5) أبو بكر الجزائري، أيسر التفسير، (ج11/ 21).

(6) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، (ج1/ 2).

وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [النساء: 136]

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ مَا الْإِيمَانُ قَالَ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ" (1)،

2- تعريف الايمان بالغيب:

وَ"الْإِيمَانُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِلْإِقْرَارِ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَتَصْدِيقُ الْإِقْرَارِ بِالْفِعْلِ" (2)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَٰمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَٰمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]، وَهُوَ فِي الشَّرِيعَةِ: الْإِعْتِقَادُ بِالْقَلْبِ وَالْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَالْعَمَلُ بِالْأَرْكَانِ، فَسَمِيَ الْإِقْرَارُ وَالْعَمَلُ إِيمَانًا لِوَجْهِهِ مِنَ الْمُنَاسَبَةِ لِأَنَّهُ مِنْ شَرَائِعِهِ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ الْخُضُوعُ وَالْإِنْقِيَادُ فَكُلُّ إِيْمَانٍ إِسْلَامٌ وَلَيْسَ كُلُّ إِسْلَامٍ إِيْمَانًا إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ تَصْدِيقٌ، قَالَ اللَّهُ ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَٰمَنَّا قُلْ لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَّأَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: 14]، وَذَلِكَ لِأَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَكُونُ [مُسْلِمًا] فِي الظَّاهِرِ غَيْرَ مُصَدِّقٍ فِي الْبَاطِنِ وَيَكُونُ مُصَدِّقًا فِي الْبَاطِنِ غَيْرَ مُنْقَادٍ فِي الظَّاهِرِ (3).

إِذْ فِي الْغَيْبِ هُوَ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ﷻ، وَاقْرَأْ قَوْلَ الْحَقِّ ﷻ: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [آل عمران: 64]، إِلَّا مَنْ أُرْتَضِيَ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٧٧﴾ [الجن: 26 - 27]، وَهَكَذَا فَإِنَّ الرَّسُلَ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ﷻ يَعْلَمُهُمْ بِمَا يَشَاءُ مِنَ الْغَيْبِ وَيَكُونُ هَذَا مَعْجَزَةً لَهُمْ وَلَمَنْ اتَّبَعُوهُمْ وَقَمَّةَ الْغَيْبِ هِيَ الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ ﷻ، وَالْإِيْمَانُ بِمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْإِيْمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، كُلُّ هَذِهِ أُمُورٌ غَيْبِيَّةٌ، وَحِينَئِذٍ يُخْبِرُنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنِ مَلَائِكَتِهِ وَنَحْنُ لَا نَرَاهُمْ، نَقُولُ مَا دَامَ اللَّهُ قَدْ أَخْبَرَنَا بِهِمْ فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِوُجُودِهِمْ (4).

3- حقيقة الإيمان:

وَحَقِيقَةُ الْإِيْمَانِ: هُوَ التَّصْدِيقُ التَّامُّ بِمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرَّسُلَ، الْمُتَضَمِّنُ لِانْقِيَادِ الْجَوَارِحِ، وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْإِيْمَانِ بِالْأَشْيَاءِ الْمَشَاهِدَةِ بِالْحَسِّ، فَإِنَّهُ لَا يَتَمَيَّزُ بِهَا الْمُسْلِمُ مِنَ الْكَافِرِ، إِنَّمَا الشَّأْنُ فِي الْإِيْمَانِ بِالْغَيْبِ، الَّذِي لَمْ نَرَهُ وَلَمْ نَشَاهِدْهُ، وَإِنَّمَا نُؤْمِنُ بِهِ، لِخَبَرِ اللَّهِ وَخَبَرِ رَسُولِهِ، فَهَذَا الْإِيْمَانُ الَّذِي يَمَيَّزُ بِهِ الْمُسْلِمَ مِنَ الْكَافِرِ، لِأَنَّهُ تَصْدِيقٌ مُجْرَدٌ لِلَّهِ وَرُسُلِهِ، فَالْمُؤْمِنُ يُؤْمِنُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ، أَوْ أَخْبَرَ بِهِ

(1) [البخاري، صحيح البخاري، الايمان/سؤال جبريل النبي ﷺ، 19/1: رقم الحديث 50].

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج1/165).

(3) ينظر، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (ج1/82).

(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج1/127).

رسوله، سواء شاهده، أو لم يشاهده وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه، بخلاف الزنادقة والمكذابين بالأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم، وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله (1).

4- من ثمرات الإيمان بالغيب:

إن الإيمان بالغيب يجعل النفس دائماً خاضعة لا تستكف عن عبادة الله تعالى ولا تستكبر، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [لق: 33]، وإذا كان الإيمان بالغيب يولد الخشية في النفس، فذلك هو لب الإيمان كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الملك: 12] (2).

5- المتقون متصفون بإقامة الصلاة:

إن من صفات المتقين إقامة الصلاة: توفية حدودها وإدامتها، وتخصيص "الإقامة" تنبيهه على أنه لم يرد إيقاعها فقط.

ولهذا لم يأمر بالصلاة ولم يمدح بها إلا بلفظ الإقامة نحو قوله تعالى: ﴿يَبْتَغِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: 17]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: 35]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴿٤﴾﴾ [لقمان: 4] ولم يقل المصلي إلا في المنافقين قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: 4 - 5]

وذلك تنبيه أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل، كما قال عمر رضي الله عنه [الحاج قليل والركب كثير]، ولهذا قال عليه السلام: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ" (3) فذكر مع قوله عليه السلام الإقبال بقلبه على الله تنبيهاً على معنى الإقامة، وبذلك عظم ثوابه وكثير من الأفعال التي حث تعالى على توفية حقه ذكره بلفظ الإقامة نحو: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: 66]، ونحو: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴿٩﴾﴾ [الرحمن: 9] تنبيهاً على المحافظة على تعديله (4).

وإقامة الصلاة الإتيان بها مستوية مقومة معدلة قد استوفت أركانها ظاهراً وباطناً، فكانت مشتملة على الخشوع والحضور، واستحضار عظمة الله تعالى في كل لفظ يذكره، ويعبد الله بهذه العبادة، كأنه يرى

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص40).

(2) أبو زهرة، زهرة التقاسير، (ج/104).

(3) [مسلم، صحيح مسلم، الطهارة/باب الذكر المستحب عقب الوضوء، 143/1: رقم الحديث474].

(4) الراغب الاصفهاني، تفسير الراغب الاصفهاني، (ج/81).

الله ﷻ، ويتوالى ذلك في كل صلواته عامة النهار، أو أطرافاً من النهار وزلفاً من الليل، فإن كانت صلواته كذلك كان مُحسناً برقابة الله تعالى، ومن أحس برقابة الله لا يعصيه (1)، ولذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45]

6- المتقون متصفون بالإنفاق مما رزقهم الله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الأنفال: 3] فقد قدم (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) على (يُنْفِقُونَ) وفي ذلك بيان أنهم لا ينفقون من كسب خالص لهم بل إنهم ينفقون من رزق الله تعالى، فهو وحده الرزاق إن شاء أعطى، وإن شاء منع، ولست أيها المنفق ترزق نفسك إنما يرزقك الله وحده، فأنت تعطي من عنده، وتجد على نفسك وعلى عباده من عنده، فالتقديم للقصر أولاً، وللاهتمام بالإنفاق ثانياً (2).

والإنفاق في سبيل الله فضله كبير وثوابه عظيم يدل على ذلك آيات كثيرة نذكر بعض منها على سبيل المثال لا للحصر قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 262]

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبَائِمِ الْغَيْظِ وَالْعَافِيَةِ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]

وكثير من الأحاديث الشريف التي تتحدث عن فضل النفقة منها ما روى الترمذي عن خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ (3) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَتَبْتُ لَهُ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ " (4).

(1) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، (ج1/105).

(2) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، (ج1/108).

(3) خريم بن فاتك أبو أيمن الأسدي، واسم أبيه الأخرم بن شداد، [أبو يحيى] [الوفاة: 41 - 50 هـ] وَخُرَيْمٌ هُوَ أَخُو سَبْرَةَ، وَوَالِدُهُ فَاتِكٌ، قِيلَ: إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا، وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَنْ كَعْبِ رَوَى عَنْهُ: ابْنُهُ فَاتِكٌ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَبْنُ عَبَّاسٍ، وَنَزَلَ الرَّقَّةَ، وَبِهَا تُوفِّيَ رَمَنْ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " نِعَمَ الرَّجُلِ أَنْتَ يَا خُرَيْمُ لَوْلَا خُلَّتَيْنِ فِيكَ "، فُلْتُ: وَمَا هُمَا؟ قَالَ: " إِسْبَالُكَ إِزَارَكَ وَإِرْحَاؤُكَ شَعْرَكَ " قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: كُنِيته أبو يحيى، شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (ج/406).

(4) [الترمذي، سنن الترمذي، فضائل الجهاد/باب، ما جاء النفقة في سبيل الله، 176/4: رقم الحديث 1625]، قال الألباني صحيح، الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/ 1054)

وروى البخاري عن سعد بن أبي وقاصٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ" (1)
 رابعاً: ربط الآية بالواقع:

"أنه سبحانه ذكر في الآية الإيمان، وهو بالقلب، ثم الصلاة وهي بالبدن، ثم الإنفاق وهو بالمال، وهو مجموع كل العبادات، ففي الإيمان النجاة، وفي الصلاة المنجاة، وفي الإنفاق الدرجات، وفي الإيمان البشارة، وفي الصلاة الكفارة، وفي الإنفاق الطهارة، وفي الإيمان العزة، وفي الصلاة القربة، وفي الإنفاق الزيادة" (2).

المطلب الثالث: المؤمنون شهد الله بهدايتهم وفلاحهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: 4 - 5]
 أولاً: معاني المفردات:

يُوقِنُونَ اليقين: هو الاعتقاد الذي لا يقبل الشك، وهو حقيقة العلم (3).

ثانياً: البلاغة:

"تكرير الإشارة {أولئك على هدى} {وأولئك هم المفلحون} للناية بشأن المتقين، وجيء بالضمير {هم} ليفيد الحصر كأنه قال: هم المفلحون لا غيرهم" (4).

ثالثاً: المناسبة بين الآيات:

المناسبة بين الآية الرابعة والثالثة:

"فإنه بعد أن أخبر أن القرآن هدى للمؤمنين الذين آمنوا بعد الشرك وهم العرب من أهل مكة وغيرهم ووصفهم بالذين يؤمنون بالغيب لأنهم لم يكونوا يؤمنون به حين كانوا مشركين، ذكر فريفاً آخر من المؤمنين وهم الذين آمنوا بما أنزل من الكتب الإلهية قبل بعثة محمد ﷺ ثم آمنوا بمحمد، وهؤلاء هم مؤمنو أهل الكتاب وهم يؤمنون اليهود الذين كانوا كثيرين في المدينة وما حولها في فريضة والنضير وخيبر مثل عبد الله بن سلام، وبعض النصارى مثل صهيب الرومي ودحية الكلبي، وهم وإن شاركوا مسلمي العرب في الإهداء بالقرآن والإيمان بالغيب وإقامة الصلاة فإن ذلك كان من صفاتهم قبل مجيء الإسلام فذكرت لهم خصلة أخرى زائدة على ما وصف به المسلمون الأولون" (5).

(1) [البخاري، صحيح البخاري، الإيمان/باب ما جاء إن الاعمال بالنية، 20/1: رقم الحديث 56].

(2) محمد الأمين الهري، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، (ج 1/ 115).

(3) وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج 1/ 73).

(4) الصابوني، صفوة التفسير (ج 1/ 26).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج 1/ 237).

المناسبة بين الآية الخامسة والرابعة:

"ذكر الله تعالى ما تحلى به المتقون الذين يؤمنون بما غيَّبَهُ اللهُ تعالى عنهم، ودلت عليه الفطرة، والذين يقيمون الصلاة، وينفقون مما رزقهم الله تعالى، ويؤمنون بالرسالات الإلهية، ويوقنون بالآخرة، وبعد أن ذكر هذا ذكر ﷺ حُكْمَهُ - تعالت كلماته - عليهم، مؤكداً ذلك، فقال: (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ) وأولئك: إشارة إلى حالهم موصوفين بهذه الصفات قائلين بهذه الصفات، والإشارة إلى الصفات وتعقيب الحكم بعد الإشارة يَوْمِيَّ إلى أن هذه الصفات هي علة الحكم بأنهم على هدى من ربهم، وكررت الإشارة لبيان أن هذه الصفات أيضاً هي سبب الفوز بالنعيم المقيم، والبعد عن العذاب الأليم، فالتكرار للتبنيه على أنها سبب للثانية كما هي سبب للأولى" (1).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"والذين يُصَدِّقُونَ بما أنزل إليك أيها الرسول من القرآن، وبما أنزل إليك من الحكمة، وهي السنة، وبكل ما أنزل من قبلك على الرسل من كتب، كالتوراة والإنجيل وغيرهما، ويصَدِّقُونَ بدار الحياة بعد الموت وما فيها من الحساب والجزاء، تصديقا بقلوبهم يظهر على ألسنتهم وجوارحهم وخص يوم الآخرة بالذكر، لأن الإيمان به من أعظم البواعث على فعل الطاعات، واجتناب المحرمات، ومحاسبة النفس، أصحاب هذه الصفات على نور من ربهم وبتوفيق من خالقهم وهاديتهم، وهم الفائزون الذين أدركوا ما طلبوا، وَنَجَّوْا مِنْ شَرِّ مَا مِنْهُ هَرَبُوا" (2).

خامساً: مقاصد وأهداف الآية:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- المتقون يؤمنون بالآخرة:

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 4] واليقين ثلاث درجات وهي:

يقين عيان، ويقين خبر، ويقين دلالة.

فأما يقين العيان: إذا رأى شيئاً، زال عنه الشك في ذلك الشيء.

وأما يقين الدلالة: هو أن يرى دخاناً يرتفع من موضع، يعلم باليقين أن هناك ناراً وإن لم يراها.

وأما يقين الخبر: فإن الرجل يعلم باليقين أن في الدنيا مدينة يقال لها بغداد، وإن لم يكن يعاينها.

فها هنا يقين خبر، ويقين دلالة، أن الآخرة حق ولكن تصير معاينة عند الرؤية (3).

(1) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، (ج/112).

(2) نخبة من أسانذة التفسير، التفسير الميسر (ج/1/2).

(3) السمرقندي، بحر العلوم، (ج/1/23).

2- الأمة الإسلامية تؤمن بكل الأنبياء :

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: 4]، أن الإسلام دين الوجدانية، ودين الوحدة الإنسانية، ودين الرسالة الإلهية التي لا تفرق بين نبي ونبي إلا في آيات الله تعالى المثبتة للرسالة التي تخص كل نبي، وكلها يجب الإيمان به وتصديقه، ومن لم يصدق فقد كفر (1)، و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُم بِحَسَبِ عَمَلِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: 152] و قَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: 285]، "وهي الصفة اللانقطة بالأمة المسلمة، وارثة العقائد السماوية، ووارثة النبوات منذ فجر البشرية، والحافظة على تراث العقيدة وتراث النبوة، وهادية موكب الإيمان في الأرض إلى آخر الزمان، وقيمة هذه الصفة هي الشعور بوحدة البشرية، ووحدة دينها، ووحدة رسلها، ووحدة معبودها، قيمتها هي تنقية الروح من التعصب الذميص ضد الديانات والمؤمنين بالديانات ما داموا على الطريق الصحيح، قيمتها هي الاطمئنان إلى رعاية الله للبشرية على تطاول أجيالها وأحقابها، هذه الرعاية البادية في توالي الرسل والرسالات بدين واحد وهدى واحد، قيمتها هي الاعتزاز بالهدى الذي تتقلب الأيام والأزمان، وهو ثابت مطرد، كالنجم الهادي في دياجير الظلام" (2).

3- شهد الله بهداية المتقين :

والدليل على ذلك أن أدخلهم الجنة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الذاريات: 15] و قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان: 51] والله مع المتقين قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: 123] والله ولي المتقين قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: 19] والله يحب المتقين قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: 7] "وروي الحاكم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقراً: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا عَلَى أَرْجُلِهِمْ يُحْشَرُونَ، وَلَا يُسَافُونَ سَوْقًا، وَلَكِنَّهُمْ يُؤْتُونَ بِنُوقٍ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ لَمْ تَنْظُرِ الْخَلَائِقُ إِلَى مِنْطَلِهَا، رِحَالُهُمُ الذَّهَبُ وَأَزْمَتُهَا الزَّبْرَجْدُ فَيَقْعُدُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَعُوا بَابَ الْجَنَّةِ" (3).

(1) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، (ج1/111).

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، (ج1/41).

(3) [الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الاحوال، 4 / 609: رقم الحديث 8688]، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخْرَجْهُ.

4- الفلاح يرجع إلى ثلاثة أشياء :

- أ- الظفر على النفس فلم يتابعوا هواها والدنيا فلم يطغوا بزخارفها والشيطان فلم يفتنوا بوساوسه وقرناء السوء فلم يبتلوا بمكروهااتهم
- ب- النجاة من الكفر والضلالة والبدعة والجهالة وغرور النفس ووسوسة الشيطان وزوال الإيمان وفقد الأمان ووحشة القبور وأهوال النشور وزلة الصراط وتسليط الزبانية الشداد الغلاظ وحرمان الجنان ونداء القطيعة والهجران.
- ت- البقاء في الملك الأبدي والنعيم سرمدي، ووجدان ملك لا زوال له ونعيم لا انتقال له وسرور لا حزن معه وشباب لا هرم معه وراحة لا شدة معها وصحة لا علة معها ونيل نعيم لا حساب معه ولقاء لا حجاب له (1).

5- المعنى العام للفلاح هو الفوز والمُفْلِحُ هو الفائز.

ومعنى الآية الكريمة أولئك هم الفائزون وقال: «هم المفلحون»: ومن هنا جاءت كلمة (المفلحون) ليعطينا الحق ﷻ من الأمور المادية المشهودة ما يعين عقولنا المحدودة على فهم الغيب، فيشبه التكليف وجزاءه في الآخرة بالبذور والفلاحة، أولاً لأنك حين ترمي بذرة في الأرض تعطيك بذوراً كثيرة، وقرأ قول الله ﷻ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: 261]، وإذا كانت الأرض وهي المخلوقة من الله تهبك أضعاف أضعاف ما أعطيتها، فكيف بالخالق؟ وكم يضاعف لك من الثواب في الطاعة؟ هذا هو السبب في أن الحق تبارك وتعالى يقول: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلِحُونَ﴾، حتى يلفتنا بمادة الفلاحة وهي شيء موجود نراه ونشده كل يوم.

وكما أن التكليف يأخذ منك أشياء ليضاعفها لك، كذلك الأرض أخذت منك حبة ولم تعطك مثل ما أخذت، بل أعطتك بالحبة سبعمئة حبة، وهكذا نستطيع أن نصل بشيء مشهود يُفَصِّلُ لنا شيئاً غيبياً (2).

في تكرير «أولئك» تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين، ووسط العاطف بينهما لاختلاف خبريهما بخلاف قوله ﴿وَأُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179] فإن التسجيل عليهم بالغفلة وعدّهم من جملة الأنعام شيء واحد (3).

(1) إسماعيل حقي، روح البيان، (ج/1/44).

(2) ينظر، تفسير الشعراوي، (ج/136، 134).

(3) النيسابوري، غرائب القرآن ورجائب الفرقان (ج/ 148).

و "دعوة المؤمنين وترغيبهم في الاتصاف بصفات أهل الهداية والفلاح، ليسلكوا سلوكهم فيهدتوا ويفلحوا في دنياهم وأخراهم" (1).

و "حكم لهم بالفلاح ولم يصلوا بعد إلى الجنة، لأن المعنى أنهم يصلون إلى البغية والبقاء بكونهم على الهدى، أو كأنهم قد وصلوا للثقة بالموعود لهم، وقيل: هم على هدى في الحال، وهم المفلحون في المال" (2).

أن الفلاح مرتب على الاتصاف بما ذُكر؛ فإن اختلفت صفة منها نقص من الفلاح بقدر ما اختلف من تلك الصفات؛ لأن الصحيح من قول أهل السنة والجماعة، والذي دلّ عليه العقل والنقل، أن الإيمان يزيد، وينقص، ويتجزأ؛ ولولا ذلك ما كان في الجنات درجات: هناك رتب كما جاء في الحديث: "إن أهل الجنة ليتراءون أصحاب الغرف كما تتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق؛ قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال ﷺ لا؛ والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين" (3)، أي ليست خاصة بالأنبياء (4).

سادساً: ربط الآية بالواقع:

أ- لكي تكون من المفلحين يجب أن تؤمن بالغيب، والجنة والنار، والحساب والعقاب والصراف والميزان وأن الله قادر على إحياء الموتى، وأن تقيم الصلاة خالصة وخاشعة وأن تؤديها في أوقاتها جماعة وأن تخرج الزكاة إلى مستحقيها هذا يجب ان ينعكس على سلوكك وأخلاقك ومعاملاتك، وأن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب وأن تبلغ هذا الدين إلى الناس بالحكمة والموعظة الحسنة.

ب- "أن الهداية الموصلة إلى الفلاح الأبدي لا تحصل إلا لمن اتصف بالتقوى، وآمن بالغيب الذي أخبر به محمد ﷺ وأقام الصلاة المفروضة، وأنفق في الواجبات مما رزقه الله تعالى، وآمن بالكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ وعلى الرسل قبله عليهم الصلاة والسلام، وأيقن مجيء الدار الآخرة" (5).

(1) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 22).

(2) الواحدي، التفسير البسيط (ج2/ 87).

(3) [البخاري، صحيح البخاري، بدء الخلق/ ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، 4/ 119: رقم الحديث 3256].

(4) العثيمين، تفسير لفاتحة والبقرة، (ج1/ 35).

(5) محمد الأمين، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/ 125).

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (6-7)

المطلب الأول: جحود الكافرين وعدم هدايتهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6]

أولاً: معاني المفردات:

الكُفْرُ: نقيض الإيمان، ويقال لأهل دار الحرب: قد كفروا، أي: عصوا وامتنعوا، والكُفْرُ: نقيض الشكر، كَفَرَ النعمة، أي: لم يشكرها (1).

"سَوَاءٌ": بمعنى مُسْتَوٍ انذارهم وعدمه، إذ لا فائدة منه لحكم الله بعدم هدايتهم.

أَنذَرْتَهُمْ: الإنذار التخويف بعاقبة الكفر والظلم والفساد" (2).

ثانياً: البلاغة:

"سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ فِيهِ التَّيْسُ مِنْ إِيمَانِ الْكَافِرِ، بسبب عدم استعدادهم للإيمان" (3).

ثالثاً: أسباب النزول:

عن ابن عباس روى أنّ هذه الآية نزلت في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة على عهد رسول الله ﷺ، توبيخاً لهم في جحودهم نبوة محمد ﷺ وتكذيبهم به، مع علمهم به ومعرفتهم بأنه رسول الله إليهم وإلى الناس كافة.

وعن ابن عباس: أن صدر سورة البقرة إلى المائة منها، نزل في رجال سمّاهم بأعيانهم وأنسابهم من أحبار يهود، من المنافقين من الأوس والخزرج (4).

رابعاً: المناسبات:

"لما ذكر تعالى صفات المؤمنين في الآيات السابقة، أعقبها بذكر صفات الكافرين، ليظهر الفارق الواضح بين الصنفين، على طريقة القرآن الكريم في المقارنة بين الأبرار والفجار، والتمييز بين أهل السعادة وأهل الشقاوة «وبضدها تتميز الأشياء»" (5).

خامساً: المعنى الإجمالي للآية:

"يخبر تعالى أن الذين كفروا، أي: اتصفوا بالكفر، وانصبغوا به، وصاروصفا لهم لازماً، لا يردعهم عنه رادع، ولا ينجع فيهم وعظ، إنهم مستمرّون على كفرهم، فسواء عليهم أنذرتهم، أم لم تنذرهم لا

(1) الفراهيدي، كتاب العين (ج5/356).

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/22).

(3) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/77).

(4) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج1/251).

(5) الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/27).

يؤمنون، وحقيقة الكفر: هو الجحود لما جاء به الرسول، أو جحد بعضه، فهؤلاء الكفار لا تفيدهم الدعوة إلا إقامة الحجة، وكأن في هذا قطعاً لطمع الرسول ﷺ في إيمانهم، وأنت لا تأس عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات" (1).

سادساً: مقاصد وأهداف الآية:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- أنواع الكفر بالله:

وَالْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ: كُفْرُ إِنْكَارٍ، وَكُفْرُ جَحُودٍ، وَكُفْرُ عِنَادٍ، وَكُفْرُ نِفَاقٍ:

فكفر الإنكار: هو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، ككفر فرعون، حيث قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [الفصص: 38].

وَكُفْرُ الْجَحُودِ: هُوَ أَنْ يَعْرِفَ اللَّهُ بِقَلْبِهِ وَلَا يَعْتَرِفَ بِلِسَانِهِ ككفر إبليس لعنه الله وَكُفْرِ الْيَهُودِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَمَا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 89].

وَكُفْرُ الْعِنَادِ: هُوَ أَنْ يَعْرِفَ اللَّهُ بِقَلْبِهِ وَيَعْتَرِفَ بِلِسَانِهِ وَلَا يَدِينُ بِهِ ككُفْرِ أَبِي طَالِبٍ حَيْثُ يَقُولُ:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الدُّنْيَا دِينًا

لَوْلَا الْمَلَأَةُ أَوْ حَدَارٍ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

وَأَمَّا كُفْرُ النِّفَاقِ: فَهُوَ أَنْ يُقَرَّ بِاللِّسَانِ وَلَا يَعْتَقِدَ بِالْقَلْبِ، وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ سَوَاءٌ فِي أَنْ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى بِوَاحِدٍ مِنْهَا لَا يُعْفَرُ لَهُ (2).

2- حرمان الجاحدين من الهداية:

مضت سنة الله تعالى في أهل العناد والمكابرة والإصرار: بأن يحرمهم الله تعالى الهداية، وذلك بتعطيل حواسهم حتى لا ينتفعوا بها فلا يؤمنوا ولا يهتدوا (3).

3- الحكمة من دعوة الكافرين الجاحدين للحق:

إذا علم أنهم لا يؤمنون، فما معنى دعوتهم إلى الإسلام؟ قيل له: لأن في الدعوة زيادة الحجة عليهم، كما إن الله تعالى بعث موسى إلى فرعون ليدعوه إلى الإسلام وعلم أنه لا يؤمن، وجواب آخر: أن الآية خاصة، وليست بعامة، وإنما أراد به بعض الكفار الذين ثبتوا على كفرهم، كما روي عن صفية بنت حيي بن أخطب قالت: "رجع أبي وعمي من عند رسول الله ﷺ، فقال أحدهما لصاحبه: ما ترى في هذا الرجل؟ فقال: إنه نبي، فقال: ما رأيك في اتباعه؟ فقال: رأيي أن لا أتبعه، وأن أظهر له

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص41).

(2) ينظر، الفراهيدي، كتاب العين، (ج5/356)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (ج1/86)، الشيخ العلامة

محمد الأمين، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/138).

(3) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/22).

العداوة إلى الموت، فلما نزلت الآية في شأن مثل هؤلاء الذين قد ظهر لهم الحق وكانوا لا يؤمنون فقال: **أَنْذَرْتَهُمْ وَأَصْلَ الْإِنذَارِ هُوَ الْإِعْلَامُ**، يعني خوفتهم بالنار، وأعلمتهم بالعذاب أو لم تعلمهم، فهو سواء ولا يصدقونه" (1)

وقيل لثبات الرسول على محاجة المعاندين (2) وفي هذا تسلية للنبي ﷺ على تكذيب قومه له (3) فإن قيل: إذا علم أنه لا ينجح فيهم الإنذار، فما فائدة حث النبي ﷺ على إنذارهم؟ قيل: قد بين الله تعالى في الآية ما هو تنبيهه على الجواب عن ذلك، لأنه قال: " سواء عليهم "، ولم يقل: عليك، ليبقى للنبي فضل الإنذار والسعي، ففي إبلاغه فائدتان: فائدة له في استحقاق الثواب لما تكلفه من المشاق، وفائدة لهم أن قبلوا، فهم وإن حرموا فائدة القبول، فإنه ﷺ لم يحرم فائدة الإبلاغ، وعلى ذلك قال: **{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}** تنبيهاً على هذا المعنى (4).

4- سبب كفر وجحود المشركين واليهود:

الأخبار من اليهود غطوا أمر محمد ﷺ وكتّموه الناس مع علمهم بنبوته، ووجّدهم صفة في كتبهم فقال الله جل ثناؤه فيهم: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾** [البقرة: 159]، وهم الذين أنزل الله ﷻ فيهم: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [البقرة: 6] (5)، وسبب كفرهم وعنادهم: للحق بعد معرفته، وقد كان من هذا الصنف جماعة من المشركين واليهود في زمن النبي ﷺ، كأبي جهل وأضرابه، وأخبار اليهود، ككعب بن الأشرف وإما إعراض عن معرفته، واستكبار عن النظر فيه.

والمعرضون عن الحق يوجدون في كل زمان ومكان، وهؤلاء إذا طاف بهم طائف الحق لوّوا رؤوسهم، واستكبروا، وهم معرضون، وفيهم يقول تبارك وتعالى: **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾** (6) **﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۗ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾** [الأنفال: 22-23] (6).

(1) السمرقندي، بحر العلوم (ج1/ 24).

(2) النيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن (ج1/ 66).

(3) الشيخ العلامة محمد الأمين، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج/ 137).

(4) الراغب، تفسير الراغب الأصفهاني (ج/ 89).

(5) ينظر، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (ج/ 255).

(6) الشيخ العلامة محمد الأمين، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/ 139).

5- الحكمة في الإخبار بعدم إيمان هذه الكافرين الجاحدين من الكفار، تسلية النبي ﷺ حتى لا يكون في صدره حرج من تمردهم وعدم إيمانهم بعد أن قام بواجب دعوتهم، وفي ذلك تذكرة لكل داع مصلح بأن لا يحترق قلبه أسفاً على قوم أعرضوا عن سلوك الصراط المستقيم بعد أن دعاهم إليه، وبذل قصارى جهده في تبصيرهم وإرشادهم (1).

سابعاً: ربط الآية بالواقع:

هذه الآية نزلت في اليهود الذين علموا صدق النبي ﷺ ولكنهم لم يؤمنوا به وتامروا عليه وحرصوا على قتاله وحاولوا قتله وكفروا بالله فلم ينفعهم النذير، والآن في العصر الحاضر بعد أن سلبوا أرضنا وهجرونا من ديارنا وقتلوا أبنائنا، هؤلاء اليهود لن ينفع معهم المفاوضات والسلام، ولن يخرجهم من ديارنا إلا الجهاد والقتال في سبيل الله فالله سبحانه وتعالى أمر النبي ﷺ بقتالهم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا جَاهِدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاَعْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: 73].

المطلب الثاني: عقاب الكافرين الجاحدين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7]

أولاً: معاني المفردات:

"ختم الله: طبع، إذ الختم والطبع واحد وهو وضع الخاتم أو الطابع على الظرف حتى لا يعلم ما فيه، ولا يتوصل إليه فيبدل أو يغير.

الغشاوة: الغطاء يغطي به ما يراد منع وصول شيء إليه.

العذاب: الألم يزيل عدوية الحياة ولذتها" (2).

ثانياً: البلاغة:

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ استعارة تصريحية، شبه قلوبهم لتأبيها عن الحق بالوعاء المختوم عليه، واستعارة لفظ الختم بطريق الاستعارة التصريحية، للتصريح بلفظ المشبه به وحذف المشبه وأداة التشبيه ووجه الشبه. وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ: التكرير فيه للتعظيم والتهويل، ثم وصفه مع ذلك بعظيم يدل على أنه بالغ حدَّ العظمة كما وكيفا، فهو شديد الإيلام، وطويل الزمان (3).

(1) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (ج1/50).

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/23).

(3) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/77).

ثالثاً: المناسبة:

"اعلم أنه - تعالى - لما بيّن في الآية الأولى أنّهم لا يؤمنون أخبر في هذه الآية السبب الذي لأجله لم يؤمنوا وهو الختم" (1).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"هؤلاء قد تمكن الكفر منهم حتى كأن قلوبهم مختوم عليها بحجاب لا يدخلها غير ما فيها، وكأن أسماعهم مختوم عليها كذلك، فلا تسمع وعده الحق، وكأن أبصارهم قد غشيها غطاء فهي لا تدرك آيات الله الدالة على الإيمان، ولذلك استحقوا أن ينالهم العذاب الشديد" (2).

خامساً: مقاصد وأهداف الآية:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- الختم على قلوبهم وسمعهم:

لقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ يعني لا يصل إليها الخير وأن طرق الهدى إما بالسمع؛ وإما بالبصر: لأن الهدى قد يكون بالسمع، وقد يكون بالبصر؛ بالسمع فيما يقال؛ وبالبصر فيما يشاهد؛ وهكذا آيات الله عز وجل تكون مقروءة مسموعة؛ وتكون بيّنة مشهودة (3).

2- المراد بالختم على القلوب والسمع:

الختم على القلوب بمعنى عدم وعي الحق، وإلقاء الغشاوة على المسامع والأبصار: بمعنى عدم فهمهم للقرآن إذا تلي عليهم، أو بمعنى عدم نظرهم في مخلوقات الله، أو بمعنى أنهم دعوا إلى وحدانية الله فلم يؤمنوا، وكل ذلك إنما كان بسبب كفرهم وجحودهم، لا بسبب في القرآن أو تقصير من محمد أو أحد بعده في هدايتهم، فهم المتسببون لكل ذلك، المعرضون عن استخدام وسائل المعرفة السليمة في اعتقاد الحق والعمل به.

فدلّ تعبير الختم والطبع على القلوب والأسماع والأبصار على تمكّن الكفر في قلوبهم، حتى فقدوا الدواعي والأسباب التي ترشدهم إلى النظر والتفكير في أدلة الإيمان ومحاسنه، وأصبحوا في هيئة أو عادة تألف الجحود والعصيان، وقد أسند الختم على قلوبهم وعلى أسماعهم وأبصارهم إلى الله تعالى، تنبيهاً على سنة الله في أمثالهم، لا على أنهم مجبورون على الكفر، ولا على منع الله تعالى إياهم من الإيمان بالقهر، وإنما هو تمثيل لسنته تعالى في تأثير تمرّسهم على الكفر وإعماله في قلوبهم (4).

(1) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (ج/ 320).

(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، (ص4).

(3) محمد بن صالح العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، (ج1/38).

(4) يُنظر، الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/78).

"وَتَكَرَّرُ حَرْفُ الْجَزْرِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْخَتْمَ خَتْمَانِ، أَوْ عَلَى التَّوَكُّيدِ، إِنْ كَانَ الْخَتْمُ وَاحِدًا فَيَكُونُ أَدَلُّ عَلَى شِدَّةِ الْخَتْمِ" (1).

"ويقول محمد أبي زهرة: وتكرر على في قوله: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ) للدلالة على تقوية الختم، وتأكيده بحيث لا يصل إلى النفس منه شيء عن طريق القلب المدرك أو السمع الواعي" (2).

3- الحكمة من الختم على القلوب والسمع:

لأن القلب هو مكان العقائد، ولذلك فإن القضية تناقش في العقل فإذا انتهت مناقشتها واقتنع بها الإنسان تماماً فإنها تستقر في القلب ولا تعود إلى الذهن مرة أخرى وتصبح عقيدة وإيماناً، والحق ﷻ يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46] 3-

4- سبب الختم على قلوبهم وسمعهم:

هذا الختم له سبب من انفسهم وهو كفرهم وجحودهم المتعمد للحق رغم معرفته كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥] قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: 13] (4).

5- الحكمة من تقديم ختم القلب على السمع وتغشية البصر:

قدم الله القلب على السمع في تلك الآية لأنه يريد أن يعلمنا منافذ الإدراك: وفي القرآن الكريم يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]، وفي هذه الآية التي نحن بصددنا بدأ بالأهم فالمهم (5).

6- الحكمة من جمع القلوب والأبصار وإفراد السمع:

عبر عن ختم قلوبهم وسمعهم بجمع القلوب، وإفراد السمع؛ لأن الأسباب التي تغلق القلب متعددة، بتعدد أصناف الهوى، فكان كل واحدة تسكن قلباً، وتتعدد القلوب بتعدد ما ملأها من أهواء، وتتضافر هذه الأهواء، وأفرد السمع؛ لأنه طريق واحد، وجارحة واحدة، ونور الحق واحد، وصوته واحد، ولكن لا يسمع (6)، وذكر الأبصار بالجمع بدل الإفراد لتعدد المبصرات الموجهة التي يتوجه البصر إليها،

(1) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (ج 1/ 81).

(2) محمد أبي زهرة، زهرة التفسير، (ج 1/ 119).

(3) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج 1/ 142).

(4) محمد بن صالح العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، (ج 1/ 38).

(5) محمد متولي الشعراوي، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(6) محمد أبي زهرة، المرجع السابق، نفس الصفحة.

فسماء ذات أبراج، وأرض ذات أوتاد، وماء ينزل من السماء، ومرسلات حاملات للرياح، وخلق مجدد مستمر، وحياة وموت، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: 17 - 20]، وهكذا تتعدد المبصرات، وفيها الآيات البينات الدالة على قوة القادر على كل شيء، القاهر فوق عباده. فلتعدد هذه المبصرات ذكرت الأبصار بالجمع لا بالمفرد، والله بكل شيء محيط (1).

7- الغشاوة على الإبصار:

"أَمَّا الْغِشَاوَةُ فَحَقِيقَتُهَا الْغِطَاءُ الْمَانِعُ مِنَ الْإِبْصَارِ وَمَعْلُومٌ مِنْ حَالِ الْكُفَّارِ خَلْفَ ذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنْ حَمَلِهِ عَلَى الْمَجَازِ، وَهُوَ تَشْبِيهُ حَالِهِمْ بِحَالِ مَنْ لَا يَنْتَعِعُ بِبَصَرِهِ فِي بَابِ الْهِدَايَةِ" (2).
"وَجَعَلَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً، يَقُولُ: عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَلَا يُبْصِرُونَ" (3).

8- العذاب العظيم:

"(وَلَهُمْ) أَيُّ لِلْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ (عَذَابٌ عَظِيمٌ) نَعْتُهُ. وَالْعَذَابُ مِثْلُ الصَّرْبِ بِالسَّوْطِ وَالْحَرْقِ بِالنَّارِ وَالْقَطْعِ بِالْحَدِيدِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْلَمُ الْإِنْسَانُ، وَفِي التَّنْزِيلِ: "وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" [النور: 2] وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْحَبْسِ وَالْمَنْعِ" (4).

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى العذاب بأنه أليم، وبأنه مهين، وبأنه عظيم العذاب الأليم هو الذي يسبب ألماً شديداً، والعذاب المهين هو الذي يأتي لأولئك الذين رفعهم الله في الدنيا، وأحياناً تكون الإهانة أشد إيلاماً للنفس من ألم العذاب نفسه، أولئك الذين كانوا أئمة الكفر في الدنيا، يأتي بهم الله تبارك وتعالى يوم القيامة أمام من اتبعوهم فيهمينهم، أما العذاب العظيم فإنه منسوب إلى قدرة الله ﷻ لأنه بقدرات البشر تكون القوة محدودة، أما بقدرات الله جل جلاله تكون القوة بلا حدود، لأن كل فعل يتناسب مع فاعله وقدرة الله ﷻ عظيمة في كل فعل، وبما أن العذاب من الله جل جلاله فإنه يكون عذاباً عظيماً (5).

(1) يُنظر، محمد أبي زهرة، زهرة التفاسير، (ج/119).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج/2/294)

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج/1/175)

(4) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج/1/192)

(5) ينظر، محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج/1/145)

سادساً: ربط الآية بالواقع:

- 1- الغفلة عن العبادات، وذلك يورث صاحبها جسارة على ارتكاب الذنوب، وهي المشار إليها بقوله ﷺ: " إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كان نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى يغلق قلبه " (1).
- 2- الجسارة على ارتكاب المحارم، إما الشهوة تدعوه إليه أو شرارة تحسنه في عينه، وذلك يورثه وقاحة، وهي المعبر عنها بالران في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]
- 3- الضلال، وهو أن يسبق إلى اعتقاد مذهب باطل، وأعظمه الكفر، فلا يكون منه تلفت بوجه إلى الحق، وذلك يورثه هيئة تمرنه على استحسانه للمعاصي واستقباحه للطاعات، وهو المعبر عنه بالختم والطبع، وكما عبر عنه بذلك في قوله تعالى: ﴿وَحَنَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ فقد عبر عنه بالإفقال في قوله تعالى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وبالإغفال في قوله: ﴿وَلَا تُطْع مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ وبقساوة القلب في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ وبجعل أكنة عليها في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ وبعدم العقل في آيات كثيرة (2).

(1) [ابن ماجة، سنن ابن ماجة، الزهد/ذكر الذنوب، 2/ 1418: رقم الحديث 4244]، قال الالباني حسن، الألباني،

صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (ج9/ 244)

(2) ينظر، الراغب الاصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني (ج1/ 90).

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (8-20)

المطلب الأول: تعريف المنافقين وخداعهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: 8 - 10]

أولاً: المعاني للمفردات:

وَمِنَ النَّاسِ: من بعض الناس، لفظ الناس مشتق من الناس، ينوس إذا تحرك كذا قيل: وهل هو من النسيان، أو الإنس الكل محتمل لأن آدم نسي ولأنه حصل له الأُنس بحواء
مَنْ يَقُولُ ءَامَنًا بِاللَّهِ: صدقنا بالله ربا وإلها لا إله غيره ولا رب سواه، أي اعتقدنا على علم إن الله لا إله إلا هو ولا رب سواه، إذ الإيمان: التصديق الجازم بوجود الله تعالى ربا وإلها موصوفاً بالكمال منزهاً عن كل نقصان، والتصديق بكل ما أمر الله تعالى بالإيمان به من الملائكة والكتب، والرسول والبعث والقدر (1).

وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ: صدقنا بالبعث والجزاء يوم القيامة.

يُخَادِعُونَ، الخِدَاع: المكر والاحتتيال وإظهار خلاف الباطن، وأصله الإخفاء ومنه سُمي الدهرُ خادعاً لما يخفي من غوائله، وسُمي المُخَدَعُ مُخَدَعاً لتستر أصحاب المنزل فيه (2).
وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ: إذ عاقبة خداعهم تعود عليهم لا على الله ولا على رسوله ولا على المؤمنين.

وَمَا يَشْعُرُونَ: لا يعلمون أن عاقبة خداعهم عائدة عليهم (3).

مَرَضٌ، المرض: السُّمُّ وهو ضد الصحة وقد يكون حسياً كمرض الجسم، أو معنوياً كمرض النفاق ومرض الحسد والرياء.

عَذَابٌ أَلِيمٌ: موجع شديد الوقع على النفس (4).

(1) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (ج1/24).

(2) الصابوني، صفوة التفاسير، (ج1/28).

(3) أبو بكر الجزائري، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(4) الصابوني، المرجع السابق، نفس الصفحة.

ثانياً: البلاغة:

"(وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) المتبادر أن يقال: «وما آمنوا» ليطابق قوله مَنْ يَقُولُ آمَنَّا ولكنه عدل عن الفعل إلى الاسم، لإخراجهم من عداد المؤمنين، وأكد بالباء مبالغة في تكذيبهم. (يُخَادِعُونَ اللَّهَ) استعارة تمثيلية، شبه حالهم مع ربهم في إظهار الإيمان وإخفاء الكفر بحال رعية تخادع سلطانها، وأستعير المشبه به للمشبه بطريق الاستعارة. (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) كناية، كتى بالمرض في القلب عن النفاق، لأن المرض فساد للجسد، والنفاق فساد للقلب" (1).

ثالثاً: المناسبة:

ذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم، وثى بأضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً ولم يلتفتوا لفتة رأساً، ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين، وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلاً للتقسيم، وهم أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله لأنهم موهوا الكفر وخطوا به خداعاً واستهزاءً، ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم، وتهكم بأفعالهم وسجل على عمهم وطغيانهم، وضرب لهم الأمثال وأنزل فيهم قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145]، وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة الْمُصِرِّينَ (2).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"من الناس فريق يتردد متحيراً بين المؤمنين والكافرين، وهم المنافقون الذين يقولون بألسنتهم: صدقنا بالله وباليوم الآخر، وهم في باطنهم كاذبون لم يؤمنوا يعتقدون بجهلهم أنهم يخادعون الله والذين آمنوا بإظهارهم الإيمان وإضمارهم الكفر، وما يخدعون إلا أنفسهم؛ لأن عاقبة خداعهم تعود عليهم، ومن فرط جهلهم لا يُحِسُّون بذلك" (3).

"هؤلاء في قلوبهم مرض الحسد والحقد على أهل الإيمان مع فساد العقيدة، وزادهم الله على مرضهم مرضاً بنصره للحق، إذ كان ذلك مؤذياً لهم بسبب حسدهم وحقدهم وعنادهم، ولهؤلاء عذاب أليم في الدنيا والآخرة بسبب كذبهم وجحودهم" (4).

(1) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج، (ج1/80).

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج1/43).

(3) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/3).

(4) لجنة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص4).

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- تعريف النفاق والمنافقين:

المنافقُ، يخالفُ قوله فعله، وسرّه علانيته ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه (1)، والمنافق: كل من يظهر الإيمان ويبطن الكفر، والمذكرون كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وروي عن ابن عباس ؓ إنهم كانوا ثلاث مائة رجل، ومائة وسبعون امرأة، بعضهم من الأوس والخزرج وبعضهم من اليهود ورأس منافقي المشركين عبد الله بن أبي بن سلول، ولم يقبض رسول الله ﷺ حتى أسلم من أسلم وهلك من هلك إلا ما كان من عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أوقد نار الفتنة بالتعاون مع المجوس (2).

والنفاق هو: إظهار الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي، كالذي ذكر النبي ﷺ في قوله: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان" وفي رواية: "وإذا خاصم فجر" (3)، وهو غير مخرج من الملة.

وأما النفاق الاعتقادي المخرج عن دائرة الإسلام، فهو الذي وصف الله به المنافقين في هذه السورة وغيرها، ولم يكن النفاق موجوداً قبل هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، وبعد أن هاجر، فلما كانت وقعة بدر " وأظهر الله المؤمنين وأعزهم، ذل من في المدينة ممن لم يسلم، فأظهر بعضهم الإسلام خوفاً ومخادعة، ولتحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم، فكانوا بين أظهر المسلمين في الظاهر أنهم منهم، وفي الحقيقة ليسوا منهم (4)، وهو مخرج من الملة.

2- الحكمة من امتناع النبي ﷺ عن قتل المنافقين:

النبي ﷺ لم يقتل المنافقين مع علمه بهم: وأعرض عنهم لمصلحة تألف القلوب عليه، ومخافة من سوء المقالة الموجبة للتفجير، لئلا تنفر عنه القلوب، وقد أشار هو ﷺ إلى هذا المعنى، فقال: "أخاف أن يتحدث الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه" (5)، وهذا كما كان يعطي الصدقة للمؤلفة قلوبهم، مع علمه بسوء اعتقادهم تألفاً لهم (6).

قَالَ مَالِكٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّمَا كَفَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمُنَافِقِينَ لِئُبَيِّنَ لِأُمَّتِهِ أَنَّ الْحَاكِمَ لَا يَحْكُمُ بِعِلْمِهِ.

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (ج1/270).

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (ج1/25).

(3) [البخاري، صحيح البخاري، الأدب/قول الله تعالى: لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] [التوبة: 119] وَمَا يُنْهَى عَنِ الْكُذْبِ، 8/ 25: رقم الحديث 6095.

(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص42).

(5) [البخاري، صحيح البخاري، تفسير القرآن/قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، 6/ 154: رقم الحديث 4905].

(6) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج، (ج1/81).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَنْ بَكْرَةَ أَبِيهِمْ عَلَى أَنَّ الْقَاضِيَّ لَا يَقْتُلُ بِعِلْمِهِ، وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي سَائِرِ الْأَحْكَامِ، قَالَ: وَمِنْهَا مَا قَالَ الشَّافِعِيُّ: إِنَّمَا مَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَتْلِ الْمُنَافِقِينَ مَا كَانُوا يُظْهِرُونَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ مَعَ الْعِلْمِ بِنِفَاقِهِمْ؛ لِأَنَّ مَا يُظْهِرُونَهُ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي الْحَدِيثِ الْمُجْمَعِ عَلَى صِحَّتِهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا: "أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ". (1).

"وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّ مَنْ قَالَهَا جَرَتْ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا، فَإِنْ كَانَتْ يَعْتَقِدُهَا وَجَدَ ثَوَابَ ذَلِكَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَإِنْ لَمْ يَعْتَقِدْهَا لَمْ يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ جَرَيَانُ الْحُكْمِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا" (2).

3- خطر المنافقين:

المنافقون أشد خطراً على الإسلام والمسلمين، لأنهم العدو في ثوب الصديق يخالطون المسلمين ويعرفون عوراتهم ويثيرون الفتن بينهم ويتآمرون عليهم وينقلون اسرارهم وقد ذكر الرازي والنيسابوري أَنَّ الْمُنَافِقَ اخْتَصَّ بِمَزِيدٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمُنْكَرَةِ عَنِ الْكَافِرِ وَهِيَ:

- أ- أَنَّهُ قَصَدَ التَّلْبِيسَ وَالْكَافِرُ الْأَصْلِيَّ مَا قَصَدَ ذَلِكَ،
- ب- أَنَّ الْكَافِرَ عَلَى طَبَعِ الرَّجَالِ، وَالْمُنَافِقَ عَلَى طَبَعِ الْخُنُوثَةِ،
- ت- أَنَّ الْكَافِرَ مَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالْكَذِبِ بَلِ اسْتَنْكَفَ مِنْهُ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا بِالصِّدْقِ، وَالْمُنَافِقُ رَضِيَ بِذَلِكَ،

ث- أَنَّ الْمُنَافِقَ ضَمَّ إِلَى كُفْرِهِ الْإِسْتِهْزَاءَ بِخِلَافِ الْكَافِرِ الْأَصْلِيِّ، وَلِأَجْلِ غِلْظِ كُفْرِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ﴿النساء: 145﴾.

ج- قَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّهُ تَعَالَى ابْتَدَأَ بِذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ، ثُمَّ تَنَّى بِذِكْرِ الْكُفَّارِ فِي آيَتَيْنِ ثُمَّ تَلَّتْ بِذِكْرِ الْمُنَافِقِينَ فِي ثَلَاثِ عَشْرَةِ آيَةٍ، وَذَلِكَ يُدَلُّ عَلَى أَنَّ الْمُنَافِقَ أَعْظَمُ جُرْماً (3).

4- الكذب والخداع من صفات المنافقين:

وتشير الآيات إلى أن الكذب هو شعار المنافقين: لذا حذر الله المؤمنين منه أشد التحذير، فما فشا في أمة إلا كثرت فيها الجرائم، وشاعت فيها الرذائل، قال النبي ﷺ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ" (4).

(1) [البخاري، صحيح البخاري، باب، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، 14/1: رقم الحديث 25].

(2) يُنظَر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج1/179).

(3) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج2/301)، النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان (ج1/

161).

(4) [مسلم، صحيح مسلم، الإيمان/خصال المنافق، 56/1: رقم الحديث 123].

وإذا كان الكذب شعار المنافقين، فإن الصراحة في القول، والجرأة في العمل الموافق للاعتقاد شعار المؤمنين الصادقين، الذين يستحقون كل تكريم، فتكون العظة بإيراد صفات المنافقين أشد أثراً، وأحكم أمراً للمؤمنين أنفسهم، إذ امتازوا بالثبات على الحق، وظل المنافقون في نفاقهم وزاد تمسكهم بما هم عليه، وأبوا الإيمان، وأعرضوا عن القرآن، وازداد مرض قلوبهم، وتحرقت نفوسهم بعد ما جاءهم البشير النذير، وعلا مجده وكثر أتباعه، على ما فاتهم من الزعامة، وحسداً للنبي ﷺ وصحبه (1).

5- عقاب المنافقين بمرض القلب والعذاب الأليم:

ويدل على ذلك قوله قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: 10]، فأمرض القلوب كثيرة منه الحسد والنفاق والحقد على المسلمين والكفر لذلك كان عقابهم أشد العقاب في قعر جهنم لقوله قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: 145] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) قَالَ: تَوَابِيْثٌ مِنْ حَدِيدٍ مُقْفَلَةٌ فِي النَّارِ تُقْفَلُ عَلَيْهِمْ. وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ [ثَلَاثَةٌ]: الْمُنَافِقُونَ، وَمَنْ كَفَرَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَائِدَةِ، وَالْ فِرْعَوْنَ (2).

سادساً: ربط الآيات بالواقع:

فالمنافقون أصحاب تذبذب وتقلب، وأرباب خداع وتلبيس، فيتكلمون بمعسول الكلام، وفصيح الخطاب، ويظهرون للناس في هيئة حسنة، ومظهر جذاب، وربما انخدع لهم الكثير من المسلمين، فمالوا إليهم وأصغوا إلى قولهم وتدليسهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: 47]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُمْسَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: 4]. وهذه الآيات تجعل خطرهم كبيراً، وشرهم مستطيراً، حيث يخفون كفرهم وضلالهم، ويتظاهرون بالإيمان والاهتداء. ولذا: خفي على كثير من المسلمين حالهم.

(1) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج، (ج1/82).

(2) القرطبي، لجامع لإحكام القرآن (ج5/425)

المطلب الثاني: الإفساد والسفاهة من شيم المنافقين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: 11-13]

أولاً: معاني المفردات:

السفيه: خفيف العقل قال علماء اللغة: السّفه خفةٌ وسخافة رأى يقتضيان نقصان العقل (1).

"الفساد في الأرض: الكفر وارتكاب المعاصي فيها.

الإصلاح في الأرض: يكون بالإيمان الصحيح والعمل الصالح، وترك الشرك والمعاصي.

لا يشعرون: لا يدرون ولا يعلمون" (2).

ثانياً: المعنى الإجمالي:

إذا نُهوا عن الإفساد في الأرض بالكفر والذنوب وغيرها، أنكروا وزعموا أنهم هم أصحاب الصلاح والإصلاح، والحقيقة أنهم هم أصحاب الإفساد، ولكنهم لا يشعرون بذلك، ولا يشعرون أن فعلهم عين الفساد، وإذا أمروا بالإيمان كما آمن أصحاب محمد ﷺ؛ أجابوا على سبيل الاستنكار والاستهزاء بقولهم: أنؤمن كإيمان خفافِ العقول؟! والحق أنهم هم السفهاء، ولكنهم يجهلون ذلك (3).

ثالثاً: البلاغة:

تتويج التأكيد {ألا إِنَّهُمْ هُمُ الْمَفْسِدُونَ} جاءت الجملة مؤكدة بأربع تأكيدات {ألا} التي تفيد التنبيه، و {إن} التي هي للتأكيد، وضمير الفصل {هُمُ} ثم تعريف الخبر {المفسدون} ومثلها في التأكيد {ألا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ} وهذا ردٌّ من الله تعالى عليهم بأبلغ ردٍّ وأحكمه (4).

رابعاً: مقاصد وأهداف الآيات:

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- مظاهر إفساد المنافقين في الأرض:

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: " فَأَهْلُ النَّفَاقِ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَعْصِيَتِهِمْ فِيهَا رَبَّهُمْ، وَرُكُوبِهِمْ فِيهَا مَا نَهَاهُمْ عَنْ رُكُوبِهِ، وَتَضْيِيعِهِمْ فَرَائِضَهُ، وَشَكِّهِمْ فِي دِينِهِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ عَمَلٌ إِلَّا بِالتَّصَدِيقِ بِهِ وَالإِيْقَانِ بِحَقِيقَتِهِ، وَكَذِبِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ بِدَعْوَاهُمْ غَيْرَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ، وَمُظَاهَرَتُهُمْ أَهْلَ

(1) الصابوني، صفوة التفسير، (ج1/28).

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفسير، (ج1/25).

(3) جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/3)

(4) الصابوني، المرجع السابق (ج1/32)

التَّكْذِيبِ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، إِذَا وَجِدُوا إِلَىٰ ذَٰلِكَ سَبِيلًا، فَذَٰلِكَ إِفْسَادُ الْمُنَافِقِينَ فِي الْأَرْضِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ بِفِعْلِهِمْ ذَٰلِكَ مُصْلِحُونَ فِيهَا" (1).

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ حَسَنٌ، فَإِنَّ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ اتِّخَاذَ الْمُؤْمِنِينَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [73] ﴿ [الأنفال: 73]، فَقَطَعَ اللَّهُ الْمُوَالَاةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أْتَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: 144]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: 145] فَاَلْمُنَافِقُ لَمَّا كَانَ ظَاهِرُهُ الْإِيمَانَ اشْتَبَهَ أَمْرُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانَ الْفَسَادَ مِنْ جِهَةِ الْمُنَافِقِ حَاصِلًا؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَزَّ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَوَالَى الْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَوْ أَنَّهُ اسْتَمَرَّ عَلَى حَالَتِهِ الْأُولَى لَكَانَ شَرُّهُ أَحْفَ، وَلَوْ أَخْلَصَ الْعَمَلَ لِلَّهِ وَتَطَابَقَ قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ لِأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ (2).
- إن من أعظم البلوى أن يُزَيَّن للإنسان الفساد حتى يرى أنه مصلح؛ لقولهم: (إنما نحن مصلحون)

- إن غير المؤمن نظره قاصر، حيث يرى الإصلاح في الأمر المعيشي فقط؛ بل الإصلاح حقيقة أن يسير على شريعة الله واضحاً صريحاً. أنه ليس كل من ادعى شيئاً يصدق في دعواه؛ لأنهم قالوا: (إنما نحن مصلحون)؛ فقال الله تعالى: {ألا إنهم هم المفسدون}؛ وليس كل ما زينته النفس يكون حسناً، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [فاطر: 8]

- أن الإنسان قد يبتلى بالفساد في الأرض، ويخفى عليه فساد؛ لقوله تعالى: {ولكن لا يشعرون}. قوة الرد على هؤلاء الذين ادعوا أنهم مصلحون، حيث قال الله ﷻ: {ألا إنهم هم المفسدون} فأكد إفسادهم بثلاثة مؤكدات؛ وهي {ألا} و"إن"، و {هم}؛ بل حصر الإفساد فيهم ضمير الفصل(3).

2- مراتب إفساد المنافقين في الارض:

أ- إفسادُهُمْ أَنفُسَهُمْ بِالْإِضْرَارِ عَلَىٰ تِلْكَ الْأَدْوَاءِ الْقَلْبِيَّةِ الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا فِيمَا مَضَىٰ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَدَامِّ وَيَتَوَلَّدُ مِنَ الْمَقَابِدِ.

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (ج1/289).

(2) ينظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج1/181).

(3) ينظر، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، (ج1/48).

- ب - إفسادُهُمُ النَّاسَ بِبَيِّتِ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهَا، وَإِفْسَادُهُمْ أَبْنَاءَهُمْ وَعِيَالَهُمْ فِي اقْتِدَائِهِمْ بِهِمْ فِي مَسَاوِيهِمْ كَمَا قَالَ نُوحٌ ﷺ: إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا [نوح: 27].
- ت - إفسادُهُمُ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي يَنْشَأُ عَنْهَا فَسَادُ الْمُجْتَمَعِ، كَالْقَاءِ النَّمِيمَةِ وَالْعِدَاوَةِ وَتَسْعِيرِ الْفِتَنِ وَتَأْلِيْبِ الْأَحْزَابِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَإِحْدَاثِ الْعَقَبَاتِ فِي طَرِيقِ الْمُصْلِحِينَ (1).

3- دفاع الله عن المؤمنين ضد تهم المنافقين:

تحقيق ما وعد الله به من الدفاع عن المؤمنين، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: 38] فإذا ذموا بالقول دافع الله عنهم بالقول؛ فهؤلاء قالوا: {أنؤمن كما آمن السفهاء}، والله ﷻ هو الذي جادل عن المؤمنين، فقال: {ألا إنهم هم السفهاء} يعني هم السفهاء لا أنتم؛ فهذا من تحقيق دفاع الله تعالى عن المؤمنين؛ أما دفاعه عن المؤمنين إذا اعتدي عليهم بالفعل فاستمع إلى قوله تَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12]، فهذه مدافعة فعلية، حيث تنزل جنود الله تعالى من السماء لقتل أعداء المؤمنين؛ فهذا تحقيق لقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: 38]؛ ولكن الحقيقة أن هذا الوعد العظيم من القادر جل وعلا الصادق في وعده يحتاج إلى إيمان حتى نؤمن بالله ﷻ، ولا نخشى أحداً سواه، فإذا ضعف الإيمان أصبحنا نخشى الناس كخشية الله، أو أشد خشية؛ لأننا إذا كنا نراعيهم دون أوامر الله فسنخشاهم أشد من خشية الله ﷻ؛ وإلا لكانا ننفذ أمر الله ﷻ، ولا نخشى إلا الله ﷻ (2).

4- السفاهة من شيم المنافقين:

"وَأَيْمًا سَمَى الْمُنَافِقُونَ الْمُسْلِمِينَ بِالسُّفَهَاءِ، لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْخَطَرِ وَالرِّيَاسَةِ، وَأَكْثَرُ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا فُقَرَاءَ، وَكَانَ عِنْدَ الْمُنَافِقِينَ أَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ بَاطِلٌ، وَالْبَاطِلُ لَا يَقْبَلُهُ إِلَّا السُّفَهَاءُ، فَلِهَذِهِ الْأَسْبَابِ نَسَبُوهُمْ إِلَى السُّفَهَاءِ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَلَبَ عَلَيْهِمْ هَذَا اللَّقَبَ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - لَوْجُوهٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الدَّلِيلِ ثُمَّ نَسَبَ الْمُتَمَتِّكَ بِهِ إِلَى السُّفَهَاءِ فَهُوَ السُّفَهَاءُ. وَثَانِيهَا: أَنَّ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاةٍ فَهُوَ السُّفَهَاءُ. وَثَالِثُهَا: أَنَّ مَنْ عَادَى مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ، وَذَلِكَ هُوَ السُّفَهَاءُ" (3).

قَوْلُهُ تَعَالَى: (قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ) يَعْنِي أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابِ. وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّمَا كَانُوا يَقُولُونَهُ فِي خَفَاءٍ وَاسْتِهْزَاءٍ فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَرَّرَ أَنَّ السُّفَهَاءَ وَرِقَّةَ الْحُلُومِ وَفَسَادَ الْبَصَائِرِ إِنَّمَا هِيَ فِي حَزَبِهِمْ وَصِفَةٌ لَهُمْ، وَأُخْبِرَ أَنَّهُمْ هُمْ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج1/284).

(2) ينظر، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، (ج1/51).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج2/308)

السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ لِلرَّيْنِ الَّذِي عَلَى قُلُوبِهِمْ. وَرَوَى الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ الْيَهُودِ، أَيْ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ يَعْنِي الْيَهُودَ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَصْحَابُهُ، قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ يَعْنِي الْجُهَالُ وَالْخُرْقَاءُ (١).

خامسا: ربط الآيات بالواقع:

أن خطر المنافقين ينطلق من الداخل بين صفوف المسلمين، بينما يجيء خطر الكفار الظاهرين في أكثر الأحيان من الخارج، وخطر الخارج لا يستقل دائماً إلا بمساندة من الداخل. ومنها أن عداوة المنافقين شاملة لا تقتصر على جانب دون جانب، فهي تبدأ من الكلمة همزاً ولمزاً وسخرية وغمزاً وتنتهي إلى الخيانة العظمى بالقتال في صف الكفار وتحت راياتهم والتآمر معهم على المسلمين وكشف أسرارهم. ومنها أن جهاد الكفار قد يكون عينياً أو يكون كفائياً، وقد يسقط بالأعدار أو الإعدار، أما جهاد المنافقين فهو غير قابل للسقوط إذا وجدت مسوغاته، فهو واجب على كل مكلف بحسبه، ففي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسننه ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» (٢).

لهذا فإن جهاد المنافقين المأمور به في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ جَاهَدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلظْ عَلَيْهِمْ وَمَا أُوذِيَ جِهَتَهُمْ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: 73]، يبدأ بالقلب حتى ينتهي إلى السيف. هم العدو: المتأمل في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿قَالَ تَعَالَى: هُمْ أَعْدَاؤُكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: 4]: يرجع بمعنى مهم، وهو أنه إذا كان المشرك الوثني عدواً، والكافر الكتابي عدواً، والمرتد المنقلب على عقبه عدواً؛ فإن المنافق هو العدو، وحزبه الممالئين له في النفاق الأكبر (هم العدو).

المطلب الثالث: حيرة المنافقين وترددهم بين الإيمان والكفر

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْرَءُونَ﴾ [١٤] اللَّهُ يَسْتَهْرِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿البقرة: 14 - 16﴾

(١) القرطبي، الجامع لإحكام القرآن (ج1/ 205)

(٢) [مسلم، صحيح مسلم، الايمان/النهي عن المنكر من الايمان، 50/1: رقم الحديث 79].

أولاً: معاني المفردات:

"آمَنُوا: الإيمان الشرعي: التصديق بالله وبكل ما جاء به رسول الله عن الله، وأهله هم المؤمنون بحق.

خَلَوْا: الخلو بالشيء: الانفراد به.

شَيَاطِينُهُمْ: الشيطان كل بعيد عن الخير قريب من الشر يفسد ولا يصلح من إنسان أو جان، والمراد بهم هنا رؤسائهم في الشر والفساد.

مُسْتَهْزِئُونَ: الاستهزاء: الاستخفاف والسخرية، وهذا فعل اليهود" (1).

الطغيان: مجاوزة الحد في الأمر والإسراف فيه (2).

والعمه: ظلمة البصيرة كالعمى في البصر وأثره الحيرة والاضطراب بحيث لا يدري الإنسان أين يتوجه، يقال عمه فهو عمه وعمه وجماعة عمه (3).

"اشْتَرَوْا: استبدلوا بالهدى الضلالة، أي: تركوا الإيمان وأخذوا الكفر.

تَجَارَتُهُمْ: التجارة: دفع رأس مال لشراء ما يربح إذا باعه، والمنافقون هنا دفعوا رأس مالهم وهو الإيمان لشراء الكفر آملين أن يربحوا عزاً وغنى في الدنيا فخسروا ولم يربحوا إذ ذُلُّوا وعُذِّبوا وافتقروا بكفرهم" (4).

ثانياً: البلاغة:

المشاكلة {الله يستهزئ بهم} سمى الجزء على الاستهزاء استهزاءً بطريق المشاكلة وهي الاتفاق في اللفظ مع الاختلاف في المعنى.

الاستعارة التصريحية {اشترتوا الضلالة بالهدى} المراد استبدلوا الغي بالرشاد، والكفر بالإيمان فخسرت صفتهم ولم تربح تجارتهم فاستعار لفظ الشراء للاستبدال ثم زاده توضيحاً بقوله {فَمَا رِيحَتْ تَجَارَتُهُمْ} وهذا هو الترشيح الذي يبلغ بالاستعارة الذروة العليا (5).

ثالثاً: أسباب النزول:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ وَأَصْحَابِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ حَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ فَاسْتَقْبَلَهُمْ نَقَرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ: انظُرُوا كَيْفَ أَرَدُ هَؤُلَاءِ السُّمَهَاءَ عَنْكُمْ؟ فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالصِّدِّيقِ سَيِّدِ بَنِي تَيْمٍ، وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ وَثَانِي رَسُولِ اللَّهِ فِي الْعَارِ الْبَائِلِ نَفْسَهُ وَمَالَهُ؛ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِسَيِّدِ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ، الْفَارُوقِ الْقَوِيِّ فِي دِينِ اللَّهِ، الْبَائِلِ نَفْسَهُ وَمَالَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ؛ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ وَحَتِّبِهِ، سَيِّدِ بَنِي

(1) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج، (ج1/86).

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (ج1/27).

(3) المراغي، تفسير المراغي (ج1/55).

(4) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (ج1/27).

(5) الصابوني، صفوة التفاسير، (ج1/329).

هَاشِمٍ مَا خَلَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ افْتَرَقُوا؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: كَيْفَ رَأَيْتُمُونِي فَعَلْتُ؟ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَفْعَلُوا كَمَا فَعَلْتُ، فَأَنْتُوا عَلَيْهِ خَيْرًا، فَرَجَعَ المسلمون إلى رسول الله ﷺ وَأَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ (1).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"وصف الله في هذه الآيات حال جماعة من المنافقين كانوا في عصر التنزيل قد بلغ من دعارتهم وتمردهم في النفاق وفساد الأخلاق أن كانوا يظهرون بوجهين، ويتكلمون بلسانين، فإذا لقوا المؤمنين قالوا أمانا بما أنتم به مؤمنون، وإذا خلوا إلى شياطينهم دعاة الفتنة والإفساد الذين يصدون عن سبيل الحق قالوا لهم إنما نقول ذلك لهم استهزاء بهم، وقد فضح الله بهتانهم وأوعدهم شديد العقاب على استهزائهم وزادهم حيرة في أمورهم ثم ذكر أنهم قد اختاروا الضلالة على الهدى، إذ هم أهملوا العقل في فهم الكتاب بعد أن تمكنت منهم التقاليد والعادات، وتحكمت فيهم البدع، فخرسوا في تجارتهم، وما كانوا مهتدين فيها، لأنهم باعوا ما وهبهم الله من النور والهدى، بضلالات البدع والأهواء" (2).

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- بعض صفات المنافقون:

- أ- الإفساد في الأرض بإثارة الفتنة والتأليب على المسلمين وترويج الإشاعات الباطلة.
 - ب- الإعراض عن الإيمان والاعتقاد الصحيح المستقر في القلب، الموافق للفعل.
- التردد والحيرة في الطغيان وتجاوز الحدود المعقولة، بالافتراء على المؤمنين ووصفهم بالسفاهة، مع أنهم هم السفهاء بحق، لأن من أعرض عن الدليل، ثم نسب المتمسك به إلى السفاهة فهو السفاهة، ولأن من باع آخرته بدنياه فهو السفاهة، ولأن من عادى محمداً ﷺ، فقد عادى الله، وذلك هو السفاهة، فالسفه محصور فيهم، ومقصود عليهم، ولديهم شعور ما: بأنهم ركبوا هواهم، ولم يتبعوا هدي سلفهم، واعتمدوا في نجاتهم وسعادتهم على الأمانى والتعلات، كقولهم: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِيَّائَنَا مَا مَعْدُودَةٌ﴾** [البقرة: 80] وقولهم: **قَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾** [المائدة: 18]، أي شعبه وأصفياءه (3).

- ت- شغف المنافقين بالضلال؛ لأنه تبارك وتعالى عبر عن سلوكهم الضلال بأنهم اشتروه؛ والمشتري مشغوف بالسلعة محب لها.

(1) الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، (ص22)

(2) المراغي، تفسير المراغي (ج1/56)

(3) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج، (ج1/88)

2- ظن المنافقين حُسن العمل وهم مُسيئون:

أن الإنسان قد يظن أنه أحسنَ عملاً وهو قد أساء؛ فالمنافقون اشتروا الضلالة بالهدى ظناً منهم أنهم على صواب، وأنهم رابحون، فقال الله تعالى: ﴿فَمَا رِبْحُ تِجَارَتِهِمْ﴾.

3- خسران المنافقين فيما يطمعون فيه بالربح؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَا رِبْحُ تِجَارَتِهِمْ﴾ و أن المدار

في الربح، والخسران على اتباع الهدى؛ فمن اتبعه فهو الرباح؛ ومن خالفه فهو الخاسر؛ ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿[العصر: 1 - 3]، وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّرُ عَلَىٰ مِجْرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝١٠ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[الصف: 10 - 11]

4- عدم اهتداء المنافقين:

"أن هؤلاء لن يهتدوا؛ لقوله تعالى: ﴿وما كانوا مهتدين﴾؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؛ ولذلك لا يرجعون؛ وهكذا كل فاسق، أو مبتدع يظن أنه على حق فإنه لن يرجع؛ فالجاهل البسيط خير من هذا؛ لأن هذا جاهل مركب يظن أنه على صواب، وليس على صواب" (1).
"المنافقون كانوا يحضرون مجالس النبي ﷺ، ونور الحق يشع بينهم، فيرون مطالعه، ويدركون مشارفه، فأسباب الهداية بين أيديهم يرونها عيانا، ويسمعونها بيانا، والفترة تحثهم، وترشدهم، والحق لا تخفى منه خافية، فعندهم العلم أو أسبابه، ولكنهم مع ذلك يتركون النور الهادي إلى الظلام الدامس، يتركون الحق الأبلج، وهو بين أيديهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، يتركون ذلك إلى الضلالة، فهم قد استحبوا العمى على الهدى" (2).

سادساً: ربط الآيات بالواقع:

المنافقون اليوم هم العملاء الذين باعوا أنفسهم بثمن بخس لليهود واعداء الامة فهم يوالون اليهود والنصارى قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنَّهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿[المائدة: 51]

(1) محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، (ج1/60، 61)

(2) أبي زهرة، زهرة التقاسير، (مج1/139).

"نفسية المنافق إذا أردت أن تحددها، فهو إنسان بلا كرامة، بلا رجولة لا يستطيع المواجهة، بلا قوة، يحاول أن يمكر في الخفاء، ولذلك تكون صورته حقيرة أمام نفسه، حتى لو استطاع أن يخفي عيوبه عن الناس، فيكفي أنه كاذب أمام نفسه لتكون صورته حقيرة أمام نفسه" (1).

خطر المنافقين على الإسلام والمسلمين:

"إن إطالة الحديث عن المنافقين توحى كذلك بضخامة الدور الذي كان يقوم به المنافقون في المدينة لإيذاء الجماعة المسلمة، ومدى التعب والقلق والاضطراب الذي كانوا يحدثونه كما توحى بضخامة الدور الذي يمكن أن يقوم به المنافقون في كل وقت داخل الصف المسلم، ومدى الحاجة للكشف عن الأعييبهم ودسهم اللثيم" (2).

تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من النفاق: خاف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته من النفاق والمنافقين، وحذر وأندر من سلوك المنافقين، وحذر من الوقوع في شعب النفاق في أحاديث كثيرة، فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما مرفوعاً: (إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي: منافق عليم اللسان) (3).

المطلب الرابع: ضرب الأمثلة لحال المنافقين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: 17 - 20]

أولاً: معاني المفردات:

والمثل في الأصل بمعنى النظير يقال: مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده (4).

اسْتَوْقَدَ: أَوْقَدَ نَارًا.

(1) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج1/164).

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، (ج1/45).

(3) [ابن حبان، صحيح بن حبان، العلم/ذكر ما يتخوف ﷺ على أمته الجدل، 281/1: رقم الحديث 80]، قال الالباني

صحيح، الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (ج1/164)

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (ج1/49).

صُمْ بُكُمْ عُمِي: لا يسمعون ولا ينطقون ولا يبصرون (1).

"الصَّيْبُ: المطر يصوب وينزل، من الصوب وهو النزول.

والرعد: هو الصوت الذي يسمع في السحاب أحياناً عند تجمعه.

والبرق: هو الضوء الذي يلمع في السحاب غالباً، وربما لمع في الأفق حيث لا سحاب،

وأسباب هذه الظواهر اتحاد كهربية السحاب الموجبة بالسالبة كما تقرر ذلك في علم الطبيعيات.

والصاعقة: نار عظيمة تنزل أحياناً" (2).

ثانياً: البلاغة:

"مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً تشبيه تمثيلي، شبه المنافق بمستوقد النار، وإظهاره الإيمان بالإضاعة، وانقطاع نفعه بإطفاء النار.

أَوْ كَصَيْبٍ، تشبيه تمثيلي، شبه الإسلام بالمطر لأن القلوب تحيا به، وشبه شبهاة الكفار بالظلمات.

صُمْ بُكُمْ عُمِي تشبيه بليغ، أي هم كالصم البكم العمي في عدم الاستفادة من هذه الحواس.

يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ مجاز مرسل من إطلاق الكل وإرادة الجزء، أي رؤوس أصابعهم.

«ويكذبون، مصلحون، يعمهون»: توافق الفواصل مراعاة لرؤوس الآيات، وهو من المحسنات البديعية.

والخلاصة: اشتملت الآيات على قوة التعبير وشدة التأثير وروائع التشبيه، ففيها تشبيه القرآن بالمطر

إذا أمطر يحيي الأرض، والقرآن يحيي موات النفوس، ويرى أصحاب الأهواء أن في القرآن شيها هي

كالظلمات العارضة مع المطر، وفي الآيات أيضا وعد ووعد كالرعد قوة وشدة" (3).

ثالثاً: المناسبة:

"أَنَّهُمْ لَمَّا وُصِفُوا بِأَنَّهُمْ اسْتَرَوْا الصَّلَاةَ بِالْهُدَى عَقَبَ ذَلِكَ بِهِدَا التَّمَثِيلِ لِيُمَثَّلَ هُدَاهُمْ الَّذِي بَاغَوْهُ بِالنَّارِ الْمُضِيئَةِ مَا حَوْلَ الْمُسْتَوْقِدِ، وَالصَّلَاةَ الَّتِي اسْتَرَوْهَا وَطَبَعَ بِهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ بِذَهَابِ اللَّهِ بِنُورِهِمْ وَتَرْكِهِ إِيَّاهُمْ فِي الظُّلْمَاتِ" (4).

"لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير، فإنه أوقع في القلب وأقنع

للخصم الألد" (5).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

(1) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (ج1/29)

(2) المراغي، تفسير المراغي (ج1/59)

(3) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج، (ج1/90)

(4) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج2/313)

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج1/49)

"حال المنافقين الذين آمنوا -ظاهراً لا باطناً- برسالة محمد ﷺ، ثم كفروا، فصاروا يتخبطون في ظلمات ضلالهم وهم لا يشعرون، ولا أمل لهم في الخروج منها، تُشبه حال جماعة في ليلة مظلمة، وأوقد أحدهم ناراً عظيمة للدفع والإضاءة، فلما سطعت النار وأنارت ما حوله، انطفأت وأعتمت، فصار أصحابها في ظلمات لا يرون شيئاً، ولا يهتدون إلى طريق ولا مخرج" (1).

"هؤلاء كالبصم، لأنهم قد فقدوا منفعة السمع، إذ لا يسمعون الحق سماع قبول واستجابة، وهم كالنجم الخرس؛ لأنهم لا ينطقون بالهدى أو الحق، وهم كالذين فقدوا أبصارهم لأنهم لا ينتفعون بها في اعتبار أو انزجار، فهم لا يرجعون عن ضلالتهم" (2).

"أو تُشبه حال فريق آخر من المنافقين يظهر لهم الحق تارة، ويشكون فيه تارة أخرى، حال جماعة يمشون في العراء، فينصب عليهم مطر شديد، تصاحبه ظلمات بعضها فوق بعض، مع قصف الرعد، ولمعان البرق، والصواعق المحرقة، التي تجعلهم من شدة الهول يضعون أصابعهم في آذانهم؛ خوفاً من الهلاك. والله تعالى محيط بالكافرين لا يفوتونه ولا يعجزونه" (3).

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات:

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان:

أ- أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ ضَرْبِ الْأَمْثَالِ أَنَّهَا تُؤَثِّرُ فِي الْقُلُوبِ مَا لَا يُؤَثِّرُهُ وَصْفُ الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْغَرَضَ مِنَ الْمَثَلِ تَشْبِيهُ الْخَفِيِّ بِالْجَلِيِّ، وَالْغَائِبِ بِالشَّاهِدِ، فَيَتَأَكَّدُ الْوُقُوفُ عَلَى مَا هَيْئَتِهِ، وَيَصِيرُ الْحِسُّ مُطَابِقًا لِلْعَقْلِ وَذَلِكَ فِي نَهَائِيَةِ الْإِيضَاحِ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّزْغِيبَ إِذَا وَقَعَ فِي الْإِيمَانِ مُجَرَّدًا عَنْ ضَرْبِ مَثَلٍ لَهُ/ لَمْ يَتَأَكَّدْ وَقُوعُهُ فِي الْقَلْبِ كَمَا يَتَأَكَّدُ وَقُوعُهُ إِذَا مُثِّلَ بِالنُّورِ، وَإِذَا زَهَدَ فِي الْكُفْرِ بِمُجَرَّدِ الذِّكْرِ لَمْ يَتَأَكَّدْ فُبْحُهُ فِي الْعُقُولِ كَمَا يَتَأَكَّدُ إِذَا مُثِّلَ بِالظُّلْمَةِ، وَإِذَا أُخْبِرَ بِضَعْفِ أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ وَضَرْبِ مَثَلُهُ بِنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ كَانَ ذَلِكَ أْبْلَغَ فِي تَقْرِيرِ صُورَتِهِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِضَعْفِهِ مُجَرَّدًا، وَلِهَذَا أَكْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ وَفِي سَائِرِ كُتُبِهِ أَمْثَالَهُ، قَالَ تَعَالَى: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ [العنكبوت: 43]

ب- أَنَّ الْمَطَرَ وَإِنْ كَانَ نَافِعًا إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا وُجِدَ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ مَعَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الصَّارَةِ صَارَ النَّفْعُ بِهِ زَائِلًا، فَكَذَا إِظْهَارُ الْإِيمَانِ نَافِعًا لِلْمُنَافِقِ لَوْ وَافَقَهُ الْبَاطِنُ: فَإِذَا فُقِدَ مِنْهُ الْإِخْلَاصُ وَحَصَلَ مَعَهُ النِّفَاقُ صَارَ ضَرَرًا فِي الدِّينِ (4).

(1) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج 1/ 4)

(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص 6)

(3) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج 1/ 4)

(4) يُنظر، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (ج 2/ 315)

ت- "هذه صفة المنافقين كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ثم كفروا فذهب الله بنورهم. فما يظهره المنافقون من الإيمان الذي تثبت به أحكام المسلمين في الزواج والميراث والغنائم والأمن على أنفسهم وأولادهم وأموالهم، واعتراهم لما آمنوا بكلمة الإسلام، لا فائدة له في أحكام الآخرة، لأنهم يصيرون إلى العذاب الأليم، كما أخبر في التنزيل قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145]" (1).

2- ضلال المنافقين وتخلي الله عنهم:

أ- "تخلي الله عن المنافقين؛ لقوله تعالى: [وتركهم] ويتفرع على ذلك: أن من تخلى الله عنه فهو هالك، ليس عنده نور، ولا هدى، ولا صلاح؛ لقوله تعالى: (وتركهم في ظلمات لا يبصرون)" (2).

ب- قال الحسن رحمه الله: "هو المنافق أبصر ثم عمي، وعرف ثم أنكر، ولهذا قال فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَي لَا يَرْجِعُونَ إِلَى النُّورِ الَّذِي فَارَقُوهُ. وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الْكُفَّارِ صُمْ بُكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْطَلُونَ فَسَلْبَ الْعَقْلِ عَنِ الْكُفَّارِ إِذْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ وَالْإِيمَانِ وَسَلْبَ الرَّجُوعِ عَنِ الْمُنَافِقِينَ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْإِيمَانِ" (3).

3- تشبيه الكفار المنافقون:

أ- وَالْمُرَادُ مِنَ الصَّيْبِ هُوَ الْإِيمَانُ وَالْقُرْآنُ، وَالظُّلُمَاتُ وَالرَّعْدُ وَالْبُرْقُ هُوَ الْأَشْيَاءُ الشَّاقَّةُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَهِيَ التَّكَالِيفُ الشَّاقَّةُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَتَرْكِ الرِّيَاسَاتِ، وَالْجِهَادِ مَعَ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَتَرْكِ الْأَدْيَانِ الْقَدِيمَةِ (4).

ب- ثبوت القياس، وأنه دليل يؤخذ به؛ لأن الله أراد منا أن نقيس حالهم على حال من يستوقد؛ وكل مثل في القرآن فهو دليل على ثبوت القياس.

ت- أن هؤلاء المنافقين ليس في قلوبهم نور؛ لقوله تعالى: {كمثل الذي استوقد ناراً؛ فهؤلاء المنافقون يستطعمون الهدى والعلم والنور، فإذا وصل إلى قلوبهم، بمجرد ما يصل إليها يتضاءل ويزول، لأن هؤلاء المنافقين إخوان للمؤمنين من حيث النسب، وأعمام وأخوال وأقارب

(1) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج، (ج1/93)

(2) محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، (ج1/65).

(3) القاسمي، محاسن التأويل، (ج1/263)

(4) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج2/315)

فربما يجلس إلى المؤمن حقاً، فيتكلم له بإيمان حقيقي، ويدعوه، فينقذ في قلبه هذا الإيمان، ولكن سرعان ما يزول (1).

ث- إنّما بولغ في ذكر فريق المنافقين، وذمهم، وتعييرهم، وتقبيح صورة حالهم، وتهديدهم، وإبعادهم، وتهجين سيرهم وعاداتهم لإمكان قبولهم للهداية، وزوال مرضهم العارض، عسى التبرع يكسر أعواد شكائهم، والتوبيخ يقلع أصول رذائلهم، فتتركي بواطنهم، وتنتور قلوبهم، فيسلخوا طريق الحق، ولعلّ موادة المؤمنين، وملاطفتهم إيّاهم، وإن مجالستهم معهم تستميل طباعهم، فتهيج فيهم محبة ما، وشوقا تلين به قلوبهم إلى ذكر لله، وتنتاد به نفوسهم لأمر الله، فيتوبوا ويصلحوا، كما قال تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ^ط وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦﴾ [النساء: 145 - 146] (2).

ج- تهديد الكفار بأن الله محيط بهم؛ لقوله تعالى: ﴿والله محيط بالكافرين﴾.

ح- إن البرق الشديد يخطف البصر؛ ولهذا يُنهى الإنسان أن ينظر إلى البرق حال كونه السماء تبرق؛ لئلا يُخطف بصره.

خ- إن من طبيعة الإنسان اجتناب ما يهلكه؛ لقوله تعالى: ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾

د- إثبات مشيئة الله؛ لقوله تعالى: ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾.

ذ- أنه ينبغي للإنسان أن يلجأ إلى الله ﷻ أن يمتعه بسمعته، وبصره؛ لقوله تعالى: ﴿ولو شاء الله

لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ (3)، وفي الدعاء المأثور: "متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما

أحييتنا" (4)

سادساً: ربط الآيات بالواقع:

حذر القرآن الكريم من النفاق وصفات المنافقين في آيات كثيرة، فكان الحديث عن النفاق والمنافقين في

القرآن في سبع عشرة سورة مدنية من ثلاثين سورة، واستغرق ذلك قرابة ثلاثمئة وأربعين آية، حتى قال

ابن القيم رحمه الله: (كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم) (5).

(1) محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (ج1/64)

(2) القاسمي، محاسن التأويل، (ج1/264).

(3) محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، (ج1/71).

(4) [الترمذي، سنن الترمذي، 528/5: رقم الحديث 3502]، قال الألباني حسن، الألباني، صحيح الجامع الصغير

وزيادته (ج1/272)

(5) انظر، ابن القيم، مدارج السالكين (ج1/374)

ولعظيم خطر المنافقين على المسلمين كشف الله في القرآن صفاتهم، وبين عوراتهم، وفضحهم حتى لا يخفى أمرهم على أحد.

فبين سبحانه أنهم هم السفهاء المفسدون في الأرض، المخادعون لله ورسوله والمؤمنين المستهزئون، المغبونون في اشترائهم الضلالة بالهدى، وأنهم صمٌّ بكمٍ عميٍّ فهم لا يرجعون وأنهم مرضى القلوب وأنهم أهل الحيرة والكسل عند العبادة، وأهل التردد والتذبذب بين المؤمنين والكفار، وأنهم أهل الرياء مع قلة ذكر الله وكثرة الحلف باسم الله تعالى كذباً وباطلاً.

وأنهم أهل الجبن والبخل، لا يفقهون ما ينفعهم ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وأنهم يكيّدون للإسلام والمسلمين ويكرهون ظهور أمر الله، وأنهم يحزنون إذا حصل للمسلمين خير ونصر ويفرحون بما يحصل لهم من المحنة والابتلاء، وأنهم يتربصون الدوائر بالمسلمين ويكرهون الإنفاق في سبيل الله ومرضاته وأنهم يعيبون المؤمنين، ويرمونهم بما ليس فيهم فيرمون الأغنياء عند الصدقة بالرياء ويلمزون المتصدقين الفقراء وهم عبید الدنيا، إن أعطوا منها رضوا وإن لم يُعطوا سخطوا، يؤذون الله ورسوله ويسخرون من المؤمنين، وأنهم يكرهون الجهاد في سبيل الله ويفرحون إذا تخلفوا عن نصره الدين وغير ذلك.

المبحث السادس

المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (21-25)

المطلب الأول: دعوة الناس إلى عبادة رب العالمين ونبذ الشرك

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: 21 - 22]

أولاً: معاني المفردات:

اعْبُدُوا: أطيعوا بالإيمان والامتثال للأمر والنهي مع غاية الحب لله والتعظيم.

رَبِّكُمْ: خالقتكم ومالك أمركم والهكم الحق (1)

خَلَقَكُمْ الخلق: الإيجاد والاختراع بلا مثال، وأصله في اللغة التقدير يقال: خَلَقَ النعل إذا قَدَّرَهَا وَسَوَّاهَا

بالمقياس

فِرَاشًا الفِراش: الوطاء والمهاد الذي يقعد عليه الإنسان وينام

بِنَاءَ البناء: ما يُبنى من قبةٍ أو خباءٍ أو بيت

أَنْدَادًا: جمع نَدٍّ وهو الكفاء والمثيل والنظير ومنه قول علماء التوحيد ليس لله نَدٌّ ولا ضِدٌّ (2).

ثانياً: البلاغة:

"رَبِّكُمْ الإضافة للمخاطبين للتعظيم.

جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً مقابلة بين الأرض والسماء، والفراش والبناء، من أنواع المحسنات

البديعية" (3).

ثالثاً: المناسبة:

(1) الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 32)

(2) الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 34)

(3) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج، (ج1/ 95)

"لما قدم الله تعالى أحكام فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم ومجاري أمورهم عاجلاً وأجلاً، أقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذي يورث الكلام رونقا وبهاء ويزيد السامع هزة ونشاطا. ومن لطائف المقام أنه تعالى كأنه يقول: جعلت الرسول واسطة بيني وبينك أولاً، والآن أزيد في إكرامك وتقريبك فأخاطبك من غير واسطة، ليحصل لك مع التنبيه على الأدلة شرف المخاطبة والمكالمة. وفيه إشعار بأن العبد مهما اشتغل بالعبودية زاد قربا وحضورا. وأيضا الآيات المتقدمة حكايات أحوالهم وهذه أمر وتكليف وفيه كلفة ومشقة، فلا بد من راحة وهي أن يرفع ملك الملوك الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته، فيستطاب التكليف بالتكليم حينئذ ويستلذ هذا" (1).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

نداء من الله للبشر جميعاً: أن اعبدوا الله الذي رباكم بنعمه، وخافوه ولا تخالفوا دينه؛ فقد أوجدكم من العدم، وأوجد الذين من قبلكم؛ لتكونوا من المتقين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه (2). إنه وحده هو الذي مهد لكم الأرض بقدرته، وبسط رقعتها ليسهل عليكم الإقامة فيها والانتفاع بها، وجعل ما فوقكم من السماء وأجرامها وكواكبها كالبنيان المشيد، وأمدكم بسبب الحياة والنعمة - وهو الماء - أنزله عليكم من السماء فجعله سبباً لإخراج النباتات والأشجار المثمرة التي رزقكم بفوائدها، فلا يصح مع هذا أن تتصوروا أن لله نظراء تعبدونهم كعبادته لأنه ليس له مثل ولا شريك، وأنتم بفطرتكم الأصلية تعلمون أنه لا مثل له ولا شريك، فلا تحرفوا هذه الطبيعة (3).

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات:

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- الأمر بعبادة الله وحده:

العبادة الخضوع المطلق لله سبحانه وتعالى وحده بحيث يكون القلب كله لله تعالى، لا يحب إلا لله ولا يكره إلا لله، والعبادات تعم الصلاة، والزكاة، والصوم والحج، وغير ذلك مما يكلفه العباد، حتى الأعمال التي تكون بها الحياة، كلها تكون عبادة إذا قصد بالخير فيها وجه الله تعالى، ونفع عباده، فالصانع في مصنعه والزارع في مزرعته إذا قصد بعمله نفع الناس ووجه الله تعالى، فهو في عبادة، فالعبادة تعم كل أفعال الإنسان، واختصت من بينها الفرائض، لأنها لا يمكن أن تكون إلا لله تعالى، وهو عليم بذات الصدور (4).

(1) النيسابوري، غرائب القرآن ورجائب الفرقان (ج1/ 179)

(2) نخبة من أسانذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 4)

(3) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص7)

(4) أبو زهرة، زهرة التفسير (ج1/ 155)

تعميم النداء لجميع الناس مما يدل على أن العبادة أهم شيء؛ بل إنَّ الناس ما خُلِقوا إلا للعبادة، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56]. أن الإقرار بتوحيد الربوبية مستلزم للإقرار بتوحيد الألوهية؛ لقوله تعالى: {اعبدوا ربكم} (1).

2- براهين وإثبات البعث:

أشار في هذه الآية إلى ثلاثة براهين من براهين البعث بعد الموت، وبينها مفصلة في آيات أخر: **الأول:** خلق الناس أولاً المَشَارُ إليه بقوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم)؛ لأنَّ الإيجاد الأول أعظم بُرْهَانٍ على الإيجاد الثاني، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: 27]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: 104].

البرهان الثاني: خلق السماوات والأرض المَشَارُ إليه بقوله: (الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماوات بناءً) لِأَنَّهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ الْأَعْظَمِ فَهُوَ عَلَى غَيْرِهِ قَادِرٌ مِنْ بَابٍ أُخْرَى، وَأَوْضَحَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْبُرْهَانَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَالْكَيِّنَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: 57]

البرهان الثالث: إحياء الأرض بعد موتها؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدِلَّةِ عَلَى الْبُعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، كَمَا أَشَارَ لَهُ هُنَا بِقَوْلِهِ: (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ) وَأَوْضَحَهُ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: 39] (2).

3- أدلة توحيد الله وقدرته على كل شيء:

أ- دلت الآية على توحيد الله، وإثبات الصانع الذي لا يشبهه شيء، القادر الذي لا يعجزه شيء، ومن مظاهر قدرته رفع السماء ووقوفها بغير عمد نراه، ودوامها على طول الدهر، دون تبدل ولا تغير، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: 32]، وكذلك ثبات الأرض ووقوفها على غير سند بالرغم من تحركها، ودورانها في الفضاء، من أعظم الدلالات على التوحيد، وعلى قدرة خالقها، وأنه لا يعجزه شيء.

(1) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، (ج1/73)

(2) يُنظَر، الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج1/17)

ب- في ذلك تنبيه على الاستدلال بها على الله وتذكير بالنعمة، فقد أخرج الله من الأرض ألوانا من الثمرات، وأنواعا من النباتات، طعاماً للإنسان، وعلفاً للدواب، وقد بين الله هذا في قوله تعالى: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبَبْنَا وَقَضَبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكْهَةً وَأَبَا ﴿٣١﴾ مَتَعًا لَكُمْ وَلِنَعْمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: 25 - 32] (1).

ت- وأنه خالق الأولين، والآخرين؛ لقوله تعالى: (الذي خلقكم والذين من قبلكم)، أن من طريق القرآن أنه إذا ذكر الحكم غالباً ذكر العلة؛ الحكم: {اعبدوا ربكم}، والعلة: كونه رباً خالقاً لنا، ولمن قبلنا.

ث- أن التقوى مرتبة عالية لا ينالها كل أحد إلا من أخلص العبادة لله عز وجل؛ لقوله تعالى: (لعلكم تتقون) (2).

ج- بيان قدرة الله عز وجل بإنزال المطر من السماء؛ لقوله تعالى: {وأنزل من السماء ماء} لو اجتمعت الخلائق على أن يخلقوا نقطة من الماء ما استطاعوا؛ والله تعالى ينزل هذا المطر العظيم بلحظة؛ وقصة الرجل الذي دخل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قال: ادع الله يغيثنا، فرفع يديه، وقال: "اللهم أغثنا" (3)، وما نزل من المنبر إلا والمطر يتحادر من لحيته (4).

المطلب الثاني: إعجاز القرآن الكريم وإكرام النبي ﷺ والنار للكفار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا عَلَىٰ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: 23 - 24]

أولاً: معاني المفردات:

"عَبْدِنَا: محمد ﷺ.

مِّن مِّثْلِهِ: مثل القرآن ومثل محمد في أميته.

شُهَدَاءَكُمْ: أنصاركم، وأهتكم التي تدعون أنها تشهد لكم عند الله وتشفع.

وَقُودُهَا: ما تتقد به وتشتعل وهو: الكفار والأصنام المعبودة مع الله عز وجل.

(1) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج، (ج1/98).

(2) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (ج1/74).

(3) [البخاري، صحيح البخاري، الاستسقاء/الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، 28/2: رقم الحديث [1014].

(4) ابن عثيمين، المرجع السابق، نفس الصفحة.

أُعدَّت: هيئت وأحضرت.

لِلْكَافِرِينَ: الجاحدين لحق الله تعالى في العبادة له وحده المكذبين برسوله وشرعه" (1).
ثانياً: البلاغة:

المقابلة اللطيفة {جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} فقد قابل بين الأرض والسماء، والفرش والبناء، وهذا من المحسنات البديعية.

الجملة الاعتراضية {وَلَنْ تَعْلَمُوا} لبيان التحدي في الماضي والمستقبل وبيان العجز التام في جميع العصور والأزمان

الإيجاز البديع بذكر الكناية {فاتقوا النار} أي فإن عجزتم فخافوا نار جهنم بتصديقكم بالقرآن (2).
وان هناك بشارة للمؤمنين بأن النار أعدت للكافرين وليس لهم.

ثالثاً: المناسبة:

أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى الدَّلَالََةَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَفُتْرَتِهِ ذَكَرَ بَعْدَهَا الدَّلَالََةَ عَلَى نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ لَيْسَ مُفْتَرًى مِنْ عِنْدِهِ. قَوْلُهُ: (عَلَى عَبْدِنَا) يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ (3).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"وإن كنتم -أيها الكافرون المعاندون- في شك من القرآن الذي نزلناه على عبدنا محمد ﷺ، وتزعمون أنه ليس من عند الله، فهاتوا سورة تماثل سورة من القرآن، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم، إن كنتم صادقين في دعواكم" (4).

"فإن لم تستطيعوا الإتيان بسورة مماثلة لسور القرآن - ولن تستطيعوا ذلك بحال من الأحوال - لأنه فوق طاقة البشر، إذ القرآن كلام الخالق فالواجب عليكم أن تتجنبوا الأسباب التي تؤدي بكم إلى عذاب النار في الآخرة، التي سيكون وقودها وحطبها من الكافرين ومن الأصنام، ولقد هيئت هذه النار لتعذيب الجاحدين المعاندين" (5).

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات.

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- تحدي الناس بالإتيان بسورة كسور القرآن:

أ- أنه تحداهم بالإتيان بسورة مثل سور القرآن، "وقرّعهم بالعجز عنه، مع ما هم عليه من الأنفة والحمية، وأنه كلام موصوف بلغتهم، فلو قدروا على معارضته لكانت معارضته

(1) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج/ 34)

(2) الصابوني، صفوة التفاسير (ج/ 37).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج/ 232)

(4) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج/ 4)

(5) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص/ 7)

أبلغ الأشياء في إبطال دعواه وتفريق أصحابه عنه. فلما ظهر عجزهم عن معارضته، دل ذلك على أن القرآن من عند الله الذي لا يعجزه شيء، وأنه ليس في مقدور العباد مثله، وهذه معجزة باقية لنبينا عليه الصلاة والسلام بعده إلى قيام الساعة، وقد كانت هذه المعجزة تتناسب مع اعتزاز العرب بالفصاحة والبلاغة بما لم يتهياً لغيرهم، فجعل الله تعالى آية محمد الكبرى كتاباً معجزاً لهم ولسائر الخلق في نظمه وأسلوبه، وفصاحته وبلاغته" (1).

ب- دفاع الله سبحانه وتعالى عن رسوله ﷺ، لقوله تعالى: {فأتوا بسورة من مثله}، لأن الأمر

هنا للتحدي؛ فالله عز وجل يتحدى هؤلاء بأن يأتوا بمعارضٍ لما جاء به الرسول ﷺ.

"وإنما اختيار «نزلنا» على لفظ التزليل دون الإنزال، لأن المراد النزول على سبيل التدرج والتجسيم وهو من مجازة لمكان التحدي، وذلك أنهم كانوا يقولون: لو أنزله الله لأنزله جملة واحدة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة [الفرقان: 32] (2).

2- مراحل التحدي:

أ- المرحلة الأولى ان يأتوا بمثل القرآن من غير تعيين قدر: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا

صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ [الطور: 34]

ب- المرحلة الثانية لما عجزوا ان يأتوا بمثله أمرهم أن يأتوا بعشر سور قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ

قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَدْعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ [يونس: 38]

ت- المرحلة الثالثة لما عجزوا خفف عنهم فقال فليأتوا بسورة مثله قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ

فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَدْعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٣﴾ [هود: 13]

ث- المرحلة الرابعة تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا

فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٣﴾ [البقرة: 23] (3)

ثم أنهى مراحل التحدي فقال تَعَالَى: ﴿قُلْ لِيِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا

يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿٨٨﴾ [الإسراء: 88]

3- إكرام النبي ﷺ بوصفه بالعبودية:

(1) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج، (ج1/103).

(2) النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان (ج1/192).

(3) فضل عباس، اتقان البرهان (ج1/111)

فضيلة النبي ﷺ لوصفه بالعبودية، والعبودية لله ﷻ هي غاية الحرية؛ لأن من لم يعبد الله فلا بد أن يعبد غيره؛ فإذا لم يعبد الله عز وجل. الذي هو مستحق للعبادة. عَبْدَ الشَّيْطَانِ (1). (مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) وهو محمد ﷺ ذكره بالعبودية لله تعالى، وفي ذلك تشريف للنبي ﷺ، وبيان لحماية الله تعالى له، وبيان بأن الرسالة لا تبعده عن مقام العبودية فهو عبد لله تعالى، ولن يستنكف أن يكون عبدا لله تعالى، وأن الله تعالى عاصمه في رسالته من الناس كما قال تعالى: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (2). قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء: 1]

4- النار خلقت ووقودها الناس:

أن الناس وقود للنار كما توقد النار بالحطب، فهي في نفس الوقت تحرقهم، وهي أيضاً توقد بهم؛ فيجتمع العذاب عليهم من وجهين، إهانة هؤلاء الكفار بإذلال آلهتهم، وطرحها في النار. على أحد الاحتمالين في قوله تعالى: {الحجارة}، لأن من المعلوم أن الإنسان يغار على من كان يعبده، ولا يريد أن يصيبه أذى؛ فإذا أحرقت هؤلاء المعبودون أمام العابدين فإن ذلك من تمام إذلالهم، وخزيهم. أن النار موجودة الآن؛ لقوله تعالى: {أعدت}، ومعلوم أن الفعل هنا فعل ماضٍ؛ والماضي يدل على وجود الشيء (3)، وهذا أمر دلت عليه السنة أيضاً؛ فإن النبي ﷺ عرضت عليه الجنة، والنار، ورأى أهلها يعذبون فيها: رأى عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه، أي أمعاه في النار، ورأى المرأة التي حبست الهرة حتى ماتت جوعاً: فلم تكن أطعمتها، ولا أرسلتها تأكل من خشاش الأرض، ورأى فيها صاحب المحجن الذي كان يسرق الحجاج بمحجنه، يعذب: وهو رجل معه محجن أي عصا محنية الرأس كان يسرق الحجاج بهذا المحجن، إذا مر به الحجاج جذب متاعهم؛ فإن تقطن صاحب الرجل لذلك ادعى أن الذي جذبته المحجن؛ وإن لم يتقطن أخذه؛ فكان يعذب. والعياذ بالله. بمحجنه في نار جهنم (4).

المطلب الثالث: ثواب الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: 25]

(1) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (ج1/83).

(2) أبو زهرة، زهرة التفسير (ج1/164).

(3) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (ج1/85).

(4) [مسلم، صحيح مسلم، الكسوف/باب ما عرض على النبي ﷺ، 623/2: رقم الحديث 904].

أولاً: معاني المفردات:

"وَبَشِّرِ: التبشير: الإخبار السار، وذلك يكون بالمحبيب للنفس.
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ: تجري الأنهار من خلال أشجارها وقصورها والأنهار هي: أنهار الماء وأنهار اللبن وأنهار الخمر وأنهار العسل.
وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا: أعطوا الثمار وقدم لهم يشبه بعضه بعضاً في اللون مختلف في الطعم.
مُطَهَّرَةٌ: من دم الحيض والنفاس وسائر المعائب والنقائص.
خَالِدُونَ: باقون فيها لا يخرجون منها أبداً" (1).

ثانياً: المناسبة:

"لما ذكر جزاء الكافرين، ذكر جزاء المؤمنين، أهل الأعمال الصالحات، على طريقته تعالى في القرآن يجمع بين الترغيب والترهيب، ليكون العبد راغبا راهبا، خائفا راجيا فقال: {وَبَشِّرِ} أي: إيا أيها الرسول ومن قام مقامه [الَّذِينَ آمَنُوا} بقلوبهم {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} بجوارحهم، فصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة" (2).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

وأخبر -أيها الرسول- أهل الإيمان والعمل الصالح خبراً يملؤهم سروراً، بأن لهم في الآخرة حقائق عجيبة، تجري الأنهار تحت قصورها العالية وأشجارها الظليلة، كلما رزقهم الله فيها نوعاً من الفاكهة اللذيذة قالوا: قد رزقنا الله هذا النوع من قبل، فإذا ذاقوه وجدوه شيئاً جديداً في طعمه ولذته، وإن تشابه مع سابقه في اللون والمنظر والاسم، ولهم في الجنات زوجات مطهرات من كل ألوان الدنس الحسي كالبول والحيض، والمعنوي كالكذب وسوء الخلق. وهم في الجنة ونعيمها دائمون، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها (3).

رابعاً: مقاصد وأهداف الآيات:

تظهر هذه الأهداف والمقاصد من خلال النقاط الآتية:

1- الشرع يحض المؤمنين على التبشير:

مشروعية تبشير الإنسان بما يسر، لقوله تعالى: {وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات}؛ ولقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَبَشِّرْهُمْ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 112]

، وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرُوهُ بِعَلِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: 28]، فالبشارة بما يسر الإنسان من سنن المرسلين عليهم الصلاة والسلام؛ وروي مسلم عن أبي موسى، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا

(1) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 35).

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص46)

(3) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 5)

بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، قَالَ: "بَشِّرُوا وَلَا تُتَفَرُّوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا"⁽¹⁾. وهل من ذلك أن تبشره بمواسم العبادة، كما لو أدرك رمضان، فقلت: هُنَاكَ اللهُ بهذا الشهر؟ الجواب: نعم؛ وكذلك أيضاً لو أتم الصوم، فقلت: هُنَاكَ اللهُ بهذا العيد، وتقبل منك عبادتك وما أشبه ذلك؛ فإنه لا بأس به، وقد كان من عادة السلف.

(1) [مسلم، صحيح مسلم، المغازي/بشروا ولا تتفروا، 5/ 141: رقم الحديث 4546].

2- ثواب الله للمؤمنين العاملين:

أن الجنات لا تكون إلا لمن جمع هذين: الإيمان، والعمل الصالح فإن قال قائل: في القرآن الكريم ما يدل على أن الأوصاف أربعة: الإيمان؛ والعمل الصالح؛ والتواصي بالحق؛ والتواصي بالصبر؟ فالجواب: أن التواصي بالحق، والتواصي بالصبر من العمل الصالح، لكن أحياناً يُذكر بعض أفراد العام لعلّة من العلة، وسبب من الأسباب.

أن جزاء المؤمنين العاملين للصلوات أكبر بكثير مما عملوا، وأعظم؛ لأنهم مهما آمنوا، وعملوا فالعمر محدود، وينتهي؛ لكن الجزاء لا ينتهي أبداً؛ هم مخلدون فيه أبد الآب؛ كذلك أيضاً الأعمال التي يقدمونها قد يشوبها كسل؛ قد يشوبها تعب؛ قد يشوبها أشياء تنقصها، لكن إذا من الله عليه، فدخل الجنة فالنعيم كامل (1).

3- ثواب الله للمؤمنين العاملين الجنة ونعيمها:

أ- اعْلَمُ أَنَّ مَجَامِعَ اللَّذَاتِ إِمَّا الْمَسْكُنُ أَوْ الْمَطْعَمُ أَوْ الْمَنْكَحُ فَوَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَسْكَنَ بِقَوْلِهِ: جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالْمَطْعَمَ بِقَوْلِهِ: كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَالْمَنْكَحَ بِقَوْلِهِ: وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ إِذَا حَصَلَتْ وَقَارَتْهَا خَوْفُ الزَّوَالِ كَانَ التَّنَعُّمُ مُنْعَصًا فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الْخَوْفَ زَائِلٌ عَنْهُمْ فَقَالَ: وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فَصَارَتِ الْآيَةُ دَالَّةً عَلَى كَمَالِ التَّنَعُّمِ وَالسَّرْرِ (2).

ب- أن الجنات أنواع لقوله تعالى: {جنات}، وقد دل على ذلك القرآن، والسنة؛ فقال الله تعالى:

﴿وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: 46]، ثم قال تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾

﴿٦٢﴾ [الرحمن: 62]

ت- وقال النبي ﷺ: "جناتان من فضة أنيتهما وما فيهما؛ وجنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما" (3).
ث- عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: "إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحنو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً" (4)

ج- تمام قدرة الله عز وجل بخلق هذه الأنهار بغير سبب معلوم، بخلاف أنهار الدنيا؛ لأن أنهار الماء في الدنيا معروفة أسبابها؛ وليس في الدنيا أنهار من لبن، ولا من عسل، ولا من خمر؛

(1) يُنظر، ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (ج1/93)

(2) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج2/356)

(3) [البخاري، صحيح البخاري، التفسير/قوله: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} [الرحمن: 62]، 6/145: رقم الحديث [4878].

(4) [مسلم، صحيح مسلم، الجنة/في سوق الجنة، 8/145: رقم الحديث [7248].

وقد جاء في الأثر أنها أنهار تجري من غير أخدود، يعني لم يحفر لها حفر، ولا يقام لها أعضاء تمنعها بل النهر يجري، ويتصرف فيه الإنسان بما شاء، يوجهه حيث شاء (1).

ح- خلود المؤمنين في الجنة، وخلود الكفار في النار: معناه في الشرع: "الدوام الأبدي، أي لا يخرجون منها، ولا هي تقنى بهم، فيزولوا بزوالها، وإنما هي حياة أبدية لا نهاية لها" (2).

خ- إثبات الأزواج في الآخرة، وأنه من كمال النعيم، وعلى هذا يكون جماع، ولكن بدون الأذى الذي يحصل بجماع نساء الدنيا، ولهذا ليس في الجنة مني، ولا منية؛ والمني الذي خلق في الدنيا إنما خلق لبقاء النسل، لأن هذا المنى مشتمل على المادة التي يتكون منها الجنين، فيخرج بإذن الله تعالى ولداً؛ لكن في الآخرة لا يحتاجون إلى ذلك؛ لأنه لا حاجة لبقاء النسل، إذ إن الموجودين سوف يبقون أبد الأبد لا يفنى منهم أحد، ثم هم ليسوا بحاجة إلى أحد يعينهم، ويخدمهم الولدان تطوف عليهم بأكواب، وأباريق، وكأس من معين، ثم هم لا يحتاجون إلى أحد يصعد الشجرة ليحني ثمارها، بل الأمر فيها كما قال الله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: 54] قَالَ تَعَالَى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: 23]

د- حتى ذكر العلماء أن الرجل ينظر إلى الثمرة في الشجرة، فيحس أنه يشتهيها، فيدنو منه الغصن حتى يأخذها، ولا تستغرب هذا؛ فنحن في الدنيا نشاهد أن الشيء يدنو من الشيء بغير سلطة محسوسة، وما في الآخرة أبلغ، وأبلغ (3).

خامساً: ربط الآيات بالواقع:

البشارة من الله حق ولكنها في هذه الآية مخصوصة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات فاذا آمنت وعملت صالحا ستدخل الجنة وتأكل من ثمارها وتتزوج من نسائها وتتمتع بنعيمها ومن العمل الصالح الذي يدخلك الجنة إقامة الصلاة على وقتها وصلة الارحام وقراءة القرآن والجهاد في سبيل الله ومحبة المؤمنين ومولاتهم والاعمال الصالحة كثيرة ويجب ان تكون خالصة لوجه الله حتى تقبل.

(1) يُنظر، ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (ج1/93)

(2) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج، (ج1/108)

(3) يُنظر، ابن عثيمين، المرجع السابق، (ج1/95)

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة البقرة من

الآية (26-43)

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف وسورة البقرة من الآية (26-43)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (26-29).

المطلب الأول: الحكمة من ضرب المثل وموقف المؤمنين والكافرين منه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: 26]

أولاً: معاني المفردات:

لا يَسْتَحْيِي: أي لا يترك ضرب المثل.

والحياء: تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب عليه ويذم، فإذا ورد الحياء في حق الله تعالى، فليس المراد منه ذلك الخوف الذي هو مبدأ الحياء ومقدمته، بل ترك الفعل الذي هو منتهاه وغايته (1).

والمثل في اللغة: "الشبيه والنظير" (2).

أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا: أن يجعل شيئاً مثلاً لآخر يكشف عن صفته وحاله في القبح أو الحسن.
مَا بَعُوضَةً: ما: نكرة بمعنى: شيء، أي شيء كان يجعله مثلاً، أو زائدة، وبعوضة المفعول الثاني، والبعوضة: واحدة البعوض، وهو صغار البق (3).

ثانياً: البلاغة:

"لا يَسْتَحْيِي المعنى: لا يترك، فعبر بالحياء عن الترك، لأن الترك من ثمرات الحياء، ومن استحيا من فعل شيء تركه" (4).

"فهو مجاز من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللزوم" (5).

(1) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/109)

(2) المراغي، تفسير المراغي، (ج1/70)

(3) أبويكر الجزائري، أيسر التفاسير، (ج1/37)

(4) الزحيلي، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(5) الزمخشري، عن حقائق غوامض التنزيل، (ج1/112)

ثالثاً: المناسبة:

لما بينّ تعالى بالدليل الساطع، والبرهان القاطع، أن القرآن كلام الله لا يطرأ إليه شك، وإنه كتاب معجز أنزله على خاتم المرسلين، وتحداهم أن يأتوا بمثل سورةٍ من أقصر سورته، وذكر هنا شبهة أوردها الكفار للقدح فيه وهي أنه جاء في القرآن ذكر (النحل، والذباب، والعنكبوت، والنمل) إلخ وهذه الأمور لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء فضلاً عن كلام ربّ الأرباب، فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة، وردّ عليهم بأن صغر هذه الأشياء لا يقدر في فصاحة القرآن وإعجازه، إذا كان ذكر المثل مشتقاً على حكمٍ بالغة⁽¹⁾.

رابعاً: سبب النزول:

قال ابنُ عباسٍ في روايةٍ أبي صالحٍ: لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعني قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ قالوا: الله أجلُّ وأعلى من أن يضرب الأمثال فأنزل الله هذه الآية.

وقال الحسنُ وقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتاب وصرّب للمُشركين به المثل ضحكّت اليهودُ وقالوا: ما يُشبهه هذا كلامَ الله. فأنزل الله هذه الآية.

عن ابنِ عباسٍ في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ قال: وذلك أن الله ذكر آلهة المُشركين، فقال: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ وذكر كيدَ الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، فقالوا: أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمدٍ، أي شيء يصنع بهذا؟ فأنزل الله هذه الآية⁽²⁾.

خامساً: المعنى الإجمالي:

"إن الله تعالى لا يستحي من الحق أن يذكر شيئاً ما، قلّ أو كثر، ولو كان تمثيلاً بأصغر شيء، كالبعوضة والذباب ونحو ذلك، مما ضربه الله مثلاً لعجز كل ما يُعبد من دون الله، فأما المؤمنون فيعلمون حكمة الله في التمثيل بالصغير والكبير من خلقه، وأما الكفار فيسخرّون ويقولون: ما مراد الله من ضرب المثل بهذه الحشرات الحقيرة؟ ويجيبهم الله بأن المراد هو الاختبار، وتمييز المؤمن من الكافر؛ لذلك يصرف الله بهذا المثل ناساً كثيرين عن الحق لسخريتهم منه، ويوفق به غيرهم إلى مزيد من الإيمان والهداية. والله تعالى لا يظلم أحداً؛ لأنه لا يصرف عن الحق إلا الخارجين عن طاعته"⁽³⁾.

(1) الصابوني، صفوة التفاسير، (ج/37)

(2) ينظر، الواحدي، أسباب النزول، (ص23)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (ج1/399)، ابن كثير، تفسير

القرآن العظيم (ج1/206).

(3) نخبة من علماء التفسير، التفسير الميسر (5/)

سادساً: مقاصد وأهداف الآيات:

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- إثبات الحياء لله عزّ وجلّ:

لقوله تعالى: (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما)، ووجه الدلالة: أن نفي الاستحياء عن الله في هذه الحال دليل على ثبوته فيما يقابلها؛ وقد جاء ذلك صريحاً في السنة، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صِفراً"⁽¹⁾. والحياء الثابت لله ليس كحياء المخلوق؛ لأن حياء المخلوق انكسار لما يذْهَمُ الإنسان ويعجز عن مقاومته؛ فتجده ينكسر، ولا يتكلم، أو لا يفعل الشيء الذي يُستحيا منه؛ وهو صفة ضعف ونقص إذا حصل في غير محله"⁽²⁾.

2- الحكمة من ضرب المثل:

أ- ضرب الأمثال والأشباه في القرآن الكريم يراد به كشف الغوامض، وتنبية الأذهان إلى الحقائق، وإبانة المصالح، وتقرير الحكم البالغة، وهو من الأمور المستحسنة في العقول والتربية والتعليم، وأما الذين كفروا فيجادلون في الحق بعد ما تبين، ويمارون بالبرهان وقد تعين، فيخرجون من الموضوع، ويعرضون عن الحجة"⁽³⁾.

ب- أن الله تعالى قوى قلوب ضعفاء الناس بذكر ضعفاء الأجناس وعرف الخلق قدرته في خلق الضعفاء على هيآت الأقوياء فإن البعوض على صغره بهيئة الفيل على كبره وفي البعوض زيادة جناحين فلا يستبعد من كرمه أن يعطى على قليل العمل ما يعطى على كثير العمل من الخلق كما أعطى صغير الجثة مع أعطى كبير الجثة من الخلقة ومن العجيب أن هذا الصغير يؤدي هذا الكبير فلا يمتنع منه ومن لطف الله تعالى أنه خلق الأسد بغاية القوة والبعوض والذباب بغاية الضعف ثم أعطى البعوض والذباب جراءة أظهرها في طيرانهما في وجوه الناس وتماديتهما في ذلك مع مبالغة الناس في ذبهما بالمذبة وركب الجبن في الأسد وأظهر ذلك بتباعده عن مساكن الناس وطرقهم ولو تجاسر الأسد تجاسر الذباب والبعوض لهلك الناس فمن الله تعالى وجعل في الضعيف التجاسر وفي القوى الجبن ومن العجب عجزك عن هذا الضعيف وقدرتك على ذلك الكبير - وحكى - أنه خطب المأمون فوق

(1) [ابن حبان، صحيح بن حبان، الرقائق/ذكر الاخبار عما يستحب للمرء عند ارادة، 160/3: رقم الحديث 876]، قال

الالباني صحيح، الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (ج2/ 239)

(2) ابن عثيمين، تفسير العثيمين الفاتحة والبقرة، (ج1/89)

(3) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/114)

ذباب على عينه فطرده فعاد مراراً حتى قطع عليه الخطبة فلما صلى أحضر أبا هذيل شيخ البصريين في الاعتزال فقال له لم خلق الله الذباب قال لينزل به الجبابة قال صدقت وأجازه بمال (1).
 ت- إن هذه الآيات تنشي بأن المنافقين - وربما كان اليهود والمشركون - قد وجدوا في هذه المناسبة منفذاً للتشكيك في صدق الوحي بهذا القرآن، بحجة أن ضرب الأمثال هكذا بما فيها من تصغير لهم وسخرية منهم لا تصدر عن الله، وأن الله لا يذكر هذه الأشياء الصغيرة كالذباب والعنكبوت في كلامه! .. وكان هذا طرفاً من حملة التشكيك والبلبله التي يقوم بها المنافقون واليهود في المدينة، كما كان يقوم بها المشركون في مكة. فجاءت هذه الآيات دفعاً لهذا الدس، وبيانا لحكمة الله في ضرب الأمثال، وتحذيراً لغير المؤمنين من عاقبة الاستدراج بها، وتطميناً للمؤمنين أن ستزيدهم إيماناً (2).

3- حال المؤمنين والكافرين عند نزول الآيات القرآنية:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: 124 - 125]، "فلا أعظم نعمة على العباد من نزول الآيات القرآنية، ومع هذا تكون لقوم محنة وحيرة وضلالة وزيادة شر إلى شرهم، ولقوم منحة ورحمة وزيادة خير إلى خيرهم، فسبحان من فاوت بين عباده، وانفرد بالهداية والإضلال" (3).

4- أفضلية الإيمان:

"أن المؤمن لا يمكن أن يعارض ما أنزل الله عزّ وجلّ بعقله؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، ولا يعترضون، ولا يقولون: لم؟، ولا: كيف؟؛ يقولون: سمعنا، وأطعنا، وصدقنا؛ لأنهم يؤمنون بأن الله ﷻ له الحكمة البالغة فيما شرع، وفيما قدر" (4).

5- قدرة الله سبحانه وحكمته في خلق البعوضة:

أن هذه البعوضة دقيقة الحجم خلقها معجزة، لأن في هذا الحجم الدقيق وضع الله سبحانه وتعالى كل الأجهزة اللازمة لها في حياتها، فلها عيان ولها خرطوم دقيق جداً ولكنه يستطيع أن يخرق جلد الإنسان، ويخرج الأوعية الدموية التي تحت الجلد ليمتص دم الإنسان، والبعوضة لها أرجل ولها أجنحة ولها دورة تناسلية ولها كل ما يلزم لحياتها، كل هذا في هذا الحجم الدقيق، كلما دق الشيء احتاج إلى دقة خلق أكبر (5).

(1) يُنظر، إسماعيل حقي، روح البيان (ج1/ 86)

(2) يُنظر، سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 50)

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 47)

(4) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 99)

(5) الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج1/ 211)

— "أن البعوضة من أحقر المخلوقات؛ لقوله تعالى: {بعوضة فما فوقها}؛ ومع كونها من أحقر المخلوقات فإنها تقض مضاجع الجبابرة؛ وربما تهلك لو سلطت على الإنسان لأهلكته وهي هذه الحشرة الصغيرة المهينة" (1).

— "ففي خلق مثل الذباب حكم ومصالح قال وكيع: لولا الريح والذباب لأنتنت الدنيا ومن الأعاجيب أن هذا الضعيف إذا طار في وجهك ضاق به قلبك ونغص به عيشك وفسد عليك بستانك وكرمك وأعجب منه جراتك مع ضعفك على ما يورثك العار ويوردك النار فإذا كان جزعك هذا من البعوض في الدنيا فكيف حالك إذا تسلطت عليك الحيات والعقارب في لظى" (2).

6- أثر الابتلاء على الناس:

الله ﷻ يطلق الابتلاءات والامتحانات تمضي في طريقها، ويتلقاها عباده، كل وفق طبيعته واستعداده، وكل حسب طريقه ومنهجه الذي اتخذ لنفسه، والابتلاء واحد ولكن آثاره في النفوس تختلف بحسب اختلاف المنهج والطريق، والشدة تسلط على شتى النفوس، فأما المؤمن الواثق بالله وحكمته ورحمته فتزيده الشدة التجاء إلى الله وتضرعاً وخشية، وأما الفاسق أو المنافق فتزلزله وتزيده من الله بعداً، وتخرجه من الصف إخراجاً والرخاء يسلب على شتى النفوس، فأما المؤمن التقي فيزيد الرخاء يقظة وحساسية وشكراً، وأما الفاسق أو المنافق فتبطره النعمة ويتلفه الرخاء ويضله الابتلاء، وهكذا المثل الذي يضره الله للناس «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا» ممن لا يحسنون استقبال ما يجيئهم من الله، «وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا» ممن يدركون حكمة الله «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» الذين فسدت قلوبهم من قبل وخرجت عن الهدى والحق، فجزاؤهم زيادتهم مما هم فيه (3).

7- قَدَمُ الإِضْلَالِ عَلَى الْهَدَايَةِ:

أ- "مع تقدّم حال المهتمدين على حال الضالين فيما قبله، ليكون أول ما يقرع أسماعهم من الجواب أمراً فظيماً يسوؤهم، ويفت في أعضادهم، وهو السرّ في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وما يُضِلُّ بِهِ، أي بالمثل أو بضره إلاّ الْفَاسِقِينَ تكلمة للجواب والردّ، وزيادة تعيين لمن أريد إضلالهم، ببيان صفاتهم القبيحة المستتعبة له" (4).

ب- "أن لفظ الكثير لا يدل على الأكثر؛ لقوله تعالى: {يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً}؛ فلو أخذنا بظاهر الآية لكان الضالون، والمهتدون سواءً؛ وليس كذلك؛ لأن بني آدم تسعمائة وتسعة وتسعون من الألف

(1) ابن عثيمين، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(2) إسماعيل حقي، روح البيان (ج1/ 86)

(3) يُنظر، سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 51)

(4) القاسمي، محاسن التأويل (ج1/ 280)

ضالون؛ وواحد من الألف مهتد؛ فكلمة {كثيراً} لا تعني الأكثر؛ وعلى هذا لو قال إنسان: عندي لك دراهم كثيرة، وأعطاه ثلاثة لم يلزمه غيرها؛ لأن كثير يطلق على القليل، وعلى الأكثر" (1).

سابعاً: ربط الآيات بالواقع:

1- ان أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون وأنها تشبيهه شئ بشئ في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر كقوله تعالى (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما) فيها دليل على قدرة الله على خلق أدق المخلوقات مثل البعوضة وائل منها مثل الذرة.

2- لا تستهين بالصغير الضعيف فيمكن ان تكون نهايتك على يده فالبعوض ينقل مرض الملاريا فيتسبب في قتل الكثير من البشر ولا تخشى القوي فيكون ضعفه في قوته.

3- التفكير في خلق الله يدلك على عظمة الله قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ [آل عمران: 190 - 191]

المطلب الثاني: نقض العهد وقطع ما أمر الله به من صفات الفاسقين.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: 27].

أولاً: معاني المفردات:

يَنْقُضُونَ: النقض: الحل بعد الإبرام.

عَهْدَ اللَّهِ: ما عهد به إلى الناس من الإيمان والطاعة له ولرسوله ﷺ (2).

مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ: من بعد إبرامه وتوثيقه بالحلف أو الإشهاد عليه.

وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ: من إدامة الإيمان والتوحيد والطاعة وصلة الأرحام.

وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ: الإفساد في الأرض يكون بالكفر وارتكاب المعاصي.

الْخَاسِرُونَ: الكاملون في الخسران بحيث يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة" (3).

ثانياً: البلاغة:

يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ: فيه استعارة مكنية، حيث شبه العهد بالحبل، وحذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو النقض، وسمي العهد حبلاً على سبيل الاستعارة، لما فيه من ثبات الصلة بين

(1) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/100)

(2) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/27)

(3) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/37)

المتعاهدين" (1)، قال الزمخشري: "أصل استعمال النقض هو في الحبل، ثم استعمل في العهد، لأنه يشبهه" (2).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

"الذين ينقضون عهد الله - وهم الذين لم يلتزموا عهد الله القوي الذي أنشأه في نفوسهم بمقتضى الفطرة موثقاً بالعقل المدرك ومؤيداً بالرسالة - ويقطعون ما أمر الله به أن يكون موصولاً كوصل ذوى الأرحام، والتواد والتعارف والتراحم بين بني الإنسان، ويفسدون في الأرض بسوء المعاملات وبإثارة الفتن وإيقاد الحروب وإفساد العمران، أولئك هم الذين يخسرون بإفسادهم فطرتهم وقطعهم ما بينهم وبين الناس ما يجب أن يكون من تواد وتعاطف وتراحم، ويكون مع ذلك لهم الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة" (3).

رابعاً: مقاصد وأهداف الآيات:

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- المقصود من نقض العهد:

اختلفَ المفسرون في تعيين هذا العهد، فقيل: هو الذي أخذَهُ اللهُ عَلَى بَنِي آدَمَ حِينَ اسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِهِ، وَقِيلَ: هُوَ وَصِيَّةُ اللهِ تَعَالَى إِلَى خَلْقِهِ، وَأَمْرُهُ إِيَّاهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَنَهْيُهُ إِيَّاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ فِي كُتُبِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ تَرْكُ الْعَمَلِ بِهِ. وَقِيلَ: بَلْ نَصَبُ الْأَدْبَلَةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَائِرِ الصَّنَعَةِ هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْعَهْدِ، وَنَقْضُهُمْ تَرْكُ النَّظَرِ فِي ذَلِكَ، وَقِيلَ: هُوَ مَا عَهَدَهُ إِلَى مَنْ أُوْتِيَ الْكِتَابَ أَنْ يُبَيِّنُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا يَكْتُمُوا أَمْرَهُ، فَالآيَةُ عَلَى هَذَا فِي أَهْلِ الْكِتَابِ.

قال أبو إسحاق الزجاج: عهده ﷺ ما أخذَهُ عَلَى النَّبِيِّينَ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ أَلَّا يَكْفُرُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ۖ﴾ [آل عمران: 81]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَخَذْتُ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۗ﴾ [آل عمران: 81] أَيَّ عَهْدِي، قُلْتُ: وَظَاهِرُ مَا قَبْلُ وَمَا بَعْدُ يُدَلُّ عَلَى أَنَّهَا فِي الْكُفَّارِ فَهَذِهِ خَمْسَةٌ أَقْوَالٌ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي يَجْمَعُهَا (4).

2- نقض عهد الله من الفسق:

فَالْفَاسِقُ يَشْمَلُ الْكَافِرَ وَالْعَاصِيَ، وَلَكِنَّ فَسْقَ الْكَافِرِ أَشَدُّ وَأَفْحَشُ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ الْفَاسِقُ الْكَافِرُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ۗ﴾ [البقرة: 27]، فَكَلِمَا رَأَيْتَ شَخْصاً قَدْ

(1) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/109)

(2) الزمخشري، عن حقائق غوامض التنزيل (ج1/112)

(3) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص8)

(4) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/246)

فرط في واجب، أو فعل محرماً فإن هذا نقض للعهد من بعد الميثاق، الله ﷻ أهلك عاد وثمود وفرعون بسبب فسقهم ونقضهم العهود قال تعالى: ﴿وَمَا جَدْنَا لِآكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن جَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 102].

3- التحذير من نقض عهد الله من بعد ميثاقه:

حذر الله ﷻ من نقض العهد في كثير من آياته قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝﴾ [الرعد: 25]، فعاقبة الذين ينقضون عهد الله اللعنة والطرده من رحمة الله ولهم عذاب جهنم في الآخرة، والتحذير من قطع ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام، أي الأقارب وغيرهم؛ لأن الله ذكر ذلك في مقام الذم؛ وقطع الأرحام من كبائر الذنوب؛ لقول النبي ﷺ لا يدخل الجنة قاطع" (1)، يعني قاطع رحم" (2)

4- وجوب الوفاء بالعهد:

أ- وفي الآية دليل على أن الوفاء بالعهد والتزامه وكل عهد جائز، ألزم المرء نفسه به، هو أمر واجب شرعاً وعقلاً، فلا يحل له نقضه، سواء أكان بين مسلم أم بين غيره، لذم الله تعالى من نقض عهده، وقد قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۖ﴾ [المائدة: 1] (3).

ب- والحق ﷻ يعطينا الصورة رائعة للوفاء بالعهد في قوله تعالى: ﴿إِنَ اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعَكُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111]، إذن فالمؤمنون باعوا لله سبحانه وتعالى أموالهم وأنفسهم، وكانوا صادقين في عهدهم، والله ﷻ وفي عهده فبشرهم بالفوز العظيم وأي فوز أعظم من الفردوس الأعلى.

"وقال لنبيه ﷺ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ [الأنفال: 58]، فنهاه عن الغدر، وذلك لا يكون إلا بنقض العهد" (4).

5- أن المعاصي والفسوق سبب للفساد في الأرض ونقض العهد:

أراد الحق أن يبين لنا صفات الفاسقين فحددها في ثلاث صفات:

(1) [أحمد بن حنبل، مسند احمد، مسند ابي سعيد الخدري، 17/178: رقم الحديث 11107]، قال الالباني صحيح،

الالباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/ 1269)

(2) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 103)

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 215)

(4) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/ 115)

أ- الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه.

ب- الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل.

ت- الذين يفسدون في الأرض.

ثم حدد لنا الحق تبارك وتعالى حكمهم فقال: أولئك هم الخاسرون، والخسران أن الذي وصلوا إليه هو من عملهم، لأنهم تركوا المنهج وبدأوا يشرعون لأنفسهم بهوى النفس، ولذلك يقول الحق ﷻ عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رِيحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: 16]، إذن هم الذين اختاروا، وهم الذين اشتروا الضلالة ودفعوا ثمنها من هدى الله، فكأنهم عقدوا صفقة خاسرة. لأن هدى الله هو الذي يقودنا إلى الحياة الخالدة والنعيم الذي لا يزول (1).

وكما قَالَ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: 41]؛ ولهذا إذا قحط المطر، وأجذبت الأرض، ورجع الناس إلى ربهم، وأقاموا صلاة الاستسقاء، وتضرعوا إليه ﷻ، وتابوا إليه، أعانهم الله ﷻ؛ وقد قال نوح ﷺ لقومه: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: 10 - 12] (2).

"أما الكفار والمنافقون، فقد باعوا هدى الله، واشتروا به ضلال الدنيا. فالحق ﷻ ذكر لنا أول صفات الفاسقين أنهم لا عهد لهم، ليس بينهم وبين الناس فقط، ولكن لا عهد لهم مع الله أيضا. وكلما عاهدوا الله عهداً نقضوه، والله يحب الوفاء بالعهد، ولذلك يقول ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34]، ويقول تَعَالَى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأعراف: 102]، ما هو العهد الموثق الذي أخذه الله على عباده فنقضوه؟ إنه الإيمان الأول" (3).

6- انتشار الفساد لكثرة الخبث:

فإن قال قائل: أليس يوجد في الأرض من هم صلحاء قائمون بأمر الله مؤدون لحقوق عباد الله ومع ذلك نجد الفساد في الأرض؟ فالجواب: أن هذا الإيراد أوردته أم المؤمنين زينب رضي الله عنها على

(1) ينظر، الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/215)

(2) ابن عثيمين، تفسير العثيمين، الفاتحة والبقرة (ج1/104)

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/215)

النبي ﷺ حيث قال: "ويل للعرب من شر قد اقترب!" قالت: أنهلك وفيما الصالحون؟! قال ﷺ: "نعم إذا كثر الخبث" (1).

وقوله ﷺ إذا كثر الخبث" يشمل معنيين:

- أ- أن يكثر الخبث في العاملين بحيث يكون عامة الناس على هذا الوصف.
- ب- أن يكثر فعل الخبث بأنواعه من فئة قليلة، لكن لا تقوم الفئة الصالحة بإنكاره؛ فمثلاً إذا كثر الكفار في أرض كان ذلك سبباً للشر، والبلاء؛ لأن الكفار نجس؛ فكثرتهم كثرة خبث؛ وإذا كثرت أفعال المعاصي كان ذلك سبباً أيضاً للشر، والبلاء؛ لأن المعاصي خبث (2).

7- المؤمنون أعظم أثراً من الكافرين:

المؤمنون المهتدون على قلتهم أجل فائدة وأكثر نفعاً وأعظم أثاراً من أولئك الكفار الفاسقين الضالين على كثرتهم، فإذا أشعرت الآية بأن المهتدين في الكثرة كالضالين، مع أن هؤلاء أكثر، فليس الظاهر مراداً: لأن العبرة بالكيف لا بالكم، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: 13] (3).

8- الحكمة من تقديم الاضلال على الهداية:

وقدم الله تعالى الإضلال على الهداية في قوله: يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا لأن سببه ومنشأه من الكفر متقدم في الوجود، فكان ذلك مناسباً لحال الكفرة، ليكون أول ما يقرع سمعهم من الجواب أمراً يفتت في أعضادهم، ويهزّ جنابهم، وعبر عن ذلك بصيغة المضارع المفيدة للاستقبال إيذاناً بالتجدد والاستمرار (4).

9- أنواع الفساد في الأرض:

والفساد في الأرض ألوان شتى، تتبع كلها من الفسوق عن كلمة الله، ونقض عهد الله، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، ورأس الفساد في الأرض هو الحيدة عن منهجه الذي اختاره ليحكم حياة البشر ويصرفها، هذا مفرق الطريق الذي ينتهي إلى الفساد حتماً، فما يمكن أن يصلح أمر هذه الأرض، ومنهج الله بعيد عن تصريفها، وشريعة الله مقصاة عن حياتها، وإذا انقطعت العروة بين الناس وربهم على هذا النحو فهو الفساد الشامل للنفوس والأحوال، وللحياة والمعاش وللأرض كلها وما عليها من

(1) [مسلم، صحيح مسلم، الفتن/اقترب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، 165/8: رقم الحديث 7337].

(2) ابن عثيمين، تفسير العثيمين، الفاتحة والبقرة (ج1/104)

(3) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/115)

(4) الزحيلي، الرجوع السابق، نفس الصفحة.

ناس وأشياء، إنه الهدم والشر والفساد حصيلة الفسوق عن طريق الله ومن ثم يستحق أهله أن يضلهم الله بما يهدي به عباده المؤمنين (1).

خامساً: ربط الآيات بالواقع:

نقض العهود من صفات اليهود والآيات التي تتحدث عنهم كثيرة منها قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْكَلْنَا عَهْدُكُمْ عَهْدًا بَيْنَهُمْ فَفَرَّقْنَا مِنْهُمْ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 100]. فاليهود نقضوا عهد الله من باب أولى أن ينقضوا العهود مع البشر والتاريخ والحاضر يشهد على اليهود بذلك ما اتفاقية أو سلوا عنا ببعيد. كما أن نقض العهود من صفات المنافقين وسبب خصال في المنافقين إِذَا كَانَ لَهُمُ الْغَلْبَةُ عَلَى النَّاسِ أَظْهَرُوا هَذِهِ الْخِصَالَ: إِذَا حَدَّثُوا كَذِبًا، وَإِذَا وَعَدُوا أَخْلَفُوا، وَإِذَا اتَّخَذُوا خَائِنًا، وَنَقَضُوا عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَقَطَعُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ. وَإِذَا كَانَتِ الْغَلْبَةُ عَلَيْهِمْ أَظْهَرُوا الثَّلَاثَ الْخِصَالَ: إِذَا حَدَّثُوا كَذِبًا، وَإِذَا وَعَدُوا أَخْلَفُوا، وَإِذَا اتَّخَذُوا خَائِنًا.

المجاهدون في فلسطين ضربوا أروع الامثلة في الوفاء بالعهود والتمسك بالأرض والثوابت قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23] فمن الجاهدين من استشهد في سبيل الله ومنهم من ينتظر وما بدلوا رغم الحروب والحصار والمؤامرات.

المطلب الثالث: مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ [البقرة: 28 - 29]

أولاً: معاني المفردات:

"كُنْتُمْ أَمْوَاتًا: قبل خلقكم، أو قبل نفخ الروح.

فَأَحْيَاكُمْ: أي خَلَقَكُمْ وَنَفَخَ فِيكُمْ أَرْوَاحَكُمْ.

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ: عند انقضاء آجالكم" (2).

"ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ: يريد بعد الحياة الثانية وهو البعث الآخر.

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 52)

(2) الكواري، تفسير غريب القرآن، (ج1/ 28)

خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً: أي أوجد ما أوجده من خيرات الأرض كل ذلك لأجلكم كي تنتفعوا به في حياتكم⁽¹⁾.

استوى: ترد في القرآن على ثلاثة معاني: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها، الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ [القصص:14]، وتارة تكون بمعنى علا وارتفع وذلك إذا عدت بـ على كما في قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54] قَالَ تَعَالَى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف:13]، وتارة تكون بمعنى قصد كما إذا عدت بـ إلى كما في هذه الآية، أي: لما خلق تعالى الأرض، قصد إلى خلق السماوات قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة: 29]، فخلقها وأحكمها، وأتقنها⁽²⁾.

فَسَوَّاهُنَّ: أتم خلقهن سبع سماوات تامات. وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ: إخبار بإحاطة علمه تعالى بكل شيء، وتدليل على قدرته وعلمه ووجوب عبادته⁽³⁾

ثانياً: البلاغة:

قوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بالله هو من باب (الالتفات) للتوبيخ والتقريع، فقد كان الكلام بصيغة الغيبة ثم التفت فخطبهم بصيغة الحضور، وهو ضرب من ضروب البديع. قوله: عَلِيمٌ من صيغ المبالغة، ومعناه الواسع العلم الذي أحاط علمه بجميع الأشياء، قال أبو حيان: وصف تعالى نفسه بـ (عالم وعليم وعلام) وهذان للمبالغة، وقد أدخلت العرب الهاء لتأكيد المبالغة في (علامة) ولا يجوز وصفه به تعالى⁽⁴⁾.

ثالثاً: المناسبة:

"بعد أن ذكر الله صفات الفاسقين وموقف الكفار من القرآن، وجّه الخطاب إلى الكفار في هاتين الآيتين على طريق الإنكار والتعجب والتوبيخ على موقفهم وصفة كفرهم، بذكر البراهين الداعية إلى الإيمان: وهي النعم الدالة على قدرته تعالى من مبدأ الخلق إلى منتهاه، من إحيائهم بعد الإماتة، ثم الإماتة والإحياء، وخلق جميع الخيرات المكونة في الأرض ليتمتعوا بجميع ما في ظاهرها وباطنها، وخلق سبع سماوات مزينة بمصابيح، ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، أفبعد هذا كله يكفرون بمحمد وبرسالته؟!"⁽⁵⁾

(1) أبوبكر الجزائري، أيسر التفسير (ج/ 39)

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص 48)

(3) أبوبكر الجزائري، أيسر التفسير (ج/ 1/ 39)

(4) الصابوني، صفوة التفسير (ج/ 1/ 39)

(5) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج/ 1/ 117)

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"كيف تنكرون -أيها المشركون- وحدانية الله تعالى، وتشركون به غيره في العبادة مع البرهان القاطع عليها في أنفسكم؟ فلقد كنتم أمواتاً فأوجدكم ونفخ فيكم الحياة، ثم يميتكم بعد انقضاء آجالكم التي حددها لكم، ثم يعيدكم أحياء يوم البعث، ثم إليه ترجعون للحساب والجزاء" (1).

"وإن الله الذي تجب عبادته وإطاعته هو الذي تفضل عليكم فخلق لمنفعتكم وفائدتكم كل النعم الموجودة في الأرض، ثم قد توجهت إرادته مع خلقه الأرض بمنافعها إلى السماء فجعل منها سبع سموات منتظمات فيها ما ترون وما لا ترون، والله محيط بكل شيء عالم به" (2).

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات:

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- التذكير بنعمة الإحياء:

نِعْمَةُ الْإِحْيَاءِ وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَعَلِمَ أَنَّ قَوْلَهُ: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَإِنْ كَانَ بِصُورَةِ الْإِسْتِخْبَارِ فَالْمُرَادُ بِهِ التَّبَكُّيْتُ وَالتَّغْنِيفُ، لِأَنَّ عِظَمَ النِّعْمَةِ يَفْتَضِي عِظَمَ مَعْصِيَةِ الْمُنْعَمِ، يُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَالِدَ كُلَّمَا عَظُمَتْ نِعْمَتُهُ عَلَى الْوَلَدِ بِأَنَّ رَبَّهُ وَعَلَّمَهُ وَخَرَّجَهُ وَمَوْلَهُ وَعَرَّضَهُ لِلْأُمُورِ الْحَسَنِ، كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ لِأَبِيهِ أَعْظَمَ، فَبَيَّنَ ﷺ بِذَلِكَ عِظَمَ مَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، بِأَنَّ دَكْرَهُمْ نِعْمَةَ الْعَظِيمَةِ عَلَيْهِمْ لِيُزَجِّرَهُمْ بِذَلِكَ عَمَّا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالْكَفْرِ وَيَبْعَثَهُمْ عَلَى اكْتِسَابِ الْإِيمَانِ، فَذَكَرَ تَعَالَى مِنْ نِعْمِهِ مَا هُوَ الْأَصْلُ فِي النِّعَمِ وَهُوَ الْإِحْيَاءُ، فَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ الْكُلِّيُّ (3).

2- الأدلة على قدرة الله عز وجل:

أ- اعلم أن هذه الآية دالة على أمور منها: اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العليم الحي السميع البصير الغني عما سواه، ومنها الدلالة على أنه لا قدرة على الإحياء والإماتة إلا الله، فيبطل قول الدهري: وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ [الجاثية: 24]، ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر مع التنبيه على الدليل القطعي الدال عليه، لأن إعادة أهون من الإبداء، ومنها الدلالة على التكليف والترغيب

(1) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 5)

(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص9)

(3) يُنظر، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج2/ 375)

والترهيب، ومنها الدلالة على وجوب الزهد في الدنيا لأنه قال: فَأَخْيَاكُمْ أَي بَعَقِب كُونَكُمْ نَطْفًا مِنْ غَيْر تَخَلُّل حَالَةٍ أُخْرَى بَيْنَهُمَا، ثُمَّ يَمِيتُكُمْ بَعْدَ انْقِضَاءِ مَهَلَةِ الْحَيَاةِ، ثُمَّ بَيِّنُ أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ عَلَى هَذَا الْمَوْتِ بَلْ لَا بَدَّ مِنْ حَيَاةٍ ثَانِيَةٍ لِلسُّؤَالِ أَوْ لِلحَشْرِ، ثُمَّ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَيْهِ لِالثَّوَابِ أَوْ الْعِقَابِ. فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ بَعْدَ مَا كَانَ نَطْفَةً فَإِنَّهُ أَحْيَاهُ وَصَوَّرَهُ أَحْسَنَ صُورَةٍ وَجَعَلَهُ بَشَرًا سَوِيًّا وَأَكْمَلَ عَقْلَهُ وَبَصَرَهُ بِأَنْوَاعِ الْمَضَارِّ وَالْمَنَافِعِ، وَمَلَكَهُ الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ وَالدُّورَ وَالْقُصُورَ. ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى يَزِيلُ كُلَّ ذَلِكَ عَنْهُ بِأَنَّ يَمِيتَهُ وَيَصِيرُهُ بِحَيْثُ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا وَلَا يَبْقَى مِنْهُ فِي الدُّنْيَا خَبْرٌ وَلَا أَثَرٌ، وَيَبْقَى مَدَّةً مَدِيدَةً فِي اللَّحْدِ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ [المؤمنون: 100] (1).

ب- الأدلة على قدرة الله ووجوده كثيرة منها ما ذكرته هذه الآية: وهو خلق الأرض وما فيها، والسموات وما أبدع فيها، وخلق الإنسان من العدم، ثم إمامته، ثم إحيائه، ثم حسابه على ما قدم في مسيرة الحياة البشرية، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأنبياء: 104]، فأعادتهم كابتنائهم، فهو رجوع، فيكافؤ المؤمنون بالجنان، لإيمانهم وعملهم الصالح، ويعذب الكفار لكفرهم (2).

ت- ذكر آياته في الآفاق الدالة على قدرته المحيطة بكل شيء، وعلى نعمه المتظاهرة على عباده بجعل ما في الأرض مهياً لهم ومعداً لمنافعهم فقال: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) وهذا الانتفاع يكون بإحدى وسيلتين:

إما بالانتفاع بأعيانه في الحياة الجسدية ليكون غذاءً للأجسام أو متعة لها في الحياة المعيشية. وإما بالنظر والاعتبار فيما لا تصل إليه الأيدي فيستدل به على قدرة مبدعه ويكون غذاءً للأرواح. وبهذا نعلم أن الأصل إباحة الانتفاع بكل ما خلق في الأرض، فليس لمخلوق حق في تحريم شيء أباحه الله إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: 59] (3).

نبهت آية هو الذي خلق لكم ما في الأرض على القدرة الإلهية المهيئة للأرض من أجل نفع الإنسان وتحقيق مصلحته ورعاية حاجة الخلق، وعاتب الله تعالى الكفار على جهالتهم بما في الأرض وتصريف المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاْسٍ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَفْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: 10]، فالمراد بالآية الاعتبار والاتعاظ بدليل ما قبلها وما بعدها من الإحياء والإماتة والخلق والاستواء إلى السماء وتسويتها (4).

(1) النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان (ج1/ 209)

(2) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/ 119)

(3) المراغي، تفسير المراغي (ج1/ 76)

(4) يُنظر، الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/ 119)

ث- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: خَلَقَ اللَّهُ النَّزْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ فِيهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَتَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ" (1).

ج- والنعمة التي يمن الله بها على الناس هنا وهو يستنكر كفرهم به ليست مجرد الإنعام عليهم بما في الأرض جميعاً، ولكنها- إلى ذلك- سيادتهم على ما في الأرض جميعاً، ومنحهم قيمة أعلى من قيم الماديات التي تحويها الأرض جميعاً. هي نعمة الاستخلاف والتكريم فوق نعمة الملك والانتفاع العظيم (2).

3- تعريف الموت:

أن الموت يطلق على ما لا روح فيه وإن لم تسبقه حياة، يعني: لا يشترط للوصف بالموت تقدم الحياة؛ لقوله تعالى: {كنتم أمواتاً فأحياكم}؛ أما ظن بعض الناس أنه لا يقال: ميت إلا لمن سبقت حياته؛ فهذا ليس بصحيح؛ بل إن الله تعالى أطلق وصف الموت على الجمادات؛ قال تعالى في الأصنام: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: 21] (3)

4- تعريف الكفر:

"وصف الكفر ينطبق على كل من لم يصدق بنبوّة محمد ﷺ فيما جاء به، وإن آمنوا بكتاب سماوي سابق، لأنهم لم يقرّوا بأن القرآن من عند الله، ومن زعم أن القرآن كلام البشر، فقد أشرك بالله، وصار ناقضاً للعهد. وقالت المعتزلة: آية كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكُفْرَ مِنْ قَبْلِ الْعِبَادَةِ" (4).

الاحياء بعد الإمامة يدل على ذلك قوله قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ تُمَيِّتُهُمْ ثُمَّ يَحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28] أنه تعالى لما قدر على إحياهم أولاً قدر على أن يحييهم ثانياً، فإن بدء الخلق ليس بأهون عليه من إعادته، أو الخطاب مع القبيلين فإنه ﷺ لما بين دلائل التوحيد والنبوة، ووعدهم على الإيمان، وأوعدهم على الكفر، أكد ذلك بأن عدد عليهم النعم العامة والخاصة، واستقيح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة، فإن عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم، فإن قيل: كيف تعد الإمامة من النعم المقتضية للشكر؟ قلت:

(1) [مسلم صحيح مسلم، التوبة/ أيام الخلق، 127/8: رقم الحديث 7155].

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 54)

(3) ابن عثيمين، تفسير العثيمين، الفاتحة والبقرة (ج1/ 106)

(4) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/ 119)

لما كانت وصلة إلى الحياة الثانية التي هي الحياة الحقيقية كما قال الله تعالى: **وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ**، كانت من النعم العظيمة (1).

5- الله سخر الكون للإنسان:

"ومعنى **لَكُمْ** لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم وذلك ظاهر، وفي دينكم من النظر في عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم، ومن التذكير بالآخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على أسباب الإنس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناحك والمراكب والمناظر الحسنة البهية" (2)، ويقول سيد قطب: "إن كلمة **«لَكُمْ»** هنا ذات مدلول عميق وذات إحياء كذلك عميق، إنها قاطعة في أن الله خلق هذا الإنسان لأمر عظيم. خلقه ليكون مستخلفاً في الأرض، مالكاً لما فيها، فاعلاً مؤثراً فيها، إنه الكائن الأعلى في هذا الملك العريض والسيد الأول في هذا الميراث الواسع، ودوره في الأرض إذن وفي أحداثها وتطوراتها هو الدور الأول إنه سيد الأرض وسيد الآلة! إنه ليس عبداً للآلة كما هو في العالم المادي اليوم، وليس تابعاً للتطورات التي تحدثها الآلة في علاقات البشر وأوضاعهم كما يدعي أنصار المادية المطموسون، الذين يحقرون دور الإنسان ووضعه، فيجعلونه تابعاً للآلة الصماء وهو السيد الكريم! وكل قيمة من القيم المادية لا يجوز أن تطغى على قيمة الإنسان، ولا أن تستنله أو تخضعه أو تستعلي عليه وكل هدف ينطوي على تصغير قيمة الإنسان، مهما يحقق من مزايا مادية، هو هدف مخالف لغاية الوجود الإنساني، فكرامة الإنسان أولاً، واستعلاء الإنسان أولاً، ثم تجيء القيم المادية تابعة مسخرة" (3).

علم الله شامل لكل شيء: يدل على ذلك قوله تعالى: **﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** (البقرة: 29)

"وعلم الله واسع شامل لكل ما خلق، وهو خالق كل شيء، فوجب أن يكون عالماً بكل شيء، ولا يكون هذا النظام المحكم في السموات والأرض إلا من لدن حكيم عليم بما خلق، فلا عجب أن يرسل رسولا مؤيدين بكتاب لهداية الناس، يضرب فيه الأمثال بما شاء من مخلوقاته، عظم أو صغر" (4)، بما أنه الخالق لكل شيء، المدبر لكل شيء، وشمول العلم في هذا المقام كشمول التدبير. حافز من حوافز الإيمان بالخالق الواحد، والتوجه بالعبادة للمدبر الواحد، وإفراد الرزاق المنعم بالعبادة اعترافاً بالجميل (5).

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج1/ 65)

(2) النيسابوري، غرائب القرآن ورجائب الفرقان (ج1/ 210)

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 53)

(4) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/ 121)

(5) سيد قطب، المرجع السابق (ج1/ 54)

وَقَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ بِالْعِلْمِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ^ط وَالْمَلَائِكَةَ يَشْهَدُونَ^ع وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ [النساء: 166]، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالرَّيْسَتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَان لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦٧﴾ [هود: 14] (1)

أن نخشى، ونخاف؛ "لأن الله تعالى بكل شيء عليم؛ فإذا كان الله عليماً بكل شيء، حتى ما نخفي في صدورنا. أوجب لنا ذلك أن نحترس مما يغضب الله ﷻ سواء في أفعالنا، أو في أقوالنا، أو في ضمائر قلوبنا" (2)، ويترتب على ذلك أنه يجب أن نعبد الله ككنا نراه فان لم نكن نراه فهو يرانا عندما سئل النبي ﷺ ما الإحسان؟ قال: أن تحشى الله كأنك تراه، فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك، قال: صدقت (3).

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج1/ 261)

(2) ابن عثيمين، تفسير العثيمين، الفاتحة والبقرة (ج1/ 111)

(3) [مسلم، صحيح مسلم، الايمان/بيان الايمان والاسلام والاحسان، 30/1: رقم الحديث7].

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (30-39)

المطلب الأول: الحكمة من خلق الإنسان وتكريمه وجوب تعيين خليفة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30]

أولاً: معاني المفردات:

لِلْمَلَائِكَةِ: جمع ملاك ويخفف فيقال ملك، وهم خلق من عالم الغيب أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله تعالى خلقهم من نور (1).

خَلِيفَةً: الخليفة الخالف لمن كان قبله (2).

وَيَسْفِكُ: السفك الصب والإراقة لا يستعمل إلا في الدم قال في المصباح: وسفك الدم: أراقة وبابه ضرب

نُسَبِّحُ: التسبيح: تنزيه الله وتبرئته (3).

وَنُقَدِّسُ لَكَ: نمجّدك ونعظّمك وننزهك عما لا يليق بعظمتك (4).

ثانياً: المناسبات:

لما امتنّ تعالى على العباد بنعمة الخلق والإيجاد وأنه سخر لهم ما في الأرض جميعاً، وأخرجهم من العدم إلى الوجود، أتبع ذلك ببدء خلقهم، وامتنّ عليهم بتشريف أبيهم وتكريمه، بجعله خليفة، وإسكانه دار الكرامة، وإسجاد الملائكة تعظيماً لشأنه، ولا شك أن الإحسان إلى الأصل إحسان إلى الفرع، والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء، ولهذا ناسب أن يذكرهم بذلك، لأنه من وجوه النعم التي أنعم بها عليهم (5).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

"واذكر -أيها الرسول- للناس حين قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض قوماً يخلف بعضهم بعضاً لعمارتها، قالت: يا ربنا علمنا وأرشدنا ما الحكمة في خلق هؤلاء، مع أنّ من شأنهم الإفساد في الأرض واراقة الدماء ظلماً وعدواناً ونحن طوع أمرك، ننزّهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ونمجّدك

(1) أبو بكر الجزائري، أيسر التفسير (ج1/40)

(2) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/30)

(3) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/40)

(4) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/124)

(5) الصابوني، المرجع السابق، نفس الصفحة.

بكل صفات الكمال والجلال؟ قال الله لهم: إني أعلم ما لا تعلمون من المصلحة الراجحة في خلقهم" (1).

رابعاً: مقاصد وأهداف الآيات:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف، من خلال النقاط الآتية:

1- تكريم الإنسان باستخلافه:

دللت هذه الآيات على تكريم الإنسان الذي جعله الله خليفة في هذه الأرض في تنفيذ أوامره بين الناس، ويؤيده قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي﴾ [ص: 26]

2- الحكمة من استخلاف آدم ﷺ:

"والحكمة من جعل آدم خليفة هي الرحمة بالناس، إذ لا طاقة للعباد على تلقي الأوامر والنواهي من الله بلا واسطة، فكان من رحمته تعالى إرسال الرسل من البشر" (2).

3- المشورة بين العباد من دين الله:

قال بعض العلماء: في إخبار الله تعالى للملائكة عن خلق آدم واستخلافه في الأرض، تعليم لعباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها (3). ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: 38]

4- وجوب تنصيب خليفة للمسلمين:

"هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يُسمع له ويُطاع، لتجتمع به الكلمة، وتتفد به أحكام الخليفة. ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة" (4).

5- إثبات صفة الكلام ﷺ:

إثبات القول لله ﷺ، وأنه بحرف، وصوت؛ وهذا مذهب السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وأئمة الهدى من بعدهم؛ يؤخذ كونه بحرف من قوله تعالى: {إني جاعل في الأرض خليفة}؛ لأن هذه حروف؛ ويؤخذ كونه بصوت من أنه خاطب الملائكة بما يسمعون؛ وإثبات القول لله على هذا الوجه من كماله سبحانه وتعالى؛ بل هو من أعظم صفات الكمال: أن يكون ﷺ متكلماً بما شاء كوناً، وشرعاً؛ متى شاء؛ وكيف شاء؛ فكل ما يحدث في الكون فهو كائن بكلمة {كن}؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82] (5).

(1) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج/ 6)

(2) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج/127)

(3) الصابوني، صفوة التقاسير (ج/1/ 42)

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج/1/ 261)

(5) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج/1/ 116)

6- طرق تعيين الإمام:

أ- النص على الخليفة: كما نص النبي ﷺ على أبي بكر بالإشارة، وأبو بكر على عمر.
ب- الانتخاب بواسطة جماعة: كما فعل عمر، ويكون التخيير إليهم في تعيين واحد منهم، كما فعل الصحابة ﷺ في تعيين عثمان بن عفان ﷺ.

ت- إجماع أهل الحل والعقد (1).

ث- أن يتغلب على الناس بسنيته، وينزع الخلافة بالقوة حتى يستتب له الأمر، وتدين له الناس لما في الخروج عليه حينئذ من شق عصا المسلمين، وإراقة دمايهم.
قال بعض العلماء: ومن هذا القبيل قيام عبد الملك بن مروان على عبد الله بن الزبير، وقتله إياه في مكة على يد الحجاج بن يوسف، فاستتب الأمر له (2).

7- يشترط في الإمام سبعة شروط تلخص في الآتي:

الأول: أن يكون من صميم قرشي، لقوله ﷺ: (الأئمة من قرشي) (3)، وقد اختلف في هذا، الثاني: أن يكون ممن يصلح أن يكون قاضياً من فضاة المسلمين مجتهداً لا يحتاج إلى غيره في الاستفتاء في الحوادث، وهذا متفق عليه، الثالث: أن يكون ذا خبرة ورأي حصيف بأمر الحرب وتدبير الجيوش وسد الثغور وحماية البيضة ورذع الأمة والانتقام من الظالم والأخذ للمظلوم، الرابع: أن يكون ممن لا تلحقه رقة في إقامة الحدود ولا فرغ من ضرب الرقاب ولا قطع الأئشار، والدليل على هذا كله إجماع الصحابة ﷺ، لأنه لا خلاف بينهم أنه لا بد من أن يكون ذلك كله مجتمعاً فيه، ولأنه هو الذي يولي الفضاة والحكام، وله أن يباشر الفضل والحكم، ويتفحص أمور خلفائه وفضاة، ولن يصلح لذلك كله إلا من كان عالماً بذلك كله قيمياً به، والله أعلم، الخامس: أن يكون حراً، ولا خفاء باشتراط حرية الإمام وإسلامه وهو السادس، السابع: أن يكون ذكراً، سليم الأعضاء (4).

8- جواز البحث عن حكمة الله في أمور الدين والدنيا:

قول الملائكة {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا} الآية ليس هذا على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عين الحكمة في ذلك، يقولون: ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض؟ وقال في التسهيل: وإنما علمت الملائكة أن بني آدم

(1) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/129)

(2) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج1/23)

(3) [أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، 318/19: رقم

الحديث 12307]، قال الالباني صحيح، صحيح الترغيب والترهيب (ج2/550)

(4) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج1/270)، الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

(ج1/23)

يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك، وقيل: كان في الأرض جنٌّ فأفسدوا، فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم، ففاس الملائكة بني آدم عليهم (1)

إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ رَأَتْ وَعَلِمَتْ مَا كَانَ مِنْ إِفْسَادِ الْجِنِّ وَسَفْكِهِمُ الدِّمَاءِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَرْضَ كَانَ فِيهَا الْجِنُّ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ فَأَفْسَدُوا وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسَ فِي جُنْدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَحَقَّهُمْ بِالْبَحَارِ وَرُؤُوسِ الْجِبَالِ ، فَمِنْ حِينِيذٍ دَخَلَتْهُ الْعِرَّةُ (2).

9- المراد بتسبيح الله وتقديسه:

والتسبيح: تعبيد الله عن السوء، وكذلك تقديسه، من سبح في الأرض والماء، وقدم في الأرض: إذا ذهب فيها وأبعد، وبِحَمْدِكَ في موضع الحال، أي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لأنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق واللفظ لم نتمكن من عبادتك (3).

(وَيُقَدِّسُ لَكَ) أَي نُعْظِمُكَ وَنُحَمِّدُكَ وَنُطَهِّرُ بِكَرَمِكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ مِمَّا نَسَبَكَ إِلَيْهِ الْمُلْحِدُونَ ، قَالَ مُجَاهِدٌ وَأَبُو صَالِحٍ وَغَيْرُهُمَا . وَقَالَ الصَّحَّاحُ وَغَيْرُهُ : الْمَعْنَى نُطَهِّرُ أَنْفُسَنَا لَكَ ابْتِغَاءً مَرْضَاتِكَ (4).

10- الحكمة من خلق آدم وذريته:

قال الله تعالى مجيباً لهم عن هذا السؤال إِيَّيْ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ: أي إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرسل، ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء والعاملون والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم (5).

خامساً: ربط الآيات بالواقع:

يلاحظ من قصة آدم وموقف الملائكة من خلقه، كيف أن العلم المحيط تتكشف به من الأسرار والحكم ما لا ينكشف بغيره، وعلم الله أزلي ليس كمثله شيء، ولكن من قصة آدم نأخذ درساً وهو أنه كلما ازداد العلم كان الحكم أصح ففي حياتنا الدنيوية نجد كثيرين ليسوا مرشحين لإصدار أحكام في كثير من القضايا لعدم إحاطتهم بها، ومن ثم فإن أحكامهم تبقى قاصرة وهذا يجعلنا وخاصة في أمر بناء الأمم واعتماد ما ينبغي اعتماده في شؤون الحكم والعامّة والخاصة نتأني كثيرا فلا نصدر حكماً إلا بعد استيعاب شامل للقضية التي بين أيدينا (6).

(1) ينظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/216)

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج1/274)

(3) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج1/125)

(4) القرطبي، المرجع السابق، (ج1/277)

(5) سعيد حوى، الأساس في التفسير (ج1/116)

(6) سعيد حوى، الأساس في التفسير (ج1/120)

يجب على الامة الاسلامية أن تتحد لإعادة الخلافة إسلامية على كتاب الله وسنة رسوله وذلك بالاهتمام بالعلم والعلماء والبحث العلمي والتقدم التكنولوجي والعمل على تنشئة جيل قرآني يحفظ القرآن ويجب ان يعلم العرب والمسلمون ان اليهود والنصارى هم العدو الأول وهم الذين اسقطوا الخلافة العثمانية وقسموا أملاكها بينهم.

المطلب الثالث: علم الله تعالى المطلق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: 31-32]

أولاً: معاني المفردات:

وآدم: اسم لأبى البشر، قيل إنه عبراني مشتق من أدمه، وهي لغة عبرانية معناها التراب، كما أن حواء كلمة عبرانية معناها «حي» وسميت بذلك لأنها تكون أم الأحياء (1)
ثُمَّ عَرَضَهُمْ: أي: عَرَضَ المسميات، وعَرَضُ الشيء: إظهاره ليعرف العارض منه حاله (2)
أَنْبِئُونِي: أخبروني والنبأ: الخبر الهام ذو الفائدة العظيمة قال تعالى {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ} [ص: 67]
تُبْدُونَ: تظهرون

هَؤُلَاءِ: المعرضين عليهم من سائر المخلوقات (3)
سُبْحَانَكَ: تنزيهاً لك وتقديساً.

الْحَكِيمُ: الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه، ولا يفعل ولا يترك إلا لحكمة (4).
ثانياً: البلاغة:

"أَنْبِئُونِي أريد به التعجيز والتبكيث

ثُمَّ عَرَضَهُمْ من باب التغليب للعقلاء على غير العقلاء" (5).

ثالثاً: المناسبة:

قال الحافظ ابن كثير: "وهذا كان بعد سجودهم له، وإنما قدم هذا الفصل على ذلك، لمناسبة ما بين هذا المقام، وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة، حين سألوا عن ذلك. فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون، ولهذا ذكر الله هذا المقام، عقيب هذا، ليبين لهم شرف آدم بما فضل عليهم في العلم ثُمَّ

(1) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط (ج1/ 94)

(2) الكواري، تفسير غريب القرآن، (ج2/ 31)

(3) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/ 41)

(4) أبوبكر الجزائري، أيسر التفاسير للجزائري (ج1/ 42)

(5) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/ 123)

عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَي عَرَضَ أَهْلُ الْأَسْمَاءِ، فَالضَّمِيرُ لِلْمَسْمِيَّاتِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهَا ضَمْنَا فَقَالَ أَنْبِيَاؤُنِي هُوَلاءُ" (1).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"وبعد أن خلق الله آدم وعلمه أسماء الأشياء وخواصها ليتمكن في الأرض وينتفع بها، عرض الله هذه الأشياء على الملائكة وقال لهم: أخبروني بأسماء هذه الأشياء وخواصها إن كنتم صدقتم في ظنكم أنكم أحق بخلافة الأرض ولا يوجد أفضل منكم بسبب طاعتكم وعبادتكم" (2).

"قالت الملائكة: ننزهك يا ربنا، ليس لنا علم إلا ما علمتنا إياه. إنك أنت وحدك العليم بشئون خلقك، الحكيم في تدبيرك" (3).

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف، من خلال النقاط الآتية:

1- الله يمن من علمه على بعض خلقه:

بيان أن الله تعالى قد يمنّ على بعض عباده بعلم لا يعلمه الآخرون؛ وجهه: أن الله علم آدم أسماء مسميات كانت حاضرة، والملائكة تجهل ذلك (4).

2- الله هو العالم والمعلم الأول في الكون:

هذه الآية الكريمة توضح لنا أن الله ﷻ هو المعلم الأول في الكون، وإذا كان لكل علم معلم، فإن المعلم الأول لا بد أن يكون هو الله ﷻ، وإذا كنا نشاهد في عصرنا ألوانا من العلوم، فهذه العلوم من تفاعل العقل الذي وهبه الله تعالى للإنسان، من المواد التي وضعها الله تعالى في الكون، بالمنطق والعلم الذي علمه الله للإنسان (5).

3- أول من تعلم اللغة آدم ﷺ:

يقول القرطبي: "الصحيح أن أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم ﷺ، والقرآن يشهد له قال الله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} واللغات كلها أسماء فهي داخلة تحته وبهذا جاءت السنة قال ﷺ: "وعلم آدم الأسماء كلها حتى القصة والقصة" وما ذكروه يحتمل أن يكون المراد به أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم ﷺ إسماعيل ﷺ (6) و استدل الأشعري والجبائي والكعبي بأية وَعَلَّمَ آدَمَ

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/222)

(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص10)

(3) نخبة من علماء التفسير، التفسير الميسر (ج1/6)

(4) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/120)

(5) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/248)

(6) القرطبي الجامع لأحكام القرآن (ج1/284)

الأسماء كُلُّها على أن اللغات كلها توقيفية، بمعنى أن الله تعالى خلق علماً ضرورياً بتلك الألفاظ وتلك المعاني، وبأن تلك الألفاظ موضوعة لتلك المعاني (1).

4- فضل العلم:

الآية دالة على فضل العلم، فإنه سبحانه ما أظهر كمال حكمته في خلقه آدم ﷺ، إلا بأن أظهر علمه، فلو كان في الإمكان وجود شيء أشرف من العلم، لكان من الواجب إظهار فضله بذلك الشيء، لا بالعلم (2).

5- تكريم آدم بتعليمه الأسماء كلها:

آية تعليم آدم الأجناس التي خلقها الله، وألهمه معرفة ذواتها وخواصها وصفاتها وأسمائها، إما في آن واحد أو آناً متعددة، وكانت الحكمة في التعليم والعرض على الملائكة تشريف آدم واصطفاءه، كيلا يكون للملائكة مفخرة عليه بعلومهم ومعارفهم، وإظهار الأسرار والعلوم لمكنونة في غيب علمه تعالى على لسان من يشاء من عباده (3)، قال ابن عباس: "هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها" (4).

6- جواز سؤال الانسان واختباره:

جواز امتحان الإنسان بما يدعي أنه مُجيد فيه، وجواز التحدي بالعبارات التي يكون فيها شيء من الشدة؛ لقوله تعالى: {أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين}.

7- الكلام من صفات الملائكة:

أن الملائكة تتكلم؛ لقوله تعالى: {أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين} * قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم}.

8- الانسان عالم بما يعلم جاهل بما لا يعلم:

اعتراف الملائكة بأنهم لا علم لهم إلا ما علمهم الله ﷻ ويتفرع على ذلك أنه ينبغي للإنسان أن يعرف قدر نفسه، فلا يدعي علم ما لم يعلم.

9- تسبيح الملائكة لله وتنزيهه:

شدة تعظيم الملائكة لله ﷻ، حيث اعترفوا بكماله، وتنزيهه عن الجهل بقولهم: {سبحانك} واعترفوا لأنفسهم بأنهم لا علم عندهم؛ واعترفوا لله بالفضل في قولهم: {إلا ما علمتنا} (5).

(1) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/130)

(2) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ج1/130)

(3) المراغي، تفسير المراغي (ج1/83)

(4) القاسمي، محاسن التأويل (ج1/287)

(5) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/121)

قَوْلُهُ تَعَالَى: "سُبْحَانَكَ" أَي تَنْزِيهَا لَكَ عَن أَنْ يَعْلَمَ الْغَيْبَ أَحَدٌ سِوَاكَ، الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ سُئِلَ عَنِّ عِلْمِ أَنْ يَقُولَ إِنْ لَمْ يَعْلَمْ: اللَّهُ أَعْلَمُ وَلَا أَدْرِي، اِفْتِدَاءً بِالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْفُضَلَاءِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، لَكِنْ قَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ أَنَّ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ يُفْبِضُ الْعِلْمُ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالٌ يُسْتَفْتُونَ فَيُعْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ" (1).

10- قصة آدم ﷺ من الاعجاز الغيبي:

قال ابن جرير: "وفي هذه الآيات العبرة لمن اعتبر، والذكرى لمن ادكر، والبيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، عما أودع الله ﷻ في هذا القرآن، من لطائف الحكم التي تعجز عن أوصافها الألسن، وذلك أن الله جل ثناؤه، احتج فيه لنبيه ﷺ، على من كان بين ظهرائه، من يهود بني إسرائيل، باطلاعه إياه من علوم الغيب، التي لم يكن تعالى أطلع من خلقه إلا خاصاً، ولم يكن مدركاً علمه إلا بالأنبياء والأخبار، لتتقرر عندهم صحة نبوته، ويعلموا أن ما آتاهم به فمن عنده" (2).

11- الله هو الحكيم العليم:

{إنك أنت} أي وحدك {العليم} أي العالم بكل المعلومات {الحكيم} أي فلا يتطرق إلى صنعك فساد بوجه فلا اعتراض أصلاً.

قال الحرالي: "توكيد وتخليص وإخلاص للعلم والحكمة لله وحده، وذلك من أرفع الإسلام، لأنه إسلام القلوب ما حلاها الحق سبحانه به! فإن العلم والحكمة نور القلوب الذي تحيا به كما أن الماء رزق الأبدان الذي تحيا به" (3).

وقدم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة، ليكون وصفه بالعلم متصلاً بنفسيهم عن أنفسهم في قولهم: لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا (4).

العليم من صفات المبالغة التامة في العلم، والمبالغة التامة لا تتحقق إلا عند الإحاطة بكل المعلومات، وما ذاك إلا هو سبحانه وتعالى، فلا جرم ليس العليم المطلق إلا هو، فلذلك قال {إنك أنت العليم الحكيم} على سبيل الحصر (5).

المطلب الرابع: الحث على العلم وفضله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ يَا أَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة:33]

(1) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج1/ 285)

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج1/ 494)

(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج1/ 248)

(4) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي (ج1/ 96)

(5) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج2/ 425)

أولاً: معاني المفردات:

غَيْبَ السَّمَاوَاتِ: ما غاب عن الأنظار في السماوات والأرض (1).

تُبْدُونَ: تظهرون من قولهم: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا}.

تَكْتُمُونَ: تبطنون وتخفون، يريد ما أضمره إبليس من مخالفة أمر الله تعالى وعدم طاعته (2).

الْحَكِيمُ: الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه، ولا يفعل ولا يترك إلا لحكمة (3).

ثانياً: البلاغة:

"قَلَمًا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ} فيه مجاز بالحذف والتقدير: فأنبأهم بها فلما أنبأهم حذف لفهم المعنى، إبراز الفعل في قوله {إني أعلم غيب السماوات} ثم قال {وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ} للإهتمام بالخبر والتنبيه على إحاطة علمه تعالى بجميع الأشياء، ويسمى هذا بالإطناب، تضمنت آخر هذه الآية من علم البديع ما يسمى ب «الطباق» وذلك في كلمتي {تُبْدُونَ} و {تَكْتُمُونَ} (4).

ثالثاً: المناسبة:

"وبعد أن بين القرآن أن الملائكة قد اعترفوا بالعجز عن معرفة ما سئلوا عنه، وجه سبحانه الخطاب إلى آدم، يأمره فيه بأن يخبر الملائكة بالأسماء التي سئلوا عنها، ولم يكونوا على علم بها" (5).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"قال الله لآدم: أخبر الملائكة يا آدم بهذه الأشياء، فأجاب وأظهر فضله عليهم، وهنا قال الله لهم مذكراً لهم بإحاطة علمه: ألم أقل لكم إني أعلم كل ما غاب في السماوات والأرض ولا يعلمه غيري، وأعلم ما تظهرون في قولكم وما تخفون في نفوسكم" (6).

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- فضل آدم عليه السلام:

أ- يلاحظ من خلال قصة آدم أن الله ﷻ أبرز للملائكة مزية آدم ثم أمرهم بالسجود، وكانت المزية هي العلم، وهذا درس كبير في موضوع اختيار القيادات، وهو شيء كنا نراه في حياة رسول الله ﷺ كثيراً، فإنه ﷺ كان يري المزية ثم يؤمر كما فعل مع الوفد الذين أمر عليهم رجلاً من أحدثهم سناً

(1) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 31)

(2) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/ 41)

(3) أبو بكر الجزائري، أيسر التفسير (ج1/ 42)

(4) الصابوني، المرجع السابق، (ج1/ 42)

(5) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي (ج1/ 96)

(6) لجنة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص10)

وليس من أشرفهم لأنه يحفظ سورة البقرة، إن أهم قضية ينبغي أن تلاحظ في التقديم والتأخير هي العلم في القضية التي من أجلها يكون التقديم والتأخير (1).

ب- ابْتِدَاءُ خِطَابِ آدَمَ بِنِدَائِهِ مَعَ أَنَّهُ غَيَّرَ بَعِيدٍ عَنِ سَمَاعِ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ لِلتَّنْوِيهِ بِشَأْنِ آدَمَ وَإِظْهَارِ اسْمِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى حَتَّى يَبَالِ بِذَلِكَ حُسْنَ السَّمْعَةِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّكْرِيمِ عِنْدَ الْأَمْرِ لِأَنَّ شَأْنَ الْأَمْرِ وَالْمُخَاطَبِ - بِالْكَسْرِ - إِذَا تَلَطَّفَ مَعَ الْمُخَاطَبِ - بِالْفَتْحِ - أَنْ يَذْكَرَ اسْمَهُ وَلَا يَقْتَصِرَ عَلَى صَمِيرِ الْخِطَابِ حَتَّى لَا يُسَاوِيَ بِخِطَابِهِ كُلَّ خِطَابٍ (2)، وَمِنْهُ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ بَعْدَ ذِكْرِ سُجُودِ النَّبِيِّ وَحَمْدِهِ اللَّهُ بِمَحَامِدِ يُلْهِمُهُ إِيَّاهَا فَيَقُولُ: «يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَى وَاشْفَعْ تُشْفَعُ» (3).

ت- "إنه التكريم في أعلى صورته، لهذا المخلوق الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء، ولكنه وهب من الأسرار ما يرفعه على الملائكة، لقد وهب سر المعرفة، كما وهب سر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق، إن ازدواج طبيعته، وقدرته على تحكيم إرادته في شق طريقه، واضطباعه بأمانة الهداية إلى الله بمحاولته الخاصة، إن هذا كله بعض أسرار تكريمه" (4).

ث- لما أراد الله إظهار فضل آدم على الملائكة لم يظهره إلا بالعلم فلو كان في الإمكان شيء أشرف من العلم كان إظهار فضله بذلك الشيء لا بالعلم، ولذلك أمر الله تعالى الملائكة بالسجود له لأجل فضيلة العلم، قلت ويؤخذ من هذا استحباب القيام للعالم (5).

2- فضل العلم على العبادة:

وفي هذه الآيات دلالة على شرف الإنسان على غيره من المخلوقات، وعلى فضل العلم على العبادة، فإن الملائكة أكثر عبادة من آدم، ومع ذلك لم يكونوا أهلاً لاستحقاق الخلافة، وعلى أن شرط الخلافة العلم، بل هو العمدة فيها، وعلى أن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة، لأنه أعلم منهم، والأعلم هو الأفضل من غيره لقوله تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} فالعلم أشرف جوهراً، ولكن لا بد للعبادة مع العلم، فإن العلم بمنزلة الشجرة، والعبادة بمنزلة الثمرة، فالشرف للشجرة وهو الأصل، لكن الانتفاع بثمرتها (6)، وروى الحاكم في مستدرکه عن حذيفة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرٌ دِينِكُمْ الْوَرَعُ" (7).

(1) سعيد حوى، الأساس في التفسير (ج1/ 121)

(2) ابن عاشور، التحرير والتتوير (ج1/ 417)

(3) [مسلم، صحيح مسلم، الايمان/بيان من يخرج من النار، 124/1: رقم الحديث 398].

(4) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 57)

(5) محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج1/ 130)

(6) ينظر، محمد الأمين، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/ 306)

(7) [الحاكم، المستدرک على الصحيحين للحاكم، العلم فأما حديث عبد الله بن نمير، 1/ 171: رقم الحديث 317]،

قال الالباني صحيح، الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/ 776)

والعلماء فضلهم عظيم جدا عند الله ﷻ، كما دل على ذلك القرآن الكريم في آيات كثيرة ومنها ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]، أي العلماء في أصح الأقوال، لأن الملوك يجب عليهم طاعة العلماء، ولا ينعكس. وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18]، جعلهم في الآيتين في المرتبة الثالثة، ثم زاد في الإكرام فجعلهم في المرتبة الثانية قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7]، وقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 43]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11]، ومن ذلك وصفهم بالإيمان قال تعالى: ﴿وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: 7]، وبشهادة التوحيد قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18]، وبالبراءة والسجود والخشوع قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذِقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [آل عمران: 18]، ويخرون للآذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً [الإسراء: 107-109]، وبالخشية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]

وكذلك السنة النبوية دلت على ذلك في أحاديث كثيرة ومن ذلك:

أ- روى الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة، يقول: "إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَنَا هَذَا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ دَخَلَهُ بغير ذلك كَانَ كَالنَّاطِرِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ" (1).

ب- روي بن ماجه عن أبي الدرداء قال: "قَاتِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ" (2).

(11) [الحاكم، المستدرک على الصحيحين للحاكم، العلم/فاما حديث عبدالله بن نمير، 1/ 165: رقم الحديث 310]،

إقال الألباني: حسن، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (ج1/ 203)

(2) ابن ماجه، سنن بن ماجه، باب فضل العلماء والحث على طلب لعلم، 1/ 81: رقم الحديث 223]، قال الألباني:

صحيح، الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/ 1079)

ت- روى الترمذي عن أبي أمامة الباهلي قال: "ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ أَخَذَهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَضَّلْتُ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ" (1).

3- مراقبة الله في السر والعلن:

اعْلَمَنَّ أَنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حَوْفًا عَظِيمًا وَفَرَحًا عَظِيمًا أَمَا الْخَوْفُ فَلِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ الصَّمَائِرِ فَيَجِبُ أَنْ يَجْتَنِدَ الْمَرْءُ فِي تَصْفِيَةِ بَاطِنِهِ وَأَنْ لَا يَكُونَ بِحَيْثُ يَنْتَرِكُ الْمَعْصِيَةَ لِاطِّلَاعِ الْخَلَائِقِ عَلَيْهَا وَلَا يَنْتَرِكُهَا عِنْدَ اطِّلَاعِ الْخَالِقِ عَلَيْهَا وَالْأَخْبَارُ مُؤَكَّدَةٌ لِذَلِكَ، رَوَى عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: "يُؤْتَى بِنَاسٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُؤَمَّرُ بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْهَا وَوَجَدُوا رَائِحَتَهَا وَنَظَرُوا إِلَى قُصُورِهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا نُودُوا أَنْ اصْرِفُوهُمْ عَنْهَا لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا فَيَرْجِعُونَ عَنْهَا بِحَسْرَةٍ مَا رَجَعَ أَحَدٌ بِمِثْلِهَا وَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا لَوْ أَدْخَلْتَنَا النَّارَ قَبْلَ أَنْ تُرِينَا مَا أَرَيْنَا مِنْ تَوَابِكَ وَمَا أَعَدَدْتَ فِيهَا لِأَوْلِيَانِكَ كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا فَنُودُوا ذَلِكَ أَرَدْتُ لَكُمْ كُنْتُمْ إِذَا خَلَوْتُمْ بَارَزْتُمُونِي بِالْعِظَائِمِ وَإِذَا لَقَيْتُمُ النَّاسَ لَقَيْتُمُوهُمْ بِالْمَحَبَّةِ مُخْبِتِينَ تُرَاءُونَ النَّاسَ بِخِلَافِ مَا تُضْمِرُونَ عَلَيْهِ فِي قُلُوبِكُمْ هِبْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تَهَابُونِي أَجَلَلْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تُجَلُّونِي تَرَكْتُمُ الْمَعَاصِيَ لِلنَّاسِ وَلَمْ تَنْتَرِكُوها لِأَجْلِي كُنْتُ أَهْوَنَ النَّاطِرِينَ عَلَيْكُمْ فَالْيَوْمَ أُذِيقُكُمْ أَلِيمَ عَذَابِي مَعَ مَا حَرَمْتُكُمْ مِنَ النَّعِيمِ" (2).

سادساً: ربط الآيات بالواقع:

أن فضل العلم عظيم جدا وخاصة العلم الشرعي وعلوم القرآن والنبوي ﷺ دعى لابن عباس قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِابْنِ عَبَّاسٍ «اللَّهُمَّ فَهِّمهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمهُ التَّوْبِيلَ» (3). فكان عبد الله بن عباس رضي الله عنه حبر الأمة وترجمان القرآن ويجب أن ندعو لمشايخنا واستذنتنا وأبنائنا أن يفقههم في الدين.

يجب ان نرجع الى العلماء في المسائل الشرعية وان لانترك المجال لعقولنا وافكارنا لأن العقل يجب ان يكون منضبط بالنص الشرعي.

ان الجهل هو السبب الأول في الانحرافات الفكرية والأخلاقية والاجتماعية فعن عمرو بن العاص، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يَبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا" (4).

(1) الترمذي، سنن الترمذي، العلم/ما جاء في فضل العلم والفقه على العبادة، 5/ 50: رقم الحديث [2685]، قال

الألباني: صحيح، الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (ج1/ 144)

(2) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج2/ 426)، [الطبراني المعجم الأوسط، باب من اسمه محمد، 335/5: رقم الحديث [5478].

(3) أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة (ج2/ 846)، سنن ابن ماجه (ج1/ 20)

(4) البخاري، خلق أفعال العباد (ص86)

يجب على العلماء ان يفتوا الناس بما انزل الله ولا يتبعوا اهواء السلاطين، فعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ، فَلْيَبْتَوُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، كَانَ إِنْهُمُ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ أَفْتَاهُ، وَمَنْ اسْتَشَارَ أَحَاهُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَمْرٍ، وَهُوَ يَرَى الرُّشْدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدْ خَانَهُ" (1).

يجب الاكثار من دروس العلم في المساجد وإعادة نظام المشيخة وعمل دورات خاصة بالعلم الشرعي مثل دورات في التفسير والفقہ والسياسة الشرعية وغيرها للارتقاء بالمستوى الفكري للشباب والناس.

المطلب الخامس: الإباء والاستكبار أساس الكفر

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقر: 34]

أولاً: معاني المفردات:

"اسْجُدُوا السجود في اللغة: الخضوع والانحناء لمن يسجد له، وفي الشرع: وضع الجبهة على الأرض.

والسجود لله تعالى على سبيل العبادة، ولغيره على وجه التكريم والتحية، كما سجدت الملائكة لآدم، وأبو يوسف وإخوته له، فكان تحية للملوك قديماً، ويجوز أن تختلف الأحوال والأوقات فيه (2).
إِبْلِيسَ: قيل كان اسمه الحارث، ولما تكبر عن طاعة الله أبلسه الله أي: أيأسه من كل خير ومسحه شيطاناً.

أَبَى: امتنع ورفض السجود لآدم (3).

وَاسْتَكْبَرَ: الاستكبار: التكبر والتعاضم في النفس (4).

وَقَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ: "إِنَّ الْكِبْرَ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ"، وَفِي رِوَايَةٍ «غَمْصُ» (5).
ثانياً: البلاغة:

1. "صيغة الجمع {وَإِذْ قُلْنَا} للتعظيم، وهي معطوفة على قوله {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ} [البقرة: 30]، وفيه

التفات من الغائب إلى المتكلم لتربية وإظهار الجلالة.

2. أفادت الفاء في قوله {فَسَجَدُوا} أنهم سارعوا في الامتثال ولم ينتشطوا فيه، وفي الآية إيجاز

بالحذف أي فسجدوا له وكذلك {أبَى} مفعوله محذوف أي أبى السجود (1).

(1) [أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة رضي الله عنه 384/14: قم الحديث 8776]، حكم الألباني صحيح.

(2) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 132)

(3) أبويكر الجزائري، أيسر التقاسير (ج1/ 43)

(4) الصابوني، صفوة التقاسير (ج1/ 43)

(5) [مسلم، صحيح مسلم، الإيمان/الكبر وبيانه، 65/1: رقم الحديث 178].

ثالثاً: المناسبة:

أشارت الآيات السابقة إلى أن الله تعالى خصَّ آدم ﷺ بالخلافة، كما خصّه بعلم غزير ووقفت الملائكة عاجزة عنه، وأضافت هذه الآيات الكريمة بيان نوع آخر من التكريم أكرمه الله به ألا وهو أمر الملائكة بالسجود له، وذلك من أظهر وجوه التشريف والتكريم لهذا النوع الإنساني ممثلاً في أصل البشرية آدم ﷺ (2).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"واذكر -أيها الرسول- للناس تكريم الله لآدم حين قال سبحانه للملائكة: اسجدوا لآدم إكراماً له وإظهاراً لفضله، فاطاعوا جميعاً إلا إبليس امتنع عن السجود تكبراً وحسداً، فصار من الجاحدين بالله، العاصين لأمره" (3).

خامساً: مقاصد وأهداف الآية:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف، من خلال النقاط الآتية:

1- الْحِكْمَةُ فِي الْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ؟

أ- قِيلَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا اسْتَعْظَمُوا بِتَسْبِيحِهِمْ وَتَقْدِيسِهِمْ أَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ لِغَيْرِهِ لِيُرِيَهُمْ اسْتِعْنَاءَهُ عَنْهُمْ وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ.

ب- وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَيَّرُوا أَدَمَ وَاسْتَضَعَرُوهُ وَلَمْ يَعْرِفُوا خَصَائِصَ الصُّنْعِ بِهِ فَأَمَرُوا بِالسُّجُودِ لَهُ تَكْرِيماً،

ت- وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى أَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ لَهُ مُعَاقِبَةً لَهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ: "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا" لَمَّا قَالَ لَهُمْ: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" [البقرة: 30]،

ث- قَالَ الْبَعْضُ أَنَّ هَذَا السُّجُودَ كَانَ تَحِيَّةً لِأَدَمَ ﷺ.

وقيل: السجود لله، وأدم قبله، أو السجود لآدم تحية، أو السجود لآدم عبادة بأمر الله، وفرضه عليهم. ذكر ابن الأنباري عن الفراء وجماعة من الأئمة، أن سجود الملائكة لآدم، كان تحية، ولم يكن عبادة. وكان سجود تعظيم وتسليم وتحية، لا سجود صلاة وعبادة.

2- أنواع السجود ومظاهره:

والسجود نوعان: سجود عبادة وتأليه وهو لله وحده، وله مظهران: إما وضع الجبهة على الأرض وهو

المعتاد في الصلاة، وإما الانقياد والخضوع لمقتضى إرادته، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّجْمُ وَالشَّجْرُ يَسْجُدَانِ﴾ (6)

[الرحمن: 6] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: 15]، وهذا بمظهره لا

يكون لغير الله إطلاقاً.

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج1/ 79)

(2) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/ 43)

(3) نخبة من أساتذة التفسير: التفسير الميسر (ج1/ 6)

والنوع الثاني: سجود تحية وتكريم من غير تأليه، كسجود الملائكة لآدم، وسجود يعقوب وأولاده ليوסף، وهذا في رأي أكثر العلماء كان مباحاً إلى عصر رسول الله ﷺ، وأن أصحابه قالوا له حين سجدت له الشجرة والجمل: نحن أولى بالسجود لك من الشجرة والجمل الشارد، فقال لهم: «لا ينبغي أن يسجد لأحد إلا لله رب العالمين» (1)(2)

3- هل كان إبليس من الملائكة؟

الجواب: اختلف المفسرون على قولين: ذهب بعضهم إلى أنه من الملائكة بدليل الاستثناء {فَسَجِدُوا لِلَّهِ إِلَّا إِبْلِيسَ}، وقال آخرون: الاستثناء منقطع وإبليس من الجن وليس من الملائكة واليه ذهب الحسن وقتادة واختاره الزمخشري، قال الحسن البصري: لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين، ونحن نرجح القول الثاني للأدلة الآتية:

أ- الملائكة منزهون عن المعصية قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6] وإبليس قد عصى أمر ربه.

ب- الملائكة خلقت من نور وإبليس خلق من نار فطبيعتهما مختلفة

ت- الملائكة لا ذرية لهم وإبليس له ذرية قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50]

ث- النص الصريح الواضح في سورة الكهف على أنه من الجن وهو قوله تَعَالَى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: 05] وكفى به حجة وبرهاناً (3).

3- الإباء والكذب من أهم صفات إبليس:

أ- أن إبليس والعياذ بالله جمع صفات الذم كلها: الإباء عن الأمر؛ والاستكبار عن الحق، وعلى الخلق؛ والكفر؛ إبليس استكبر عن الحق؛ لأنه لم يمتثل أمر الله؛ واستكبر على الخلق؛ لأنه قال: {أنا خير منه} [الأعراف: 12]؛ فاستكبر في نفسه، وحقر غيره؛ والكبر بطر الحق، وغمط الناس (4).

ب- وهنا تتبدى خليقة الشر مجسمة: عصيان الجليل سبحانه! والاستكبار عن معرفة الفضل لأهله، والعزة بالإثم والاستغلاق عن الفهم، ويوحى السياق أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة، إنما كان

(1) يُنظر، الزحيلي، التفسير المنير (ج1/134)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (227/1)، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (2/428)

(2) [الحاكم، المستدرک على الصحيحين، باب اما حديث سالم، 204/2: رقم الحديث 2763]، [التعليق - من تلخيص الذهبي] 2763 - صحيح

(3) يُنظر، الصابوني، صفوة التفسير (ج1/45)

(4) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/127)

معهم، فلو كان منهم ما عصى وصفتهم الأولى أنهم «لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (1).

ت- وَعَنْ هَذَا الْكَبِيرِ عَبَّرَ عليه السلام بِقَوْلِهِ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ [كَانَ] فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَزْدَلٍ مِنْ كَبِيرٍ). فِي رِوَايَةٍ فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُجِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكَبِيرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ) (2).

وَمَعْنَى بَطَرِ الْحَقِّ: تَسْفِيهِهُ وَإِبْطَالُهُ، وَغَمَطُ النَّاسِ: الْإِحْتِقَارُ لَهُمْ وَالْإِزْدِرَاءُ بِهِمْ وَقَدْ صَرَخَ اللَّعِينُ بِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (٧٦) [ص: 76]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (٦١) [الاسراء: 61]، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَوْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ وَمِنْ صَالِحٍ لِمَنْ حَمَلَتْهُ سِنُونُ﴾ [الحجر: 33]، فَكَفَرَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ فَكُلُّ مَنْ سَفَهَ شَيْئًا مِنْ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ أَمْرٍ رَسُولِهِ عليه السلام كَانَ حُكْمُهُ حُكْمَهُ، وَهَذَا مَا لَا خِلَافَ فِيهِ، وَرَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ بَلَغَنِي أَنَّ أَوَّلَ مَعْصِيَةٍ كَانَتْ الْحَسَدُ وَالْكَبْرُ، حَسَدَ إِبْلِيسَ آدَمَ، وَشَخَّ آدَمُ فِي أَكْلِهِ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَالَ قَتَادَةُ: حَسَدَ إِبْلِيسَ آدَمَ، عَلَى مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْكِرَامَةِ فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ وَهَذَا طِينِي، وَكَانَ بَدَأَ الذُّنُوبِ الْكَبِيرُ، ثُمَّ الْحِرْصُ حَتَّى أَكَلَ آدَمُ مِنَ الشَّجَرَةِ، ثُمَّ الْحَسَدُ إِذْ حَسَدَ ابْنُ آدَمَ أَخَاهُ (3).

ث- "تجلى العبرة من هذه القصة بأن آدم وذريته لا يليق بهم عصيان أوامر الله، وإنما يجب عليهم عبادته وحده، دون تكبر ولا تقصير، لأن الله سبحانه كرم ابن آدم في قول تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (٧٠) [الاسراء: 70]، وجعل آدم خليفة في الأرض، وعلمه ما لم يكن يعلم: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا" (4). وقال الطبري: "إن الله تعالى أراد بقصة إبليس تقريع أشباهه من بني آدم، وهم اليهود الذين كفروا بمحمد عليه السلام مع علمهم بنبوته، ومع قدم نعم الله عليهم وعلى أسلافهم" (5).

سادساً: ربط الآية بالواقع:

إن الحسد داء الأمم وهذا هو الحسد المذموم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنَّهُ يَخْلُقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُنْبِتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ" (6)

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 58)

(2) [مسلم، صحيح مسلم، الإيمان/تحريم الكبر وبيانها، 93/1: رقم الحديث 91].

(3) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 296)

(4) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 134)

(5) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج1/ 501)

(6) [البيهقي، شعب الإيمان، حقوق أولاد والأهلين 182/11: رقم الحديث 8373] حكم الألباني حسن، الألباني، إرواء

الغيل في تخريج أحاديث منار السبيل (3/ ج 238)

ولكن يجب أن يكون الحسد محمود وكيف يكون الحسد محمود أن يكون في الأكثر من الطاعات والقربات فعن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْفَرَانَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَآتَاءَ النَّهَارِ " (1)

قال العلماء الحسد قسمان حقيقي ومجازي فالحقيقي تمنى زوال النعمة عن صاحبها وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة وأما المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة وإن طاعة فهي مستحبة والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما (آناء الليل وآناء النهار) أي ساعاته واحده الآن وحسد ابليس كان من الحسد المذموم.

المطلب السادس: التحذير من عداوة الشيطان واغوائه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَآزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: 35 - 39]

أولاً: معاني المفردات:

رَغَدًا: أي: أكلاً رغداً واسعاً كثيراً لا عناء فيه.

فَآزَلَهُمَا: أي: أوقعهما في الزلل بتزيينه لهم.

اهْبِطُوا: ضمير الجمع لآدم وحواء وإبليس.

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ: آدم وذريته أعداء لإبليس وذريته (2)

مُسْتَقَرٌّ: المستقر: مكان الاستقرار والإقامة.

إِلَى حِينٍ: الحين: الوقت مطلقاً قد يقصر أو يطول والمراد به نهاية الحياة.

فَتَلَقَى آدَمُ: أخذ آدم ما ألقى الله تعالى إليه من كلمات التوبة.

كَلِمَاتٍ: هي قوله تعالى: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

فَتَابَ عَلَيْهِ: وفقه للتوبة فتاب وقبل توبته، لأنه تعالى تواب رحيم (3)

(1) [مسلم، صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها/فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه 1/ 558: رقم الحديث 815].

(2) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 35)

(3) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 45)

ثانياً: البلاغة:

"قوله {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} المنهي عنه هو الأكل من ثمار الشجرة، وتعليق النهي بالقرب منها {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} لقصد المبالغة في النهي عن الأكل، إذ النهي عن القرب نهي عن الفعل بطريق أبلغ كقوله تعالى {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى} [الإسراء: 32] فنهى عن القرب من الزنى ليقطع الوسيلة إلى ارتكابه. التعبير بقوله {مِمَّا كَانَا فِيهِ} أبلغ في الدلالة على فخامة الخيرات مما لو قيل: من النعيم أو الجنة، فإن من أساليب البلاغة في الدلالة على عظم الشيء أن يعبر عنه بلفظ مبهم نحو {مِمَّا كَانَا فِيهِ} لتذهب نفس السامع في تصور عظمتة وكماله إلى أقصى ما يمكنها أن تذهب إليه.

{التواب الرحيم} من صيغ المبالغة أي كثير التوبة واسع الرحمة" (1)

ثالثاً: القراءات:

{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ}، قرأ حمزة وحده: {فَأَزَلَّهُمَا} بمعنى نَحَّاهُما من قولك: زَلَّتُ عن المكان، إذا تَحَيَّتَ عنه، وقرأ الباقون: {فَأَزَلَّهُمَا} بالتشديد بمعنى استزلَّهما من الزلل، وهو الخطأ، سمي زللاً لأنه زوال عن الحق، وكذلك الزَّلة زوال عن الحق، وأصله الزوال (2).

رابعاً: المناسبة:

تستمر الآيات في بيان أنواع التكريم الإلهي للإنسان، وهذا التكريم هنا هو المقام في الجنة في بدء الخليقة، ولكن اقتضت الحكمة الإلهية إقامته في الأرض، وتكليفه القيام برسالة مهمة هي تعمیر الكون، وإظهار مزية الإنسان في مجاهدة الشيطان وأهوائه. وقد سبقت هذه القصة تسليية للنبي ﷺ عما يلاقي من الإنكار، ليعلم أن المعصية من شأن البشر، وأنهم إذا كلفوا بشيء بالرغم من تكريمهم غاية الإكرام قد لا يمتثلون (3).

خامساً: المعنى الاجمالي:

"وقال الله: يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، وتمتعاً بثمارها تمتعاً هنيئاً واسعاً في أي مكان تشاءان فيها، ولا تقربا هذه الشجرة حتى لا تقعوا في المعصية، فتصيرا من المتجاوزين فأوقعهما الشيطان في الخطيئة، بأن وسوس لهما حتى أكلا من الشجرة، فتسبب في إخراجهما من الجنة ونعيمها، وقال الله لهم: اهبطوا إلى الأرض، يعادي بعضكم بعضاً -أي آدم وحواء والشيطان- ولكم في الأرض استقرار وإقامة، وانتفاع بما فيها إلى وقت انتهاء آجالكم" (4).

(1) الصابوني، صفوة التفسير (ج 1/ 44)

(2) ينظر، الماوردي، تفسير الماوردي، النكت والعيون (ج 1/ 106)، محمد فهد خاروف، الميسر في القراءات الأربع عشر (ص 6)

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج 1/ 138)

(4) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج 1/ 6)

"وأحس آدم هو وزوجته بخطئهما وظلمهما لأنفسهما، فالهم الله تعالى آدم كلمات يقولها للتوبة والاستغفار، فقالها فتقبل الله منه وغفر له لأنه كثير القبول للتوبة، وهو الرحيم بعباده الضعفاء، وقلنا لآدم وزوجته ومن سيكون من ذريته وإبليس: اهبطوا إلى الأرض وستكلفون تكاليفات فيها، فإن جاءكم ذلك من عندي - وسيأتيكم حتماً - فالذين يستجيبون لأمرى ويتبعون هداي لا يشعرون بخوف، ولا يصيبهم حزن لفوات ثواب، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، والذين جحدوا وكذبوا برسول الله وكتبه، أولئك أهل النار، يظلون فيها أبداً لا يخرجون ولا يفنون" (1).

سادساً: مقاصد وأهداف الآيات:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف، من خلال النقاط الآتية:

1- إقامة آدم في الجنة كانت مؤقتة:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "اسْكُنْ" تَنْبِيهٌ عَلَى الْخُرُوجِ، لِأَنَّ السُّكْنَى لَا تَكُونُ مِلْكَاً، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: السُّكْنَى تَكُونُ إِلَى مَدَّةٍ ثُمَّ تَنْقَطِعُ، فَدُخُولُهُمَا فِي الْجَنَّةِ كَانَ دُخُولَ سَكْنَى لَا دُخُولَ إِقَامَةٍ قُلْتُ: وَإِذَا كَانَ هَذَا فَيَكُونُ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى مَا يَقُولُهُ الْجُمْهُورُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ مَنْ أَسْكَنَ رَجُلًا مَسْكَنًا لَهُ إِنَّهُ لَا يَمْلِكُهُ بِالسُّكْنَى (2).

2- كيف خلق الله حواء:

أثار المفسرون كيفية خلق حواء، فقالوا: إنها خلقت من ضلع آدم، أخذاً بظاهر قوله تعالى: ﴿يَتَّيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ۗ﴾ [النساء: 1] وقوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۗ﴾ [الأعراف: 189] وعملاً بحديث أبي هريرة في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: "واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع أعوج" (3).

وفي رواية لمسلم: "إن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، لن تستقيم لك على طريقة واحدة، فإن استمتعت بها، استمتعت بها، وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها" (4).

قال العلماء: ولهذا كانت المرأة عوجاء، لأنها خلقت من أعوج، وهو الضلع (5).

(1) لجنة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص11)

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 299)

(3) [البخاري، صحيح البخاري، النكاح/الوصاة بالنساء، 26/7: رقم الحديث 5185].

(4) [مسلم، صحيح مسلم، النكاح/الوصية بالنساء، 178/4: رقم الحديث 3638].

(5) ينظر، الزحيلي التفسير المنير (ج1/ 139) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 301)

3- المراد بالجنة التي أسكنها آدم وحواء :

وهي في اللغة البستان، اختلف العلماء في الجنة التي أسكنها آدم، هي في السماء أم في الأرض؟ قال كثير من العلماء: إنها التي في السماء، وهي دار الخلد والثواب التي أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة، لسبق ذكرها في السورة.

وقالت المعتزلة والقدرية: إنها جنة في الأرض غير جنة الخلد، خلقها الله تعالى امتحاناً لآدم عليه السلام، في أرض عدن، أو بفلسطين، أو بين فارس وكرمان، وهو رأي أبي حنيفة وأبي منصور الماتريدي ودليلهم أنها لو كانت جنة الخلد، لما وصل إليها إبليس، فإن الله يقول: ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوْفُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الطور: 23]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا﴾ [النبا: 35]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الإقلا: 36] [الواقعة: 25 - 26]، وأنه لا يخرج منها أهلها لقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: 48].

وأيضاً فإن جنة الخلد هي دار القدس، قدست عن الخطايا والمعاصي تطهيراً لها، قد لغا فيها إبليس وكذب، وأخرج منها آدم وحواء بمعصيتهما، وكيف يطلب آدم، مع مكانه من الله وكمال عقله، شجرة الخلد، وهو في دار الخلد والملك الذي لا يبلى، ورجح الألوسي هذا الرأي.

ورد القرطبي على هذه الأدلة: بأن الجنة المعرفة بالألف واللام لا يفهم غيرها في تعارف الناس، ولا يستحيل في العقل دخول إبليس الجنة لتغير آدم. وأما أوصاف الجنة المذكورة في الآيات التي احتجوا بها، فهي بعد دخول أهلها فيها يوم القيامة، ولا يمتنع أن تكون دار الخلد لمن أراد الله تخليده فيها، وقد يخرج منها من قضي عليه بالفناء، والملائكة يدخلونها ويخرجون منها، وقد دخلها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ثم خرج منها، ولم يكن تقديسها مما يمنع فيها المعاصي، وأجمع أهل السنة على أن جنة الخلد هي التي أهبط منها آدم عليه السلام.

وكيف يجوز على آدم، وهو في كمال عقله، أن يطلب شجرة الخلد، وهو في دار الفناء؟! الأمر جائز تطلعاً إلى الأفضل والأكمل، كما نتطلع الآن في الدنيا إلى الخلود في الجنة (1).

4- نوع الشجرة التي أكل منها آدم وحواء :

اختلف العلماء في تعيين الشجرة التي نهى عنها آدم فأكل منها، فقال جماعة: هي الكرم، ولذا حرمت علينا الخمر، وقال آخرون: هي السنبل، وقيل: هي شجرة التين.

والصواب كما قال القرطبي: أن يعتقد أن الله تعالى نهى آدم عن شجرة، فخالف هو إليها، وعصى في الأكل منها، واختلفوا أيضاً كيف أكل منها مع الوعيد المقترن بالقرب، وهو قوله تعالى: فَتَكُونَا مِنَ

(1) ينظر، الزحيلي التفسير المنير (ج1/ 143)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 301)، الألوسي، روح البيان

(مج1/ 233)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج1/ 75)

الظَّالِمِينَ [البقرة 2 / 35]، فقال قوم: أكلا من غير التي أشير إليها، فلم يتأولا النهي واقعا على جميع جنسها، كأن إبليس غره بالأخذ بالظاهر، أي أنهما ظناً أن المراد عين شجرة مخصوصة، وكان المراد الجنس، وهو قول حسن كما قال القرطبي ورجحه الطبري قبله ويقال: إن أول من أكل من الشجرة حواء، بإغواء إبليس إياها (1).

5- عصيان آدم وحواء وتوبتهما:

- مع أن الأنبياء معصومون من ارتكاب الذنوب، ولنا في الجواب عن هذه المسألة ثلاث طرق:
- أ- أن المخالفة التي صدرت منه كانت قبل النبوة، والعصمة إنما تكون عن مخالفة الأوامر بعدها.
- ب- أن الذي وقع منه كان نسياناً، فسمى عصياناً تعظيماً لأمره، والنسيان والسهو لا ينافيان العصمة.
- ت- أن ذلك من المتشابه كسائر ما جاء في القصة، مما لا يمكن حمله على ظاهره، ويجب تفويض أمره إلى الله كما هو رأى سلف الأمة، أو هو من باب التمثيل كما هو رأى الخلف (2).

6- آدم عليه السلام أول الأنبياء: يدل على ذلك هذه الروايات:

- أ- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ آدَمَ نَبِيًّا كَانَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ نَبِيًّا رَسُولًا، كَلَّمَهُ اللَّهُ قَالَ لَهُ: يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ" (3).
- ب- وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «آدَمُ قُلْتُ: نَبِيٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: نُوحٌ، وَبَيْنَهُمَا عَشْرَةُ آبَاءٍ" (4).
- ت- وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ، نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ مَرْفُوعاً وَزَادَ "كَمْ كَانَ الْمُرْسَلُونَ؟ قَالَ: ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آدَمُ أَنْبِيٌّ كَانَ؟ قَالَ: نَعَمْ، نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ" (5).
- ث- وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ حِبَّانَ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَالْبَيْهَقِيُّ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ النَّبَاهِلِيِّ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنْبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: كَمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: عَشْرَةُ

(1) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 301)، ابن العربي، أحكام القرآن (ج1/ 17)، الطبري، جامع البيان

في تأويل القرآن (ج1/ 522)، الزحيلي التفسير المنير (ج1/ 143)

(2) المراغي، تفسير المراغي (ج1/ 94)

(3) الطبراني، المعجم الاوسط، باب من اسمه العباس، 300/4: رقم الحديث 4259.

(4) الطبراني، المرجع السابق، من اسمه عبد الرحمن، 77/5: رقم الحديث 4721.

(5) [أحمد بن حنبل، مسند أحمد، حديث ابي ذر الغفاري، 432/35: رقم الحديث] "صحيح على شرط مسلم". وواقفه الذهبي، قال الألباني صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (ج7/ 853)

فُرُون قَالَ: كَمْ بَيْنَ نُوحٍ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: عَشْرَةُ فُرُونٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَمْ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: مِائَةٌ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ كَانَتْ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةٌ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا⁽¹⁾.

7- كيفية دخول إبليس الجنة بعد طرده منها:

تساءل العلماء: كيف تمكّن إبليس من وسوسة آدم بعد أن طرده الله من الجنة بقوله: ﴿قَالَ تَعَالَى﴾ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَاذًاكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ [ص: ٧٧]، فكان خارج الجنة، وادم في الجنة؟ وأجيب بأجوبة، منها: أنه يجوز أن يمنع إبليس دخول الجنة على جهة التكريم، كدخول الملائكة، ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة، ابتلاء لآدم وحواء، وقالت طائفة: إن إبليس لم يدخل الجنة ولم يصل إلى آدم بعد ما أخرج منها، وإنما بوسواسه الذي أعطاه الله تعالى، كما قال ﷺ: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"⁽²⁾/⁽³⁾.

8- إبليس العدو الأول للإنسان:

أن الشيطان يغرّ بني آدم كما غرّ أباهم حين وسوس لآدم، وحواء، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، وقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؛ فالشيطان قد يأتي الإنسان، فيوسوس له، فيصغر المعصية في عينه؛ ثم إن كانت كبيرة لم يتمكن من تصغيرها؛ مناه أن يتوب منها، فيسهل عليه الإقدام؛ ولذلك احذر عدوك أن يغرّك⁽⁴⁾.

ويدل على عداوته كثير من الآيات قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ [فاطر: 6] و هو يريد أن يفتننا كما فتن ابينا آدم و هو يرنا ولا نراه قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ آدَمَ لَا يَفْتِنُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰ تَهُمَا إِنَّهُ يُرِيدُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ [الأعراف: 27] و هو الذي يوسوس ليضلنا ن سبيل الله وأمرنا الله ان نستعيذ من قال تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿١﴾ الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٢﴾ [الناس: 4- 5] وهو الذي يزين للناس الكفر والمعاصي قال تعالى: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [الأنعام: 43] قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ ﴿٤٨﴾ [الأنفال: 48] كما جاءت السنة بالكثير من الاحاديث تحذرنا من الشياطين الذي يثقل على المؤمن نومه

(1) [الحاكم، المستدرک على الصحيحين، التفسير/بسم الله الرحمن الرحيم من سورة البقرة، 2/ 288: رقم الحديث 3039]، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرَجْهُ [التعليق - من تلخيص الذهبي] 3039 - على شرط مسلم

(2) الزحيلي التفسير المنير (ج/1/ 143)

(3) [مسلم، صحيح مسلم، الاستئذان/ان الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، 8/7: رقم الحديث 5729].

(4) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج/1/ 132)

حتى لا يقوم لصلاة الفجر فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ"⁽¹⁾ لكن من أراد ان يطرد الشيطان فعليه من الاكثار من ذكر الله فقد روي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةٌ مَرَّةً، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرٍ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةٌ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةٌ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ"⁽²⁾

9- خطيئة آدم كانت درس للبشرية:

أن امتحان الله رفيق فقد أعطى آدم الجنة ومنعه القليل، وأباح لنا الكثير النافع، ومنعنا القليل الضار، أباح لنا الطعام وحرم علينا لحم الخنزير والميتة والدم، أباح لنا الشراب وحرم علينا الخمر، فالعقل من وقف عند الحدود ومن عبرها أن الشهوات الحسية والمعنوية باب الخطيئة، فإن حرص آدم على الخلود وطاعته لشهوة الطعام كانا سبب الخطيئة، وهذا دأب الإنسان في كل العصور، فهو إما مغلوب بشهوة العز والمجد والرئاسة، وإما مغلوب بشهوة الفرج والبطن، فيسلك في هذا أو ذاك غير طريق الله إلا القليل. نسأل الله أن يجعلنا من أهله وأن يحفظنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

قال فتح الموصلي: "كنا قوماً من أهل الجنة فسانا إبليس إلى الدنيا فليس لنا إلا الهم والحزن حتى نرد إلى الدار التي أخرجنا منها"⁽³⁾

ويقول صاحب الضلال: "لعلني ألمح أن هذه التجربة كانت تربية لهذا الخليفة وإعداداً، كانت إيقاظاً للقوى المذخورة في كيانه، كانت تدريباً له على تلقي الغواية وتذوق العاقبة وتجرع الندامة ومعرفة العدو والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين، إن قصة الشجرة المحرمة ووسوسة الشيطان باللذة، ونسيان العهد بالمعصية، والصحوة من بعد السكر والندم وطلب المغفرة إنها هي تجربة البشرية المتجددة المكررة، لقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته مزوداً بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها طويلاً استعداداً للمعركة الدائبة وموعظة وتحذيراً"⁽⁴⁾.

(1) [البخاري، صحيح البخاري، التهجد/عَقْدُ الشَّيْطَانِ عَلَى قَافِيَةِ الرَّأْسِ إِذَا لَمْ يُصَلِّ بِاللَّيْلِ، 2/ 52: رقم الحديث1142].

(2) [البخاري، صحيح البخاري، بدء الخلق/صفة إبليس، 4/ 126: رقم الحديث3293].

(3) سعيد حوى، الأساس في التفسير (ج1/ 122)

(4) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 95)

10- باب التوبة مفتوح:

(إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ) التواب هو الذي يقبل التوبة عن عباده كثيراً، فمهما اقترف العبد من الذنوب وندم على ما فرط منه وتاب منه وتاب الله عليه، والرحيم هو الذي يحفّ عباده برحمته إذا هم أساءوا ورجعوا إليه تائبين وقد جمع بين الوصفين (التَّوَابُ الرَّحِيمُ) للإشارة إلى عدة الله تعالى للعبد التائب بالإحسان إليه مع العفو عنه والمغفرة له (1)، ولا تكون التوبة مقبولة من الإنسان إلا بأربعة أمور: الندم على ما كان، وترك الذنب الآن، والعزم على ألا يعود إليه في مستأنف الزمان، وردّ مظالم العباد وإرضاء الخصم بإيصال حقه إليه والاعتذار إليه باللسان(2)، و"خطيئة آدم كانت خطيئته الشخصية، والخلاص منها كان بالتوبة المباشرة في يسر وبساطة، وخطيئة كل ولد من أولاده خطيئة كذلك شخصية والطريق مفتوح للتوبة في يسر وبساطة، تصور مريح صريح يحمل كل إنسان وزره، ويوحي إلى كل إنسان بالجهد والمحاولة وعدم اليأس والقنوط" (3)، ويجب أن تكون التوبة نصوحة كمال قَالَ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحریم:8] وباب التوبة مفتوح أمام العبد ما لم يغرغر لقوله ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ" (4)، وباب التوبة مفتوح أمام البشرية عامة حتى تطلع الشمس من مغربها لقوله ﷺ قَالَ: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام: 158] (5)

(1) المراغي، تفسير المراغي (ج1/ 92)

(2) الزحيلي، التفسير المنير، (ج1/ 143)

(3) سعيد حوى، الأساس في التفسير، (ج1/ 123)

(4) [ابن حبان، صحيح بن حبان، الرقائق/التوبة، ذَكَرُ تَفَضَّلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى التَّائِبِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ، كُلَّمَا أَنَابَ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ حَالَةَ الْمُنِيَّةِ بِهِ، 2/ 394: رقم الحديث[628]، قَالَ الْأَلْبَانِي: حسن لغيره - «المشكاة» (2343)، التعليقات

الحسان على صحيح ابن حبان (ج2/ 89)

(5) [البخاري، صحيح البخاري، الرقاق/طلوع الشمس من مغربها، 8/106: رقم الحديث[6506].

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة لقبة من الآية (40-43)

المطلب الأول: دعوة اليهود إلى تذكر نعمة الله عليهم والوفاء بعهدته والإيمان
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَعَامِنُوا بِمَا
أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّيَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة 40-41]
أولاً: معاني المفردات:

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ: أي: يا أولاد يعقوب، والأصل في (بني) للذكور، لكن إذا كانت لقبيلة أو لأمة شملت
الذكور والإناث.

أذْكُرُوا: بالقلب واللسان والجوارح.

نِعْمَتِي: عليكم بإرسال الرسل وإنزال الكتاب والنجاة من فرعون وغير ذلك مما أنعمت به عليك (1)
وَأَوْفُوا بِعَهْدِي: الوفاء بالعهد: إتمامه، وعهد الله عليهم أن يبينوا أمر محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ويؤمنوا به.

أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ: أتم لكم عهدكم بإدخالكم الجنة بعد إكرامكم في الدنيا وعزكم فيها.

وَإِيَّيَ فَارْهَبُونِ: اخشوني ولا تخشوا غيري (2)

مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ: أي: لما في التوراة والإنجيل من أوصاف محمد.

وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ: لا تكونوا أول من كفر، وحقكم أن تكونوا أول المصدقين (3).

ثانياً: البلاغة:

نِعْمَتِي الإضافة للتشريف وبيان عظم قدر النعمة وسعة يسرها وحسن موقعها، وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ليس
الشراء هنا حقيقياً، بل هو على سبيل الاستعارة التصريحية، كما في الآية السابقة اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَى والمراد استبدلوا آياتي ثمناً، والمراد بالثمن في الأصل هو المشتري به، أي استبدلوا آيات الله
وبالحق الكثير بدلا قليلا ومتاعا يسيرا، فكانت مبادلة خاسرة، لأن كل كثير أو كبير بالنسبة للحق
المتروك قليل وحقير.

وَإِيَّيَ فَارْهَبُونِ وَإِيَّيَ فَاتَّقُونِ يفيد الاختصاص، وهو أوكد في إفادة الاختصاص من إياي نعبد(4).

(1) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/40)

(2) ابو الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/48)

(3) الكواري، مرجع سبق ذكره، (ج2/41)

(4) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/148)

ثالثاً: المناسبة:

من بداية هذه الآية إلى آية (142) ورد الكلام عن بني إسرائيل، وقد تحدث القرآن الكريم بالإسهاب عنهم فيما يقرب من جزء كامل، وذلك يدل على عناية القرآن بكشف حقائق اليهود، وإظهار ما انطوت عليه نفوسهم الشريرة من خبيث وكيد وتدمير حتى يحذرهم المسلمون، أما وجه المناسبة فإن الله تعالى لما دعا البشر إلى عبادته وتوحيده، وأقام للناس الحجج الواضحة على وحدانيته ووجوده، ثم ذكّرهم بما أنعم به على أبيهم آدم عليه السلام، دعا بني إسرائيل خصوصاً - وهم اليهود - إلى الإيمان بخاتم الرسل وتصديقه فيما جاء به عن الله، لأنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة، وقد تفنّن في مخاطبتهم فتارة دعاهم بالملاطفة، وتارة بالتخويف، وتارة بالتذكير بالنعم عليهم وعلى آبائهم، وأخرى بإقامة الحجّة والتوبيخ على سوء أعمالهم وهكذا انتقل من التذكير بالنعم العامة على البشرية في تكريم أبي الإنسانية، إلى التذكير بالنعم الخاصة على بني إسرائيل (1).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"يا ذرية يعقوب اذكروا نعمي الكثيرة عليكم، واشكروا لي، وأتموا وصيتي لكم: بأن تؤمنوا بكتبي ورسلي جميعاً، وتعملوا بشرائعي، فإن فعلتم ذلك أتمم لكم ما وعدتكم به من الرحمة في الدنيا، والنجاة في الآخرة. وإياي وحدي فخافوني، واحذروا نعمتي إن نقضتم العهد، وكفرتم بي" (2)، "وصدّقوا بالقرآن الذي أنزلت مصداقاً لما عندكم من كتاب وعلم من التوحيد وعبادة الله، والعدل بين الناس، ولا تسارعوا إلى جحود القرآن فتكونوا أول الكافرين به من حيث ينبغي أن تكونوا أول المؤمنين به، ولا تتركوا آيات الله لتأخذوا عن ذلك عوضاً قليلاً زائلاً من متاع الحياة الدنيا، وحُصّوني بالخوف فاتبعوا طريقي، وأعرضوا عن الباطل" (3).

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- نعم الله على بني إسرائيل:

أ- أرشدت الآيات إلى أحكام كثيرة في العقيدة والأخلاق والعبادة والحياة الخاصة والعامة، فأوجبت على اليهود ألا يغفلوا عن نعم الله التي أنعم بها عليهم وألا يتناسوها، والنعمة هنا: اسم جنس، مفردة بمعنى الجمع، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: 34) (4).

(1) الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 45)

(2) نخبة من أساندة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 7)

(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص11)

(4) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 477)، الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 150)

ب- عن ابن عباس أنه قال: من نعمه تعالى على بني إسرائيل أن نجاهم من آل فرعون، وظلل عليهم في التيه الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، وأعطاهم الحجر الذي كان يسقيهم ما شاءوا، وأعطاهم عمودا من النور أضاء لهم بالليل، وكانت رؤوسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى، وفي تذكير هذه النعم فوائد: منها أن فيها ما يشهد بصدق محمد ﷺ وهو التوراة والإنجيل والزبور، ومنها أن كثرة النعم توجب عظم المعصية، فذكروهم إياها ليحذروا مخالفة ما دعوا إليه من الإيمان بمحمد ﷺ، ومنها أن تذكر النعم الكثيرة يوجب الحياء من إظهار المخالفة، ومنها أن كثرة النعم تفيد أن المنعم خصهم بها من بين سائر الناس، ومن خص أحدا بنعم كثيرة فالظاهر أنه لا يزيها عنهم كما قيل: إتمام المعروف خير من ابتدائه. فتذكير النعم السالفة مطمع في النعم الآتية، وذلك الطمع يمنع من إظهار المخالفة والمخالصة (1)

"والنعم على الآباء نعم على الأبناء، لأنهم يشرفون بشرف آبائهم وكانت النعم سببا في بقائهم. والتذكير بكثرة النعم يوجب الحياء عن إظهار المخالفة، ويوجب عظم المعصية، ويستدعي الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن" (2).

ت- **كَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى آبَائِهِمْ فَكَيْفَ تَكُونُ نِعْمًا عَلَيْهِمْ وَسَبَبًا لِعِظَمِ مَعْصِيَتِهِمْ؟ وَالْجَوَابُ مِنْ وُجُوهٍ:** أَحَدُهَا: لَوْلَا هَذِهِ النِّعَمُ عَلَى آبَائِهِمْ لَمَا بَقُوا فَمَا كَانَ يَحْصُلُ هَذَا النَّسْلُ فَصَارَتِ النِّعَمُ عَلَى الْآبَاءِ كَأَنَّهَا نِعَمٌ عَلَى الْأَبْنَاءِ، وَثَانِيهَا: أَنَّ الْإِنْتِسَابَ إِلَى الْآبَاءِ وَقَدْ حَصَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِنِعَمِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا نِعْمَةً عَظِيمَةً فِي حَقِّ الْأَوْلَادِ، وَثَالِثُهَا: الْأَوْلَادُ مَتَى سَمِعُوا أَنَّ اللَّهَ حَصَّ آبَاءَهُمْ بِهَذِهِ النِّعَمِ لِمَكَانِ طَاعَتِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ رَغِبَ الْوَلَدُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ لِأَنَّ الْوَلَدَ مَجْبُورٌ عَلَى التَّشَبُّهِ بِالْأَبِ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ فَيَصِيرُ هَذَا التَّذْكِيرُ دَاعِيًا إِلَى الْإِسْتِعَالَ بِالْخَيْرَاتِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الشُّرُورِ (3).

2- أفضلية بني إسرائيل انتهت بعد الإسلام:

أن بني إسرائيل لا شك أفضل العالمين حينما كانوا عباد الله الصالحين؛ أما حين ضربت عليهم الذلة، واللعنة، والصغار فإنهم ليسوا أفضل العالمين؛ بل منهم القردة، والخنازير؛ وهم أذل عباد الله لقوله تعالى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقَرُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغَضٌ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَةُ﴾ [آل عمران: 112]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14]، ويدل لذلك أي أن المراد بقوله تعالى: {فضلتكم على العالمين} أي في وقتكم، أو فيمن سبقكم: قوله تعالى في هذه الأمة أمة محمد ﷺ: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

(1) النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان (ج1/ 270)

(2) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 151)

(3) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 478)

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾
﴿آل عمران: 110﴾؛ فقله تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس} صريح في تفضيلهم على الناس؛
ولهذا قال تعالى: {ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم}؛ وقد ثبت عن النبي ﷺ قال: "أنا نوفي سبعين
أمة نحن أكرمها، وأفضلها عند الله عز وجل" (1)، وهذا أمر لا شك فيه والله الحمد.
أن بني إسرائيل أفضل العالم في زمانهم؛ لقله تعالى: {وأنني فضلتكم على العالمين}؛ لأنهم في ذلك
الوقت هم أهل الإيمان؛ ولذلك كُتب لهم النصر على أعدائهم العمالقة، فقل لهم: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَلْقَوْنَ
أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: 21]؛ و "الأرض المقدسة" هي فلسطين؛
وإنما كتب الله أرض فلسطين لبني إسرائيل في عهد موسى؛ لأنهم هم عباد الله الصالحون؛ والله
سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ
﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: 105]، وقال موسى لقومه: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: 128]،
ثم قال: { وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ } [الأعراف: 128] إذا المتقون هم الوارثون للأرض؛ لكن بني إسرائيل
اليوم لا يستحقون هذه الأرض المقدسة؛ لأنهم ليسوا من عباد الله الصالحين؛ أما في وقت موسى
فكانوا أولى بها من أهلها؛ وكانت مكتوبة لهم، وكانوا أحق بها؛ لكن لما جاء الإسلام الذي بُعث به
النبي صلى الله عليه وسلم صار أحق الناس بهذه الأرض المسلمون لا العرب؛ ففلسطين ليس العرب
بوصفهم عرباً هم أهلها؛ بل إن أهلها المسلمون بوصفهم مسلمين، لا غير وبوصفهم عباداً لله ﷻ
صالحين؛ ولذلك لن ينجح العرب فيما أعتقد والعلم عند الله، في استرداد أرض فلسطين باسم العروبة
أبداً؛ ولا يمكن أن يستردوها إلا باسم الإسلام على ما كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ
مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿١٢٨﴾ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾
[الأعراف: 128]؛ ومهما حاول العرب، ومهما ملؤوا الدنيا من الأقوال والاحتجاجات، فإنهم لن يفلحوا أبداً
حتى ينادوا بإخراج اليهود منها باسم دين الإسلام بعد أن يطبقوه في أنفسهم (2).

3- الوفاء بالعهد:

ألزمهم الوفاء بالعهد: وهو عام في جميع أوامره تعالى ونواهيهِ ووصاياهِ، ويدخل في ذلك الإيمان
بمحمد ﷺ الذي ذكر في التوراة وغيرها، فإذا وقوا بعهودهم، وفي الله لهم عهده: وهو أن يدخلهم الجنة،
على سبيل التفضل والإنعام (3).

(1) [الترمذي، سنن الترمذي، التفسير/ومن سورة آل عمران، 226/5: رقم الحديث 3001]، قال الالباني: صحيح

(2) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 168)

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 335)

"وما طلب من اليهود من الوفاء بالعهد هو مطلوب منا، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ ﴿١﴾

[المائدة: 1] (١) وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ ﴿٩١﴾ [النحل: 91]

أوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي أوف بعهدكم أي أرض عنكم وأدخلكم الجنة كحكا الضحاك عن ابن عباس وتحقيقه في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٠٣﴾

[التوبة: 111]، وقيل: المراد من هذا العهد ما أثبتته في الكتب المتقدمة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه سيبعثه، وإليه الإشارة في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمْ مَوَاهِبَهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿١٢﴾ [المائدة: 12]، وفي الأعراف

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف: 156]، وفي آل عمران قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَاءٍ آتَيْتُكُمْ﴾ ﴿٨١﴾ [آل عمران: 81]، وفي الصف وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ [الصف: 6]، وعن ابن

عباس: إن الله كان عهد إلى بني إسرائيل في التوراة أنني باعث من بني إسماعيل نبياً أمياً، فمن تبعه وصدق بالتوراة الذي يأتي به أي بالقرآن غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين، أجراً باتباع ما جاء به موسى وجاءت به سائر أنبياء بني إسرائيل، وأجراً باتباع ما جاء به محمد ﷺ النبي الأمي الذي من ولد إسماعيل وتصديق هذا في القرآن قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [الحديد: 28]، وأمرهم بخشية الله وحده والإيمان (التصديق) بما أنزل الله وهو القرآن، ونهاهم عن أن يكونوا أول من كفر، وألا يأخذوا على آيات الله ثمناً، أي على تغيير صفة محمد ﷺ رشى، وكان الأخبار يفعلون ذلك، فنوها عنه (٢).

(١) الزحيلي، التفسير المنير (ج 1/ 151)

(٢) يُنظَر، النيسابوري، غرائب القرآن ورجائب الفرقان (ج 1/ 271)

المطلب الثاني: تحذير اليهود من إلباس الحق بالباطل وكتمانه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 42]

أولاً: معاني المفردات:

لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ: أي لا تخلطوا الحق بالباطل حتى يعلم فيعمل به، وذلك قولهم: محمد نبي ولكن مبعوث إلى العرب لا إلى بني إسرائيل (1).

ثانياً: البلاغة:

"تكرير الحق في قوله {تَلْبِسُوا الْحَقَّ} وقوله {وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ} لزيادة تقبيح المنهي عنه إذ في التصريح ما ليس في الضمير من التأكيد ويسمى هذا الإطناب أضعف من سواه" (2).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

"ولا تخلطوا الحق الذي بينته لكم بالباطل الذي افتريتموه، واحذروا كتمان الحق الصريح من صفة نبي الله ورسوله محمد ﷺ التي في كتبكم، وأنتم تجدونها مكتوبة عندكم، فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم" (3).

رابعاً: مقاصد أهداف الآية:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- اليهود يلبسون الحق بالباطل:

إِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ كَانُوا يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَهُمْ كُفَّارٌ، وَأَيُّ حَقٍّ كَانُوا عَلَيْهِ مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ؟ قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مُنَافِقُونَ مِنْهُمْ يُظْهِرُونَ التَّصَدِيقَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَسْتَنْبِطُونَ الْكُفْرَ بِهِ وَكَانَ عَظْمُهُمْ يَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ إِلَّا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى غَيْرِنَا. فَكَانَ لُبُّسُ الْمُنَافِقِ مِنْهُمْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ إِظْهَارُهُ الْحَقَّ بِلِسَانِهِ وَإِقْرَارُهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ جَهَارًا، وَخَلْطُهُ ذَلِكَ الظَّاهِرِ مِنَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ الَّذِي يَسْتَنْبِطُهُ. وَكَانَ لُبُّسُ الْمُقَرِّ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى غَيْرِهِمُ الْجَادِدِ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِمْ إِقْرَارُهُ بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى غَيْرِهِمْ وَهُوَ الْحَقُّ، وَجُحُودُهُ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِمْ وَهُوَ الْبَاطِلُ، وَقَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً. فَذَلِكَ خَلْطُهُمُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَلُبُّسُهُمْ إِيَّاهُ بِهِ (4)، وأنه ليس هناك إلا حق، وباطل؛ وإذا تأملت القرآن والسنة وجدت الأمر كذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ

(1) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 49)

(2) الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 46)

(3) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 7)

(4) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (ج1/ 606)

الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٦﴾ [الحج: 62]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ﴾ [يونس: 32] (1)، وقال النبي ﷺ: "القرآن حجة لك أو عليك" (2).

2- اليهود يكتمون الحق:

وقوله تعالى: وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ "جملة حالية، أي وأنتم من ذوى العلم، ولا يناسب من كان كذلك أن يكتم الحق، أو يلبسه بالباطل، وإذا كان هذا الفعل وهو لبس الحق بالباطل، أو كتمانته وإظهار الباطل وحده- يعد من كبائر الذنوب، فإن وقعه يكون أقبح، وفساده أكبر، وعاقبته أشأم متى صدر من عالم فاهم، يميز بين الحق والباطل" (3).

ففي هذه الجملة الكريمة بيان لحال بنى إسرائيل، المخاطبين بهذا النهى، وتبكييت لهم، لأنهم لم يفعلوا ما فعلوه عن جهالة، وإنما عن علم وإصرار على سلوك هذا الطريق المعوج. "ولقد زاول اليهود هذا التلبيس والتخليط وكتمان الحق في كل مناسبة عرضت لهم، كما فصل القرآن في مواضع منه كثيرة وكانوا دائما عامل فتنة وبلبلة في المجتمع الإسلامي، وعامل اضطراب وخلخلة في الصف المسلم" (4).

3- لدعاة الضلالة طرق في إغواء الناس:

أ- طريقة خلط الحق بالباطل حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر وهي المشار إليها بقوله تعالى: وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ.

ب- طريقة جحد الحق وإخفائه حتى لا يظهر، وهي المشار إليها بقوله تعالى: وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ. وقد استعمل بنو إسرائيل الطريقتين لصرف الناس عن الإسلام، فقد كان بعضهم يؤول نصوص كتبهم الدالة على صدق النبي ﷺ تأويلا فاسدا، يخلطون فيه الحق بالباطل، ليوهموا العامة أنه ليس هو النبي المنتظر، وكان بعضهم يلقي حول الحق الظاهر شبها، ليوقع ضعفاء الإيمان في حيرة وتردد، وكان بعضهم يخفى أو يحذف النصوص الدالة على صدق النبي ﷺ، والتي لا توافق أهواءهم وشهواتهم، فنهاهم الله- تعالى- عن هذه التصرفات الخبيثة.

والمعنى: "ولا تخلطوا الحق الواضح الذي نطق به الكتب السماوية، وأيدته العقول السليمة، بالباطل الذي تخترعونه من عند أنفسكم، إرضاء لأهوائكم، ولا تكتموا الحق الذي تعرفونه، كما تعرفون أبناءكم، بغية انصراف الناس عنه لأن من جهل شيئا عاداه، فالنهي الأول عن التغيير والخلط، والنهي الثاني عن الكتمان والإخفاء" (5).

(1) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 153)

(2) [مسلم، صحيح مسلم، الطهارة/ فضل الوضوء، 203/1: رقم الحديث 223]

(3) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط (ج1/ 109)

(4) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 68)

(1) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط (ج1/ 109)

ويقول ابن عاشور: " أَكْثَرُ أَنْوَاعِ الضَّلَالِ الَّذِي أُدْخِلَ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ مِنْ قَبِيلِ لَيْسَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، فَقَدْ قَالَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا مِنَ الْعَرَبِ وَمَنْعُوا الزَّكَاةَ أَنَّنَا كُنَّا نُعْطِي الزَّكَاةَ لِلرُّسُولِ وَنُطِيعُهُ فَلَيْسَ عَلَيْنَا طَاعَةٌ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ، وَهَذَا نَفْضُ لِجَامِعَةِ الْمِلَّةِ فِي صُورَةِ الْأَنْفَةِ مِنَ الطَّاعَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ النَّاقِمُونَ عَلَى عُنْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَبَسُوا بِأُمُورٍ زَيْنُوهَا لِلْعَامَّةِ كَقَوْلِهِمْ رَقِيَ إِلَيَّ مَجْلِسِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمُنْبَرِ وَذَلِكَ اسْتِخْفَافٌ لِأَنَّ الْخَلِيفَتَيْنِ قَبْلَهُ نَزَلَ كُلُّ مِنْهُمَا عَنِ الدَّرَجَةِ الَّتِي كَانَتْ يَجْلِسُ عَلَيْهَا سَلْفُهُ، وَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ خَاتَمُ النَّبِيِّ ﷺ وَذَلِكَ رَمَزٌ عَلَى سُفُوطِ خِلَافَتِهِ، وَقَدْ قَالَتْ الْخَوَارِجُ «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ» فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: "كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدُ بِهَا بَاطِلٌ" (1).

ليشترتوا آيات الله ثمنا قليلا، ولذلك فإن أبواب الباطل متعددة. وباب الحق واحد، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يبلغنا أن اليهود قد وضعوا في التوراة باطلا لم يأمر به الله، وكتبوا الحقيقة عن رسالة محمد ﷺ ولكن هل فعلوا ذلك عن طريق الخطأ أو السهو أو النسيان؟ لا بل فعلوه وهم يعلمون نأتي مثلا إلى قول الحق تبارك وتعالى لليهود: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: 58)، وحطة أي حط عنا يا رب ذنوبنا، يأتي اليهود ويغيرون قول الله فبدلاً من أن يقولوا حطة يقولوا حنطة من يسمع هذا اللفظ قد لا يتنبه ويعتقد أنهم قالوا ما أمرهم الله به مع أن الواقع أنهم حرفوه ولذلك عندما كانوا يأتون إلى رسول الله ﷺ كانوا يقولون: راعنا ليا بألسنتهم وكان المفروض أن يقولوا راعينا ولكنهم قالوا راعنا من الرعونة والله تعالى نبه المؤمنين برسوله ﷺ ألا يقولوا مثلهم فقال ﷺ: {لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا}، أي اتركوا هذه الكلمة نهائياً، هذا لبس الحق بالباطل إذن فاليهود ألبسوا الحق بالباطل، والإنسان لا يلبس الحق بالباطل، إلا إذا كان لا يستطيع مواجهة الحق لأن عدم القدرة على مواجهة الحق ضعف نفير منه إلى الباطل، لأن الحق يتعب صاحبه والإنسان لا يستطيع أن يحتمل نفسه على الحق (2).

ويجوز صرف الخطاب إلى المسلمين وإلى كل صنف منهم، وبيانه أن يقال: أيها السلاطين لا تخطوا العدل بالجور، ويا أيها القضاة لا تخطوا الحكم بالرشوة، وهكذا كل فريق. فهذه الآية وإن كانت خاصة ببني إسرائيل فهي تتناول من فعل فعلهم، فمن أخذ رشوة على تغيير حق وإبطاله، أو امتنع من تعليم ما وجب عليه، أو أداء ما علمه، وقد تعين عليه أداؤه حتى يأخذ عليه أجرا، فقد دخل في حكم الآية (3).

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/471)

(2) ينظر، الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/299)

(3) المراغي، تفسير المراغي (ج1/102)

المطلب الثالث: دعوة اليهود إلى الصلاة والزكاة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 43]

أولاً: معاني المفردات:

الزكاة: مشتقة من زكا الزرع يزكو أي نما لأن إخراجها يجلب البركة، أي هي من الزكاة أي الطهارة لأنها تطهر المال قال تعالى {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: 106] (1).
وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ: الركوع الشرعي: انحناء الظهر في امتداد واعتدال مع وضع الكفين على الركبتين والمراد به هنا: الخضوع لله والإسلام له ﷺ (2).

ثانياً: البلاغة:

"إطلاق الركوع على الصلاة في قوله: وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ مجاز مرسل، من أنواع تسمية الكل باسم الجزء" (3).

ثالثاً: المناسبة:

"عَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَمَّا أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ أَوْلَا ثُمَّ نَهَاَهُمْ عَنِ لُبْسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَكَيْفَانِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ثَانِيًا، ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ بَيَانَ مَا لَزِمَهُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ وَذَكَرَ مِنْ جُمْلَةِ الشَّرَائِعِ مَا كَانَ كَالْمَقَدِّمِ وَالْأَصْلُ فِيهَا وَهُوَ الصَّلَاةُ

الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَالزَّكَاةُ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ" (4).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"وادخلوا في دين الإسلام: بأن تقيموا الصلاة على الوجه الصحيح، كما جاء بها نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتؤدوا الزكاة المفروضة على الوجه المشروع، وتكونوا مع الراكعين من أمته ﷺ" (5).

خامساً: مقاصد وأهداف الآية:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- الحث على صلاة الجماعة:

حث القرآن الكريم على صلاة الجماعة في كثير من الآيات منها:

(1) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/ 46)

(2) أبوبكر الجزائري، أيسر التفسير (ج1/ 49)

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 148)

(4) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 485)

(5) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 7)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 110]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: 3] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُفْقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْلَى﴾ [إبراهيم: 31]

2- فضل صلاة الجماعة في السنة:

أمرهم بالركوع مع الراكعين، أي أن يكونوا في جماعة المسلمين ويصلوا صلاتهم، وقد حث على صلاة الجماعة لما فيها من تظاهر النفوس عند مناجاة الله، وإيجاد الألفة بين المؤمنين، ولأنه عند اجتماعهم يتشاورون في دفع ما ينزل بهم من البأساء أو يجلب لهم السراء، ومن ثم جاء في الخبر: "صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة" (1).

وروى مسلم عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قَالَ: "صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ وَحْدَهُ سَبْعًا وَعَشْرِينَ" (2).

3- عقاب الذين يتخلفون عن صلاة الجماعة والجمعة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: 59] وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدَ نَاسًا فِي بَعْضِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: "لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَخَالَفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا، فَأَمُرَ بِهِمْ فَيُحْرِقُوا عَلَيْهِمْ، بِحَرْمِ الْحَطَبِ بِيوتِهِمْ، وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا" يَعْنِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ (3).

4- المقصود بقوله تعالى: ﴿وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 43] ففيه وجوه:

أ- أَنَّ الْيَهُودَ لَا رُكُوعَ فِي صَلَاتِهِمْ فَحَصَّ اللَّهُ الرُّكُوعَ بِالذِّكْرِ تَحْرِيسًا لَهُمْ عَلَى الْإِتْيَانِ بِصَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ.

ب- أَنَّ الْمُرَادَ صَلُوا مَعَ الْمُصَلِّينَ، وَعَلَى هَذَا يَرُودُ التَّكْرَارُ لِأَنَّ فِي الْأَوَّلِ أَمْرَ تَعَالَى بِإِقَامَتِهَا وَأَمْرَ فِي الثَّانِي بِفِعْلِهَا فِي الْجَمَاعَةِ،

ت- أَنَّ يَكُونُ الْمُرَادُ مِنَ الْأَمْرِ بِالرُّكُوعِ هُوَ الْأَمْرُ بِالْخُضُوعِ لِأَنَّ الرُّكُوعَ وَالْخُضُوعَ فِي اللُّغَةِ سَوَاءٌ فَيَكُونُ نَهْيًا عَنِ الْإِسْتِكْبَارِ الْمَذْمُومِ وَأَمْرًا بِالتَّذَلُّلِ كَمَا قَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 54]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى تَأْدِيبًا

(1) [مسلم، صحيح مسلم، الصلاة/فضل صلاة الجماعة، 451/1: رقم الحديث 650].

(2) [مسلم، صحيح مسلم، الصلاة/فضل صلاة الجماعة، 451/1: رقم الحديث 650].

(3) [مسلم، صحيح مسلم، الصلاة/فضل صلاة الجماعة، 451/1: رقم الحديث 651].

للنبي ﷺ ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: 215]، وَكَمَدَحِهِ لَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُن لَّهُمْ وَلِيُّكَ لَأَخَذُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، وَهَكَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: 55] فَكَانَتْهُ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ أَمَرَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالِاتِّقْيَادِ وَالْخُضُوعِ وَتَرْكِ التَّمَرُّدِ (1)، وَيَرَى الْبَاحِثُ أَنَّ اللَّهَ حَثَّ الْيَهُودَ عَلَى الصَّلَاةِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي جَمَاعَةٍ مَعَ كَامِلِ الْخُضُوعِ وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

5- أمر الله بني إسرائيل بالصلاة والزكاة:

إنه بعد أن دعا بني إسرائيل إلى الإيمان أمرهم بصالح العمل على الوجه المقبول عند الله، فطلب إليهم إقامة الصلاة لتطهر نفوسهم كما طلب إليهم إيتاء الزكاة التي هي مظهر شكر الله على نعمه والصلة العظيمة بين الناس، لما فيها من بذل المال لمواساة عيال الله وهم الفقراء، ولما بين الناس من تكافل عام في هذه الحياة، فالغنى في حاجة إلى الفقير، والفقير في حاجة إلى الغنى كما ورد في الحديث: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (2)، وعبر عن الصلاة بالركوع ليبعدهم عن الصلاة التي كانوا يصلونها قبلاً، إذ لا ركوع فيها (3)، و «أَمُرُوا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ لِأَنَّ الْأُولَى عَمَلٌ يَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمِ الْخَالِقِ وَالسُّجُودِ إِلَيْهِ ، وَمِثْلُ هَذَا الْفِعْلِ لَا يَفْعَلُهُ الْمُشْرِكُ وَبِقَوْلِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَلَا يَفْعَلُهُ الْكِتَابِيُّ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ عِبَادَتَهُ، وَلِأَنَّ الزَّكَاةَ إِنْفَاقُ الْمَالِ وَهُوَ عَزِيزٌ عَلَى النَّفْسِ فَلَا يَبْدُلُهُ الْمَرْءُ فِي غَيْرِ مَا يَنْفَعُهُ إِلَّا عَنِ اعْتِقَادٍ نَفْعٍ أُخْرَوِيٍّ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْمَالُ يُنْفِقُ عَلَى الْعَدُوِّ فِي الدِّينِ، فَلِذَلِكَ عَقَّبَ الْأَمْرَ بِالْإِيمَانِ بِالْأَمْرِ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْمُنَافِقِينَ " قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 142]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 4]،

[5]

روى البخاري عن أبي هريرة، قَالَ: "قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ الْمُؤَدِّنَ، فَيُقِيمَ، ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا يُؤَمُّ النَّاسَ، ثُمَّ أَخَذَ شَعْلًا مِنْ نَارٍ، فَأَحْرَقَ عَلَى مَنْ لَا يَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ بَعْدُ" (4) (5).

(1) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 487)

(2) البخاري، صحيح البخاري، الصلاة/تشبيك الأصابع في المساجد وغيرها، 103/1: رقم الحديث 481.

(3) المراغي، تفسير المراغي (ج1/ 103)

(4) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ 472)، (4) [البخاري، صحيح البخاري، اللذان/فضل صلاة العشاء

في جماعة، 132/1: رقم الحديث 657].

أَمَّا الزَّكَاةُ فَهِيَ فِي اللُّغَةِ عِبَارَةٌ عَنِ النَّمَاءِ، يُقَالُ: زَكَ الرَّزْعُ إِذَا نَمَا، وَعَنِ التَّطْهِيرِ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَقْتَلَتْ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: 74] أَي طَاهِرَةٌ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى﴾ [الأعلى: 14]، أَي تَطَهَّرَ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَمَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 21]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ زَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: 18]، أَي تَطَهَّرَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَلَعَلَّ إِخْرَاجَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ عَشْرِينَ دِينَارًا سُمِّيَ بِالزَّكَاةِ تَشْبِيهًا بِهَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ، لِأَنَّ فِي إِخْرَاجِ ذَلِكَ الْقَدْرِ تَنْمِيَةً لِلْبَقِيَّةِ مِنْ حَيْثُ الْبِرْكَةُ فَإِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ الْبَلَاءَ عَن ذَلِكَ الْمَالِ بِسَبَبِ تَزْكِيَةِ تِلْكَ الْعَطِيَّةِ فَصَارَ ذَلِكَ الْإِعْطَاءُ نَمَاءً فِي الْمَعْنَى وَإِنْ كَانَ نُقْصَانًا فِي الصُّورَةِ⁽¹⁾، وَلِهَذَا وَرَى بِن مَاجَةَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: " قَالَ ﷺ وَسَلَّمَ: مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرَبُّو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، وَيُرِيهَا لَهُ كَمَا يُرِي أَحَدُكُمْ فُلُوهُ، أَوْ فَصِيلَهُ" ⁽²⁾. "وَيَجُوزُ أَنْ تُسَمَّى الزَّكَاةُ بِالْوَجْهِ الثَّانِي مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تُطَهَّرُ مُخْرَجَ الزَّكَاةِ عَنِ كُلِّ الذُّنُوبِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التَّوْبَةُ: 103]" ⁽³⁾.

(1) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ 472)

(2) [ابن ماجه، سنن بن ماجه، الزكاة/ فضل الصدقة، 590/1: رقم الحديث 1842]، قال الالباني صحيح، الألباني،

صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/ 980)

(3) (الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 486)

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة البقرة من

الآية (44-59)

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة البقرة من الآية (44-59)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (44-48)

المطلب الأول: ذم التناقض بين القول والعمل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 44]

أولاً: معاني المفردات:

تَنْسَوْنَ: تتركونها عن أمرها بذلك (1).

العقل: قوة باطنية يميز بها المرء بين النافع والضار، والصالح والفاقد (2).

ثانياً: البلاغة:

تَأْمُرُونَ الاستفهام للتوبيخ، وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ فيه تقييد وتبكييت، أَفَلَا تَعْقِلُونَ استفهام إنكاري وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ مبالغة في الترك (3).

ثالثاً: سبب النزول:

أخرج الواحدي والشعلبي عن ابن عباس قال: "نزلت هذه الآية (44) في يهود المدينة، كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينهم وبينه رضاع من المسلمين: اثبت على الدين الذي أنت عليه، وما يأمرك به، وهذا الرجل، يعنون محمداً ﷺ، فإن أمره حق، فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه (4).

وقال السدي: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر، ويخالفون، فعيّرهم الله عز وجل (5).

رابعاً: المناسبة:

لا تزال الآيات تتحدث عن بني إسرائيل، وفي هذه الآيات ذم وتوبيخ لهم على سوء صنيعهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، ويدعون الناس إلى الهدى والرشاد ولا يتبعونه (6).

(1) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 44)

(2) أبوبكر الجزائري، أيسر التفسير (ج1/ 50)

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 153)

(4) الواحدي، أسباب النزول (ص24)

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/ 246)

(6) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/ 47)

خامساً: المعنى الإجمالي:

"أطلبون من الناس أن يتوسعوا في الخير، وأن يلتزموا الطاعة ويتجنبوا المعصية، ثم لا تعملون بما تقولون، ولا تلتزمون بما تطلبون، وفي ذلك تضيق لأنفسكم كأنكم تنسونها، مع أنكم تقرأون التوراة وفيها التهديد والوعيد على مخالفة القول للعمل، أليس لديكم عقل يردعكم عن هذا التصرف الذميمة؟"⁽¹⁾

سادساً: مقاصد وأهداف الآية:

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- المراد بالبر:

ذكر الإمام الرازي لأنواع البر معاني كثيرة أذكر منها فيما يلي:

أ- قَوْلُ السَّيِّئِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَهُمْ كَانُوا يَنْزُكُونَ الطَّاعَةَ وَيُقَدِّمُونَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

ب- قَوْلُ ابْنِ جُرَيْجٍ أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَهُمْ كَانُوا يَنْزُكُونَهُمَا.

ت- أَنَّهُ إِذَا جَاءَهُمْ أَحَدٌ فِي الْخُفْيَةِ لِاسْتِعْلَامِ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالُوا: هُوَ صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ وَأَمْرُهُ حَقٌّ فَاتَّبَعُوهُ، وَهُمْ كَانُوا لَا يَتَّبِعُونَهُ لَطَمَعَهُمْ فِي الْهَدَايَا وَالصَّلَاةِ الَّتِي كَانَتْ تَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ.

ث- أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا قَبْلَ مَبْعَثِ الرَّسُولِ ﷺ يُخْبِرُونَ مُشْرِكِي الْعَرَبِ أَنَّ رَسُولًا سَيَطْهَرُ مِنْكُمْ وَيَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَكَانُوا يَرْغَبُونَهُمْ بِاتِّبَاعِهِ فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا حَسَدُوهُ وَكَفَرُوا بِهِ، فَكَتَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِسَبَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْمُرُونَ بِاتِّبَاعِهِ قَبْلَ ظُهُورِهِ، فَلَمَّا ظَهَرَ تَرَكُوهُ وَأَعْرَضُوا عَنِ دِينِهِ، وَهَذَا اخْتِيَارُ أَبِي مُسْلِمٍ.

ج- قول الزجاج أنهم كانوا يأمرُونَ النَّاسَ بِبَدْلِ الصَّدَقَةِ، وَكَانُوا يَشْحُونُ بِهَا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَهُمْ بِقَسَاوَةِ الْقُلُوبِ وَأَكْلِ الرِّبَا وَالسُّخْتِ.

ح- لَعَلَّ الْمُتَأَفِّقِينَ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا يَأْمُرُونَ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الظَّاهِرِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي قُلُوبِهِمْ مُنْكَرِينَ لَهُ فَوَبَّخَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ.

خ- أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَأْمُرُونَ غَيْرَهُمْ بِاتِّبَاعِ التَّوْرَةِ ثُمَّ إِنَّهُمْ خَالَفُوهُ لِأَنََّّهُمْ وَجَدُوا فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَا آمَنُوا بِهِ⁽²⁾.

(1) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص12)

(2) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب (ج3/ 487-488)

2- عُقُوبَةٌ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ:

"لا بد أن ننتبه إلى أنه إذا كانت هذه الآيات قد نزلت في اليهود، فليس معناها أنها تنطبق عليهم وحدهم بل هي تنطبق على أهل الكتاب جميعاً، وغير المؤمنين، فالعبرة ليست بخصوص الموضوع ولكن العبرة بعموم السبب" (1).

والمطابقة بين القول والفعل، وبين العقيدة والسلوك، ليست مع هذا أمراً هيناً، ولا طريقاً معبداً، إنها في حاجة إلى رياضة وجهد ومحاولة، وإلى صلة بالله، واستمداد منه، واستعانة بهديه فملايسات الحياة وضرورتها واضطراتها كثيراً ما تتأى بالفرد في واقعه عما يعتقد في ضميره، أو عما يدعو إليه غيره (2)، وهذه بعض عقوبات الذي يخالف قوله فعله:

أ- يستحق كل مقصر في واجبه العقاب واللوم، فقد كان التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر، لا بسبب الأمر بالبر، وكان ذم اليهود لأنهم كانوا يأمرون بأعمال البر والطاعة ولا يعملون بها، ويزداد التقريع للعالم الذي لا يعمل بما علم، فليس من يعلم كمن لا يعلم، ولا يتقبل العقل السليم هذه الحال من أحد (3).

ب- أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ: أَوْ بَلَغْتَ ذَلِكَ قَالَ: أَرْجُو، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَخْشَ أَنْ تَفْتَضِحَ بِثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَافْعَلْ، قَالَ: وَمَا هُنَّ قَالَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 44] أَحْكَمْتَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ: لَا، قَالَ: فَالْحَرْفُ الثَّانِي قَالَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ [الصف: 2 - 3]، أَحْكَمْتَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ: لَا، قَالَ: فَالْحَرْفُ الثَّالِثُ قَالَ قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ شُعَيْبٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿٨٨﴾ [هود: 88]، أَحْكَمْتَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ: لَا قَالَ: فابدأ بنفسك (4).

(1) الشعراوي، الخواطر (ج1/ 303)

(2) يُنْظَرُ، سِيدِ قَطْبٍ، فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ (ج1/ 68)

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج/ 157)

(4) يُنْظَرُ، السُّيُوطِيُّ، الدَّرُ الْمُنْتَوِّرُ فِي التَّسْطِيرِ بِالْمَأْثُورِ (ج1/ 158)

ت- وروى مسلم في صحيحه عن أسامة بن زيد عن رسول الله ﷺ يقول: " يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ(1) أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْهِ " (2).

ث- وقال ﷺ: " إن في النار رجلاً يتأذى أهل النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله؟ قال: عالم لا ينتفع بعلمه " (3).

ج- وقال ﷺ: " مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه " (4).

ح- وعن الشعبي (5): يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من النار فيقولون: لم دخلتم النار ونحن إنما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم؟ فقالوا: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله " (6).

3- أثر مخالفة القول للعمل على الدعوة:

إن الدين كلمة تقال وسلوك يفعل، فإذا انفصلت الكلمة عن السلوك ضاعت الدعوة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: 2 - 3]، لماذا؟ لأن من يراكم تفعل ما تنهاه عنه يعرف أنك مخادع وغشاش، وما لم ترتضه أنت كسلوك لنفسك لا يمكن أن تبشر به غيرك، لذلك نقرأ في القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: 21]، فمنهج الدين وحده لا يكفي إلا بالتطبيق، ولذلك كان رسول الله ﷺ لا يأمر أصحابه بأمر إلا كان أسبقهم إليه، فكان المسلمون يأخذون عنه القدوة قولاً وعملاً، وكان عمر بن الخطاب ؓ حين يريد أن يقنن أمراً في الإسلام يأتي بأهله وأقاربه ويقول لهم: لقد بدا لي أن

(1) (فتندلق أقتاب بطنه) قال أبو عبيد الأقتاب الأمعاء قال الأصمعي واحدها قنبة وقال غيره قناب وقال ابن عيينة هي

ما استدار في البطن وهي الحوايا والأمعاء وهي الأقسام واحدها قصب والاندلاق خروج الشيء من مكانه [شرح

محمد فؤاد عبد الباقي]

(2) [مسلم، صحيح مسلم، الزهد والرفائق/عُقُوبِيَّةٍ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ، 4/ 2290: رقم الحديث 2989].

(3) [البيهقي، شعب الإيمان، فصل، ما ينبغي لطالب العلم، 3/315: رقم الحديث 1755].

(4) [الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (ج7/ 11303)

(5) [الشعبي، أحمد بن إبراهيم بن خالد الموصلي، أبو علي (نزيل بغداد) الطبقة: 10، كبار الآخذين عن تبع الأتباع

الوفاة: 236 هـ روى له: (أبو داود - ابن ماجه في التفسير) رتبته عند ابن حجر: صدوق

(6) [ابن المبارك، الزهد والرفائق، باب من طلب العلم لعرض في الدنيا، 1/21: رقم الحديث 64].

آمر بكذا وكذا، والذي نفسي بيده من خالف منكم لأجعله نكالا للمسلمين، وكان عمر بن الخطاب بهذا يقفل أبواب الفتنة، لأنه يعلم من أين تأتي" (1).

4- الأثر السلبي لعلماء السلاطين والخطباء:

إن الكلام منطبق هنا حتى على المسلمين الذين يشتركون بآيات الله ثمناً قليلاً وهؤلاء هم خطباء الفتنة الذين رآهم رسول الله ﷺ تقرض شفاهم بمقارض من نار فسأل: من هؤلاء يا جبريل: فقال خطباء الفتنة إنهم الذين يزينون لكل ظالم ظلمه، ويجعلون دين الله في خدمة أهواء البشر⁽²⁾

"وكان الأصل أن تخضع أهواء البشر لدين الله، وهؤلاء هم الذين يحاولون تحت شعار التجديد أن يجعلوا للناس حجة في أن يتحللوا من منهج الله فهم يبررون ما يقع ولا يتدبرون حساب الآخرة"⁽³⁾.

ومع أن هذا النص القرآني كان يواجه ابتداء حالة واقعة من بني إسرائيل، فإنه في إحائه للنفس البشرية، ولرجال الدين بصفة خاصة، دائم لا يخص قوماً دون قوم ولا يعني جيلاً دون جيل.

إن آفة رجال الدين - حين يصبح الدين حرفة وصناعة لا عقيدة حارة دافعة - أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم يأمرون بالخير ولا يفعلونه ويدعون إلى البر ويهملونه ويحرفون الكلم عن مواضعه ويؤولون النصوص القاطعة خدمة للغرض والهوى، ويجدون فتاوى وتأويلات قد تتفق في ظاهرها مع ظاهر النصوص، ولكنها تختلف في حقيقتها عن حقيقة الدين، لتبرير أغراض وأهواء لمن يملك المال أو السلطان! كما كان يفعل أحرار يهود! والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه، هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك لا في الدعاة وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها. وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم، لأنهم يسمعون قولاً جميلاً، ويشهدون فعلاً قبيحاً فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعه الإيمان ولا يعودون يثقون في الدين بعد ما فقدوا ثقتهم برجال الدين. قال رسول الله ﷺ: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه"⁽⁴⁾.

إن الكلمة لتنبعث ميتة، وتصل هامة، مهما تكن طنانة رنانة متحمسة، إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها، ولن يؤمن إنسان بما يقول حقاً إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول، وتجسماً واقعياً لما ينطق، عندئذ يؤمن الناس، ويثق الناس، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق، إنها حينئذ تستمد

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 305)

(2) ابن حبان، صحيح ابن حبان، الاسراء/ ذَكَرُ وَصَفِ الْخُطَبَاءِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ عَلَى الْقَوْلِ دُونَ الْعَمَلِ حَيْثُ رَأَهُمْ ﷺ لَيْلَةً أُسْرِي بِهِ، 249/1: رقم الحديث [53]، قال الألباني: صحيح، الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (1/ 183).

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 303)

(4) [الطبراني، المعجم الصغير للطبراني، باب من اسمه طاهر، 305/1: رقم الحديث 507].

قوتها من واقعها لا من رنينها وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها، إنها تستحيل يومئذ دفعة حياة، لأنها منبثقة من حياة.

والفرد الفاني ما لم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف مهما كانت قوته، لأن قوى الشر والطغيان والإغواء أكبر منه وقد يغالبها مرة ومرة ومرة ولكن لحظة ضعف تتنابه فيتخاذل ويتهاوى، ويخسر ماضيه وحاضره ومستقبله فأما وهو يركن إلى قوة الأزل والأبد فهو قوي، أقوى من كل قوي، قوي على شهوته وضعفه قوي على ضروراته واضطراراته، قوي على ذوي القوة الذين يواجهونه (1).

سابعاً: ربط الآية بالواقع:

وفي الدعوة الإسلامية لا بد أن يكون العلماء قدوة لينصلح أمر الناس، ففي كل علوم الدنيا القدوة ليست مطلوبة إلا في الدين فأنت إذا ذُكِرَ لك عالم كيمياء بارع، وقيل لك أنه يتناول الخمر أو يفعل كذا تقول مالي وسلوكه، أنا آخذ عنه علم الكيمياء لأنه بارع في ذلك ولكن لا شأن لي بسلوكه، وكذلك كل علماء الأرض ما عدا عالم الدين، فإذا كان هناك عالم يبصرك بالطريق المستقيم وتتلقى عنه علوم دينك ثم بعد ذلك تعرف أنه يشرب الخمر أو يسرق أستمع له؟ أبداً أنه يهبط من نظرك في الحال، ولا تحب أن تسمعه ولا تجلس في مجلسه، مهما كان علمه فستقول له كفاك دجلاً، وهكذا فإن عالم الدين لا بد أن يكون قدوة، فلا ينهى عن منكر ويفعله، أو يأمر بمعروف وهو لا ينفذه فالناس كلهم مفتحة أعينهم لما يصنع والإسلام قبل أن ينتشر بالمنهج العلمي، انتشر بالمنهج السلوكي وأكبر عدد من المسلمين اعتنق هذا الدين من أسوة سلوكية قادت إليه فالذين نشروا الإسلام في الصين كان أغلبهم من التجار الذين تخلقوا بأخلاق الإسلام ف جذبوا حولهم الكثيرين فاعتنقوا الإسلام ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [33] [فصلت: 33] فالشرط الأول هو الدعوة إلى الله، والشرط الثاني العمل الصالح، وقوله ﴿إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لم ينسب الفضل لنفسه أو لذاته، ولكنه نسب الفضل إلى الإسلام ولكن قولوا لي: أي فائدة أن نقول أننا مسلمون ونعمل بعمل غير المسلمين؟ (2)

المطلب الثاني: صفات الخاشعين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45-46] رَّبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ [البقرة: 45-46]

أولاً: معاني المفردات:

وَأَسْتَعِينُوا: الاستعانة: طلب العون للقدرة على القول والعمل.

(1) يُنظر، سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 68)

(2) ينظر، الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 305)

بِالصَّبْرِ: الصبر: حَبَسُ النَّفْسِ عَلَى مَا تَكْرَهُ.

وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ: أي: الصلاة - أو الاستعانة - لَشَاقَّةٌ وَثَقِيلَةٌ (1).

الخشوع: حضور القلب وسكون الجوارح، والمراد هنا: الخضوع لله والطاعة لأمره ونهيه (2)
يَظُنُّونَ: الظنُّ هنا بمعنى اليقين لا الشك، وهو من الأضداد قال أبو عبيدة: العرب تقول لليقين ظنٌّ
مُلاقِفٌ رِيَّهَمٌ: بالموت، وراجعون إليه يَوْمَ الْقِيَامَةِ (3).

ثانياً: المناسبة:

ولما أنكر عليهم اتباع الهوى أرشدهم إلى دوائه بأعظم أخلاق النفس وأجل أعمال البدن فقال عاطفاً
على ما مضى من الأوامر. وقال الحرالي: فكأنهم إنما حملهم على مخالفة حكم العقل ما تعودت به
أنفسهم من الرياسة والتقدم فلما في ذلك عليهم من المشقة أن يصيروا أتباعاً لعرب بعد ما كانوا يرون
أن جميع الأرض تبع لهم نسق بخطابهم في ذلك الأمر بالاستعانة بالصبر الذي يكره أنفسهم على أن
تصير تابعة بعد أن كانت متبوعة (4).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

"واستعينوا على أداء التكليفات بالصبر وحبس النفس على ما تكره، ومن ذلك الصوم، وبالصلاة
العظيمة الشأن التي تنقى القلب وتنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذلك كانت ثقيلة شاقّة إلا على
الخاضعين المحبين للطاعة، الذين اطمأنّت قلوبهم لذكر الله" (5)، الذين يخشون الله ويرجون ما
عنده، ويوقنون أنهم ملاقو رِيَّهَمٍ جَلٍّ وعلا بعد الموت، وأنهم إليه راجعون يوم القيامة للحساب والجزاء
(6).

رابعاً: مقاصد وأهداف الآيات:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- المراد بالخشوع:

والخشوع والاختشاع: الخضوع، وقيل: قريب من الخضوع، وقيل: الخضوع في البدن والخشوع في
الصوت والبصر، والخشوع: السكون والتذلل والضراعة والسكوت، وقيل: أكثر ما يستعمل فيما يوجد في
الجوارح، والضراعة أكثر ما يُستعمل فيما يوجد في القلب، ورؤى: إِذَا ضَرَعَ الْقَلْبُ خَشَعَ الْجَوَارِحُ (7).

(1) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 45)

(2) أبوبكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 50)

(3) الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 47)

(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج1/ 338)

(5) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص12)

(6) نخبة من اساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 7)

(7) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج2/ 541)

وقوله تعالى: ﴿تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [فصلت: 39]، كناية عنها وتبنيها على تزعزُعها، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]، أي خائفين منا، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45]، أي المتواضعين، وقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: 2]، أي ذليلة، وقوله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ [المعارج: 44] و قَالَ تَعَالَى: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ [القمر: 7] أي مُطْرِقَةً في نظرها، وقوله تعالى: ﴿الْمَرْيَأْنَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ﴾ [الحديد: 16]، قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين، وقال ابن عباس: إن الله استبطن قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 2]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108]، أي سكنت وذلت وخضعت.

ورأى النبي ﷺ رجلاً يَغْبُثُ بلحيته في الصلاة فقال: "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه" (1). وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق فقيل: ما خشوع النفاق؟ فقال: أن يرى البدن خاشعاً والقلب غير خاشع، وقال حذيفة: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعاً، وقال سهل: من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان "وقيل: الخشوع الاستسلام للحكمين، أعنى الحكم الديني الشرعي فيكون معناه عدم معارضته برأي أو غيره، والحكم القدري وهو عدم تلقيه بالتسخط والكراهة والاعتراض؛ والاتضاع أعنى اتضاع القلب والجوارح وانكسارها لنظر الرب إليها وإطلاعه على تفاصيل ما في القلب والجوارح. فخوف العبد في هذا المقام يوجب خشوع القلب لا محالة، وكلما كان أشد استحضاراً له كان أشد خشوعاً. وإنما يفارق القلب الخشوع إذا غفل عن اطلاع الله تعالى ونظره إليه" (2)

2- أسباب وآثار الخشوع:

ومما يورث الخشوع ترقب آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل عليك، وتنسم العناء، يعنى انتظار ظهور نقائص نفسك وعملك وعيوبهما؛ فإنه يجعل القلب خاشعاً لا محالة لمطالعة عيوب نفسه وأعمالها ونقائصها: من العجب والكبر والرياء وضعف الصدق وقلة اليقين وتشتت النية وعدم إيقاع العمل على الوجه الذي ترضاه لربك وغير ذلك من عيوب النفس، وأما رؤية فضل كل ذي فضل عليك فهو أن تراعى حقوق الناس فتؤديها ولا ترى أن ما فعلوه معك من حقوقك عليهم فلا تعاوضهم

(1) [ابن أبي شعبة، مصنف بن أبي شعبة، باب مس اللحية في الصلاة، 86/2: 6787].

(2) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج2/ 541)

عليها فإن ذلك من رعونات النَّفس وحماقاتِها، ولا تطالبهم بحقوق نفسك فالعارف لا يرى له على أحد حقاً، ولا يشهد له على غيره فضلاً، فلذلك لا يعاقب ولا يطالب ولا يضارب (1).

3- أصل ومفهوم الصبر:

أ- أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال: الصَّبْرُ صبران: صبر عند المُصِيبَةِ حسن وأحسن منه الصَّبْرُ عن محارم الله (2).

ب- وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: الصَّبْرُ بَابَيْنِ الصَّبْرُ لله فيما أحب وإن ثقل على الأَنفُس والأبدان وَالصَّبْرُ عَمَّا كره وإن نازعت إِلَيْهِ الأهواء فَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَهُوَ من الصابرين الَّذِينَ يسلم عَلَيْهِم إن شاء الله تَعَالَى (3).

ت- أصل الصبر: الإمساك في ضيق، ومنه: دابة مصبورة، والصبرة من الطعام للجمعة منه، وفي التعارف: إمساك النفس على ما يقتضيه العقل وعمما يقتضيه، وذلك ضربان: صبر عن المشتهى، وهو العفة، وصبر على المكروه وهو الشجاعة، وقيل الصبر: الصوم، لقوله عليه السلام: (صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهب كثيراً من وحر الصدر) (4).

ث- وتسميته بالصبر، لكونه بعضه، إذ هو إمساك الشهوة، ولهذا قال عليه السلام: "الصوم نصف الصبر" (5)، والصلاة أرفع منزلة من الصبر، لأنها تجمع ضرباً من الصبر، إذ هي حبس الحواس على العبادة، وحبس الخواطر والأفكار على الطاعة، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45] (6)

ج- (وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)، الصبر الحقيقي إنما يكون بتذكر وعد الله بحسن الجزاء لمن صبر عن الشهوات المحرمة التي تميل إليها النفس، وعمل أنواع الطاعات التي تشقّ عليها، والتفكر في أن المصائب بقضاء الله وقدره، فيجب الخضوع له والتسليم لأمره، والاستعانة به تكون باتباع الأوامر واجتناب النواهي بقمع النفس عن شهواتها وحرمانها لذاتها، وتكون بالصلاة لما فيها من النهي عن الفحشاء والمنكر، ولما فيها من مراقبة الله في السر والنجوى، وناهيك بعبادة يناجي فيها العبد ربه في اليوم خمس مرات.

ح- وقد روى أحمد رضي الله عنه أنه رضي الله عنه: "كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة".

(1) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج2/ 542)

(2) [ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، 102/1: رقم الحديث 479].

(3) [ابن أبي حاتم، المرجع السابق، 261/1: رقم الحديث 1405].

(4) [الالباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، حرف الالف، 509/1: رقم الحديث 2607] [حكم الالباني صحيح]

(5) [الدارمي، سنن الدارمي، الطهارة/ ما جاء في الطهور، 519/1: رقم الحديث 680]، [تعليق المحقق] [إسناده جيد]

(6) [الراغب الاصفهاني، تفسير الراغب الاصفهاني (ج1/ 177)]

خ- "وروى أن ابن عباس نعت له بنت وهو في سفر فاسترجع ثم تتحنى عن الطريق وصلّى ثم انصرف إلى راحلته وهو يقرأ: **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** " (1).

4- مميزات الصبر:

وَحُسْبُكَ بِمِرْيَةِ الصَّبْرِ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ مُكْمِلَ سَبَبِ الْفَوْزِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [العصر: 1- 3]، وَقَالَ هُنَا: **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**، قَالَ الْعَزَلِيُّ: "تَكَرَّرَ اللَّهُ الصَّبْرَ فِي الْقُرْآنِ فِي نَيْفِ وَسَبْعِينَ مَوْضِعًا وَأَصَافَ أَكْثَرَ الْخَيْرَاتِ وَالذَّرَجَاتِ إِلَى الصَّبْرِ وَجَعَلَهَا ثَمَرَةً لَهُ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا﴾ [السجدة: 24]، وَقَالَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: 137]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153].

وَأَنْتِ إِذَا تَأَمَّلْتِ وَجَدْتِ أَصْلَ التَّوْبَتَيْنِ وَالْإِيمَانَ مِنْ ضُرُوبِ الصَّبْرِ فَإِنَّ فِيهِ مَخَالَفَةَ النَّفْسِ هَوَاهَا وَمَأْلُوفَهَا فِي التَّصَدِيقِ بِمَا هُوَ مُعَيَّبٌ عَنِ الْحِسِّ الَّذِي اعْتَادَتْهُ، وَبُوجُوبِ طَاعَتِهَا وَاحِدًا مِنْ جِنْسِهَا لَا تَرَاهُ يُفَوِّقُهَا فِي الْخَلْقَةِ وَفِي مَخَالَفَةِ عَادَةِ آبَائِهَا وَأَقْوَامِهَا مِنَ الدِّيَانَاتِ السَّابِقَةِ، فَإِذَا صَارَ الصَّبْرُ خُلُقًا لِصَاحِبِهِ هَوَّنَ عَلَيْهِ مَخَالَفَةُ ذَلِكَ كُلِّهِ لِأَجْلِ الْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ فَظَهَرَ وَجْهُ الْأَمْرِ بِالِاسْتِعَانَةِ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَا يَتَفَرَّغُ عَنْهُ بِالصَّبْرِ فَإِنَّهُ خُلُقٌ يَفْتَحُ أَبْوَابَ النُّفُوسِ لِقَبُولِ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ (2).

الصَّبْرُ عَلَى الْأَدَى وَالطَّاعَاتِ مِنْ بَابِ جِهَادِ النَّفْسِ وَقَمْعِهَا عَنْ شَهَوَاتِهَا وَمَنْعِهَا مِنْ تَطَاوُلِهَا وَهُوَ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قَالَ يَحْيَى بْنُ الْيَمَانِ (3)، الصَّبْرُ أَلَّا تَتَمَنَّى حَالَهُ سِوَى مَا رَزَقَكَ اللَّهُ وَالرِّضَا بِمَا قَضَى اللَّهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ وَأَخْرَجَكَ. وَقَالَ الشَّعْبِيُّ قَالَ عَلِيٌّ ؑ الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ قَالَ الطَّبْرِيُّ وَصَدَقَ عَلِيٌّ ؑ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ فَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْعَمَلِ بِجَوَارِحِهِ لَمْ يَسْتَحِقَّ الْإِيمَانَ بِالْإِطْلَاقِ، فَالصَّبْرُ عَلَى الْعَمَلِ بِالشَّرَائِعِ نَظِيرُ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ لِلْإِنْسَانِ الَّذِي لَا تَمَامَ لَهُ إِلَّا بِهِ، وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى جَزَاءَ الْأَعْمَالِ وَجَعَلَ لَهَا نِهَآيَةً وَحَدًّا فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا﴾ [الانعام: 160]، وَجَعَلَ جَزَاءَ الصَّدَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوْقَ هَذَا فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ۝﴾ [البقرة: 261] الآية، وَجَعَلَ أَجْرَ

(1) المراغي، تفسير المراغي (ج1/ 106)

(2) يُنْظَرُ، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ 478)

(3) يحيى بن اليمان العجلي الكوفي، أبو زكريا: حافظ، مفسر، من أهل الكوفة. كان صدوقا ثقة كثير الحفظ، سريعة،

إلا أنه فلج، وتغير حفظه، وغلط فيما يرويه. الزركلي، الأعلام (ج/ 177)

الصَّابِرِينَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَمَدَحَ أَهْلَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43]

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالصَّابِرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10] أَي الصَّائِمُونَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي صَحِيحِ السُّنَّةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ)⁽¹⁾، فَلَمْ يَذْكَرْ ثَوَابًا مُقَدَّرًا كَمَا لَمْ يَذْكَرْهُ فِي الصَّبْرِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.⁽²⁾

5- الصلاة أكبر معين على الثبات:

إِنَّ الصَّلَاةَ مِنْ أَكْبَرَ الْعَوْنِ عَلَى الثَّبَاتِ فِي الْأَمْرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِإِتِّمَامِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [الْعنكبوت: 45]، قَالَ حُدَيْفَةُ يَعْنِي ابْنَ الْيَمَانِ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى"⁽³⁾، إِنْ الصَّلَاةَ صِلَةَ وَلِقَاءَ بَيْنِ الْعَبْدِ وَالرَّبِّ، صِلَةَ يَسْتَمِدُّ مِنْهَا الْقَلْبَ قُوَّةً، وَتَحْسُ فِيهَا الرُّوحَ صِلَةَ وَتَجِدُ فِيهَا النَّفْسَ زَادًا أَنْفَسَ مِنْ أَعْرَاضِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَرَعَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَهُوَ الْوَثِيقُ الصِّلَةَ بِرَبِّهِ الْمَوْصُولُ الرُّوحَ بِالْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ، وَمَا يَزَالُ هَذَا الْيَنْبُوعُ الدَّافِقُ فِي مَتَابِلِ كُلِّ مُؤْمِنٍ يَرِيدُ زَادًا لِلطَّرِيقِ، وَرِيًّا فِي الْهَجِيرِ، وَمُدَدًا حِينَ يَنْقَطِعُ الْمُدَدُ، وَرَصِيدًا حِينَ يَنْفَدُ الرَّصِيدُ.⁽⁴⁾

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِتِّمَامِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [الْعنكبوت: 45]، لِأَنَّ الصَّلَاةَ تَمْنَعُ عَنِ الْإِسْتِعَاغِ بِالدُّنْيَا وَتُخَشِّعُ الْقَلْبَ وَيَحْضُلُ بِسَبَبِهَا تِلَاوَةُ الْكِتَابِ وَالْوُقُوفُ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْأَدَابِ الْجَمِيلَةِ، وَذِكْرُ مَصِيرِ الْخَلْقِ إِلَى دَارِ الثَّوَابِ أَوْ دَارِ الْعِقَابِ رَغْبَةً فِي الْآخِرَةِ وَنُفْرَةً عَنِ الدُّنْيَا فَيَهْوُونَ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَئِذٍ تَرُكُ الرِّيَاسَةَ، وَمَقْطَعَةً عَنِ الْمَخْلُوقِينَ إِلَى قِبَلَةِ خِدْمَةِ الْخَالِقِ وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة: 153] ⁽⁵⁾.

"وفي الصلاة أنواع من العبادات النفسية والبدنية، كالطهارة، وستر العورة، وصرف المال فيهما، والتوجه إلى الكعبة، والعكوف للعبادة، وإظهار الخشوع بالجوارح، وإخلاص النية بالقلب، ومجاهدة الشيطان، ومناجاة الرحمن وقراءة القرآن، وكف النفس عن الأطميين، وفي الصلاة قضاء المآرب وجبر

(1) [البخاري، صحيح البخاري، الصوم/فضل الصوم، 24/3].

(2) يُنظَرُ، الْقُرْطُبِيُّ، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ (ج1/372)

(3) ابْنُ كَثِيرٍ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ (ج1/252)

(4) سَيِّدُ قَطْبٍ، فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ (ج1/69)

(5) الرَّازِيُّ، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ أَوْ التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ (ج3/490)

المصائب، ولذلك كان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وإنها لكبيرة أي: شاقة على النفس لتكريرها في كل يوم، ومجيئها وقت حلاوة النوم، إلا على الخاشعين الذين سكنت حلاوتها في قلوبهم، وتاجوا فيها مع ربهم، حتى صارت فيها فُرّة عينهم" (1).

6- الصلاة شاقة على النفس:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45] ويقول القرطبي اختلف المتأولون في عود الضمير من قوله: "وإنها"، فقيل: على الصلاة وحدها خاصة لأنها تكبر على النفوس ما لا يكبر الصوم والصبر هنا: الصوم فالصلاة فيها سجن النفوس والصوم إنما فيه منع الشهوة فليس من منع شهوة واحدة أو شهوتين كمن منع جميع الشهوات.

فالصائم إنما منع شهوة النساء والطعام والشراب ثم ينبسط في سائر الشهوات من الكلام والمشى والنظر إلى غير ذلك من ملاقة الخلق فيتسلى بتلك الأشياء عما منع. والمصلي يمتنع من جميع ذلك فجوارحه كلها مقيّدة بالصلاة عن جميع الشهوات.

وإذا كان ذلك كانت الصلاة أصعب على النفس ومكابدتها أشدّ فلذلك قال: "وإنها لكبيرة" وقيل: عليهما ولكنه كنى عن الأغلب وهو الصلاة كقوله "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله"

[التوبة: 34]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: 11]، فردّ الكناية إلى الفضة لأنها الأغلب والأعم والى التجارة لأنها الأفضل والأهم وقيل: إن الصبر لما كان داخل في الصلاة أعاد عليها كما قال والله ورسوله أحق أن يرضوه" [التوبة: 62]، ولم يقل: يرضوهما لأن رضا الرسول داخل في رضا الله عز وجل (2)

قوله تعالى: "وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين" مشير إلى التثاقل عنها والتكاسل الجارين في الغالب والأكثر مع ضعف اليقين وقلة الإخلاص وذلك مناسب لحال بنى إسرائيل ممن ذكرت في الآيات قبل ألا ترى قوله تعالى في المنافقين وإنما أكثرهم من يهود: "ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى".

7- اليقين بقاء الله:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 46]

أي ان من صفات الخاشعين اليقين بقاء الله يوم القيامة، وأنهم اليه راجعون اليه بعد النفخ

الثاني في السور ليحاسبهم، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مَلَأْتُ حِسَابِيَةَ﴾ [الحاقة: 20]

خامساً: ربط الآيات بالواقع:

أ- إن قال قائل: كيف تكون الصلاة عوناً للإنسان؟

(1) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (ج1/102)

(2) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن العظيم (ج1/373)

ب- الجواب: تكون عوناً إذا أتى بها على وجه كامل، وهي التي يكون فيها حضور القلب، والقيام بما يجب فيها أما صلاة غالب الناس اليوم فهي صلاة جوارح لا صلاة قلب؛ ولهذا تجد الإنسان من حين أن يكبر يفتح عليه أبواب واسعة عظيمة من الهواجس التي لا فائدة منها؛ ولذلك من حين أن يسلم تتجلي عنه، وتذهب؛ لكن الصلاة الحقيقية التي يشعر الإنسان فيها أنه قائم بين يدي الله، وأنها روضة فيها من كل ثمرات العبادة لا بد أن يسلم بها عن كل هم؛ لأنه اتصل بالله عز وجل الذي هو محبوبه، وأحب شيء إليه؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم "جعلت قرّة عيني في الصلاة" (1)

ت- الإنسان الذي يصلي ليتسلى بها، لكن قلبه مشغول بغيرها فهذا لا تكون الصلاة عوناً له؛ لأنها صلاة ناقصة؛ فيفوت من آثارها بقدر ما نقص فيها، كما قال الله تعالى: ﴿ أَتَلُمَا مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِإِتِّمَامِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: 45]، وكثير من الناس يدخل في الصلاة، ويخرج منها لا يجد أن قلبه تغير من حيث الفحشاء والمنكر هو على ما هو عليه، لا لأن قلبه لذكر، ولا تحول إلى محبة العبادة أنه إذا طالت أحزانك فعليك بالصبر، والصلاة.

ث- أن الأعمال الصالحة شاقة على غير الخاشعين ولا سيما الصلاة.

ج- "أن تحقيق العبادة لله سبحانه وتعالى بالخشوع له مما يسهل العبادة على العبد؛ فكل من كان لله أخشع كان لله أطوع؛ لأن الخشوع خشوع القلب؛ والاختبات إلى الله تعالى، والإنابة إليه تدعو إلى طاعته" (2).

ح- إثبات ملاقاته الله ﷻ؛ لأن الله مدح الذين يوقنون بهذا اللقاء.

خ- إثبات رؤية الله ﷻ، كما ذهب إليه كثير من العلماء؛ لأن اللقاء لا يكون إلا مع المقابلة، وهذا يعني ثبوت الرؤية؛ فإن استقام الاستدلال بهذه الآية على رؤية الله فهذا مطلوب؛ وإن لم يستقم الاستدلال فتم أدلة أخرى كثيرة تدل على ثبوت رؤية الله عز وجل يوم القيامة.

د- أن هؤلاء المؤمنين يوقنون أنهم راجعون إلى الله في جميع أمورهم؛ وهذا يستلزم أموراً:

- الخوف من الله؛ لأنك ما دمت تعلم أنك راجع إلى الله، فسوف تخاف منه.

- مراقبة الله عز وجل، المراقبة في الجوارح، والخوف في القلب؛ يعني أنهم إذا علموا أنهم سيرجعون إلى الله، فسوف يخشونه في السر، والعلانية.

- الحياء منه؛ فلا يفقدك حيث أمرك، ولا يجدهك حيث نهاك (3).

(1) [أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مسند أنس بن مالك ﷺ، 305/19: رقم الحديث 12293]، حكم الالباني صحيح

(2) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 167)

(3) ينظر، ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 167)

المطلب الثالث: التذكير بنعمة الله على بني إسرائيل وتخويفهم من يوم القيامة

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 47 -

[48

أولاً: معاني المفردات:

عَلَى الْعَالَمِينَ: أي على عالمي زمانهم

لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا: أي لا تُغْنِي نفس عن نفس أخرى، أي عنها ما دامت كافرة.

وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ: على فرض أنها تقدمت بِعَدْلٍ وهو الفداء فإنه لا يُؤخذ منها⁽¹⁾.

وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ: يدفع العذاب عنهم⁽²⁾.

ثانياً: البلاغة:

{وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} "هو من باب عطف الخاص على العام لبيان الكمال، لأن النعمة اندرج تحتها التفضيل المذكور، فلما قال {اذكروا نِعْمَتِي}، عمّ جميع النعم فلما عطف {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ} كان من باب عطف الخاص على العام.

{واتقوا يَوْمًا} التذكير للتهويل أي يوماً شديداً الهول، وتذكير النفس {نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ} ليفيد العموم والاقنات الكلي " (3)

ثالثاً: القراءات:

"وَلَا يُقْبَلُ" قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو "نُقْبَلُ" بِالتَّاءِ لِأَنَّ الشَّفَاعَةَ مُؤَنَّنَةٌ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْيَاءِ عَلَى التَّنْكِيرِ لِأَنَّهَا بِمَعْنَى الشَّفِيعِ" (4).

رابعاً: المناسبة:

ولما كان الغالب على أكثر الناس الجمود كرر النداء لهم مبالغة في اللطف بهم إثر الترجية والتخويف فقال: {يا بني إسرائيل} أي الذي أكرمته وأكرمت ذريته من بعده بأنواع الكرامة {اذكروا نعمتي}، وفخم أمرها بقوله: {التي أنعمت عليكم} أي بإنزال الكتب وإرسال الرسل وغير ذلك {وإني فضلتكم} والتفضيل الزيادة من خطوة جانب القرب والرفعة فيما يقبل الزيادة والنقصان منه⁽⁵⁾.

(1) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 47)

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 52)

(3) الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 48)

(4) السمرقندي، بحر العلوم (ج1/ 50)

(5) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج1/ 345)

خامساً: المعنى الإجمالي:

"يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت بها عليكم، من إخراجكم من ظلم فرعون وهدايتكم وتمكينكم في الأرض بعد أن كنتم مستضعفين فيها، واشكروا واهبها بطاعتكم له، واذكروا أنني أعطيت آباءكم الذين انحدرتم منهم ما لم أعطه أحداً من معاصريكم، والخطاب لجنس اليهود وموجه كذلك للمعاصرين للرسول ﷺ" (1)، "وخافوا يوم القيامة، يوم لا يغني أحد عن أحد شيئاً، ولا يقبل الله شفاعة في الكافرين، ولا يقبل منهم فدية، ولو كانت أموال الأرض جميعاً، ولا يملك أحد في هذا اليوم أن يتقدم لنصرتهم وإنقاذهم من العذاب" (2).

سادساً: مقاصد وأهداف الآيات.

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- من نعم الله على بني إسرائيل:

أ- أن الله جعل فيهم أنبياء وجعلهم ملوكاً قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَرْجُوا يَوْمَ نَعْمَةٍ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة: 20].

ب- تفضيل بني إسرائيل على جميع أمم عصرهم وفي تلك الأمم أمم عظيمة كالعرب والفرس والروم والهند والصين وفيهم العلماء والحكماء ودعاة الإصلاح والأنبياء، لأنه تفضيل المجموع على المجموع في جميع العصور، ومعنى هذا التفضيل أن الله قد جمع لهم من المحامد التي تنصف بها القبائل والأمم ما لم يجمعه لغيرهم وهي شرف النسب وكمال الخلق وسلامة العقيدة وسعة الشريعة والحرية والشجاعة، وعناية الله تعالى بهم في سائر أحوالهم، وقد أشارت إلى هذا آية: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَرْجُوا يَوْمَ نَعْمَةٍ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة: 20]، وهذه الأوصاف ثبتت لأسلافهم في وقت اجتماعها وقد شاع أن الفضائل تعود على الخلف بحسن السمعة وإن كان المخاطبون يومئذ لم يكونوا بحال التفضيل على العالمين ولكنهم ذكروا بما كانوا عليه فإن فضائل الأمم لا يلاحظ فيها الأفراد ولا العصور، ووجه زيادة الوصف بقوله: التي أنعمت عليكم مر في أختها الأولى (3).

(1) لجنة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص12)

(2) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/7)

(3) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/484)

ت- ليس التفضيل لذواتهم إنما الفضل الذي اختصهم الله تعالى به في جيلهم أنه جيل فيهم أنبياء، ودعاهم أولئك الأنبياء إلى التوحيد لله سبحانه وتعالى، فقد كانوا موحدين كما دعاهم موسى ومن جاء بعده من الأنبياء في وسط وثنيين، فكان كل من حولهم وثنيين؛ فالمصريون وثنيون يعبدون الشمس ومن دونها، والفرس يعبدون النيران، والروم يعبدون الأوثان، واليونان من قبلهم على شاكلتهم، والبابليون يعبدون الكواكب، وهكذا كان جيلهم الأول جيل موسى، وحين نزول التوراة على موسى، اختارهم الله تعالى أن يكونوا قوم موسى، وأن يكون التوحيد فيهم، وكان مقامهم يمكنهم من أن يدعوا إلى التوحيد؛ لأنهم كان مقامهم في وسط تلك الأراضي التي كان يسكنها الوثنيون.

ث- وإن ذلك التفضيل نعمة أنعم الله تعالى بها عليهم، وأنها توجب شكراً، وتحملهم تكليفاً، أما الشكر فلأن شكر النعم واجب بحكم العقل، وبحكم التكليف الإلهي وقد كفروا بأنعم الله تعالى، وأما التكليف الذي حملوه فهو الدعوة إلى الوحدانية ولم يقوموا بحققها، بل إنهم اعتبروا اليهودية جنساً، ومن دخل معهم في ديانة موسى عليه السلام من غيرهم كالسامرة لم يعترفوا به (1).

2- فضل أمة محمد ﷺ على كل الأمم:

أ- لا يعارض قوله تعالى في تفضيل هذه الأمة قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَوْءَ مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: 110]، لأن المراد بالعالمين عالم زمانهم بدليل الآيات والأحاديث المصرحة، بأن هذه الأمة أفضل منهم كحديث معاوية بن حيدة القشيري في المسانيد والسنة قال: "قال رسول الله ﷺ: أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها، وأكرمها على الله" (2).

ب- "ألا ترى أن الله جعل المقتصد منهم هو أعلاهم منزلة حيث قال تعالى: ﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: 66]، وجعل في هذه الأمة درجة أعلى من درجة المقتصدة وهي درجة السابق بالخيرات حيث قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِيهِمْ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: 32]" (3).

3- الشفاعة حق:

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج1/ 222)

(2) [ابن ماجة، سنن بن ماجة، باب فضل أمة محمد ﷺ، 2/1433: 4288]، [حكم الألباني، حسن]

(3) الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص21)

أ- "مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ وَأَنْكَرَهَا الْمُعْتَرِلَةُ وَخَلَدُوا الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُذْنِبِينَ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ فِي الْعَذَابِ، وَالْأَخْبَارُ مُتَّظَاهِرَةٌ بِأَنَّ مَنْ كَانَ مِنَ الْعُصَاةِ الْمُذْنِبِينَ الْمُؤَحَّدِينَ مِنْ أُمَّمِ النَّبِيِّينَ هُمْ الَّذِينَ تَنَالَهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَقَدْ تَمَسَّكَ الْقَاضِي عَلَيْهِمْ فِي الرَّدِّ بِشَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا الْأَخْبَارُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي تَوَاتَرَتْ فِي الْمَعْنَى، وَالثَّانِي الْإِجْمَاعُ مِنَ السَّلَفِ عَلَى تَلَقِّي هَذِهِ الْأَخْبَارِ بِالْقَبُولِ وَلَمْ يَبِدْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ فِي عَصْرِ مِنَ الْعُصُورِ نَكِيرٌ فَظُهُورُ رِوَايَتِهَا وَإِطْبَاقُهُمْ عَلَى صِحَّتِهَا وَقَبُولُهُمْ لَهَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى صِحَّةِ عَقِيدَةِ أَهْلِ الْحَقِّ وَفَسَادِ دِينِ الْمُعْتَرِلَةِ" (1).

ب- وقد أثبتت الشفاعة في غير آية، قيل: هذا رد على اليهود فيما ادعوه حيث قالوا: نحن أبناء الأنبياء وهم يشفعون لنا وإن ارتكبنا (ما ارتكبنا)، فنبه على أنه ليس لهم شفاعة كما قال: تَعَالَى: ﴿يَوْمَذِي لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: 109]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ أَرْضَى وَهُمْ﴾ [الأنبياء: 28]، والضمير من قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ راجع إلى النفس الأولى وقيل أنه راجع إلى الثانية، وفي قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ راجع إلى الثانية لا محالة (2).

ت- "والشفاعة المرفوضة هي شفاعة الكافرين، فقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى: وَأَنْتُمْ يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ هي النفس الكافرة، لا كل نفس، أما المؤمنون فتنفعهم الشفاعة بإذن الله، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ أَرْضَى وَهُمْ﴾ [الأنبياء: 28] والفاسق غير مرتضى، وقوله: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: 23] وليس في الشفاعة رجوع المولى عن إرادته لأجل الشافع، وإنما هي إظهار كرامة للشافع بتنفيذ ما أَرَادَهُ اللهُ أَزْلاً عَقِبَ دَعَاءِ الشَّافِعِ، وَالشَّفَاعَةُ دَعَاءٌ. وليس في إثبات شفاعة مسوغ لمغتر يتهاون بأوامر الدين ونواهيهِ اعتمادا على الشفاعة، فلا ينفع أحدا في الآخرة إلا طاعة الله ورضاه" (3).

ث- "أَنَّ فِي الْآيَةِ أَعْظَمَ تَحْذِيرٍ عَنِ الْمَعَاصِي وَأَقْوَى تَرْغِيبٍ فِي تَلَافِي الْإِنْسَانِ مَا يَكُونُ مِنْهُ مِنَ الْمُعْصِيَةِ بِالتَّوْبَةِ لِأَنَّهُ إِذَا تَصَوَّرَ أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ اسْتِدْرَاكٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَلَا نُصْرَةٌ وَلَا فِدْيَةٌ عَلِمَ أَنَّهُ لَا خَلَاصَ لَهُ إِلَّا بِالطَّاعَةِ، فَإِذَا كَانَ لَا يَأْمَنُ كُلَّ سَاعَةٍ مِنَ النَّقْصِيرِ فِي الْعِبَادَةِ، وَمَنْ قَوَّتِ التَّوْبَةَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يَقِينُ لَهُ فِي الْبَقَاءِ صَارَ حَذِرًا خَائِفًا فِي كُلِّ حَالٍ، وَالْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 378)

(2) الراغب الاصفهاني، تفسير الراغب الاصفهاني (ج1/ 182)

(3) ينظر، الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 157-158)

فَهِيَ فِي الْمَعْنَى مُخَاطَبَةٌ لِلْكَلِّ لِأَنَّ الْوُصْفَ الَّذِي ذُكِرَ فِيهَا وَصِفَتْ لِلْيَوْمِ وَذَلِكَ يَعْنِي كُلَّ مَنْ يَحْضُرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ" (1).

ج- ولما كان اليهود يعتقدون أنهم شعب مميز، وأن نسبتهم إلى الأنبياء ستجعلهم في مأمن من العقاب رغم عصيانهم وفسوقهم، وأن آباءهم سيشفعون لهم، لما كانوا كذلك جاءت هذه الآية الكريمة لتبطل ما اعتقدوه، وتقطع ما أملوه، ولتنتقض كل ما يحتمل أن يكون وسيلة للنجاة يوم القيامة سوى الإيمان والعمل الصالح، فقد نفت الآية الكريمة وجود من ينوب عنهم بقولها لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً، ونفت انتفاعهم بشفاعاة الشافعين يوم الحساب بقولها (ولا يقبل منها شفاعاة)، ونفت قبول البدل أو الفداء عما ارتكبه من خطايا بقولها وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ، ونفت وجود من ينتصر لهم أو يدافع عنهم بقولها وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ، وهكذا سدت عليهم الآية الكريمة كل منفذ يتوهمون نجاتهم من عذاب الله بسببه، ما داموا مصرين على كفرهم وجحودهم (2).

العوام خَوْفَهُمْ بِأَفْعَالِهِ فَقَالَ: وَأَنْتُمْ يَوْمًا، وَأَنْتُمْ النَّارَ، وَالْخَوَاصِ خَوْفَهُمْ بِصِفَاتِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ۝﴾ [التوبة: 105]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۝﴾ [يونس: 61]، وَخَاصِ الْخَاصِ خَوْفَهُمْ بِنَفْسِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ لِنَفْسِهِ ۝﴾ [آل عمران: 28] (3).

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ: {وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} "يَعْنِي: إِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لَا يَنْصُرُهُمْ نَاصِرٌ، كَمَا لَا يَشْفَعُ لَهُمْ شَافِعٌ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ عَدْلٌ وَلَا فِذْيَةٌ، بَطَلَتْ هُنَالِكَ الْمُحَابَاةَ وَأَضْمَحَلَّتِ الرَّشَى وَالشَّفَاعَاتُ، وَارْتَفَعَ مِنَ الْقَوْمِ التَّعَاوُنُ وَالتَّنَاصُرُ، وَصَارَ الْحُكْمُ إِلَى عَدْلِ الْجَبَّارِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ لَدَيْهِ الشَّفَعَاءُ وَالنُّصْرَاءُ، فَيَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا وَبِالْحَسَنَةِ أَضْعَافَهَا" وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ۝﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿۱۵﴾ بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مَسْتَسْأِمُونَ ﴿۱۶﴾ [الصفافات: 24-26] (4).

سابعاً: ربط الآيات بالواقع:

أن الله فضل بني إسرائيل على زمانهم لكنهم لم يلتزموا بأمر الله وخالفوا شرعه وحرفوا كتبه وبناء عليه انتهت الخيرية ببعثة النبي ﷺ ولكن الخيرية مشروطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحكيم شرع الله وإقامة العدل ونشر هذا الدين كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

(1) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/495)

(2) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط (ج1/120)

(3) القشيري، لطائف الإشارات (ج1/88)

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/257)

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴿آل عمران: 110﴾، وسيستمر الفضل لامة محمد ﷺ حتى يوم القيامة ولكن ان لم تقم الأمة بواجباتها تجاه دينها في زمان من الازمان فان الله ﷻ سيغيرهم ويستبدل قوما غيرهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: 38]

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (49-59)

المطلب الأول: نهاية الظالم حتمية ونصر المظلوم محتوم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ البقرة: [49 - 50]

أولاً: معاني المفردات:

نَجَّيْنَاكُمْ: النجاة الخالص من الهلكة، كالخلاص من العرق والخلص من العذاب.

آلِ فِرْعَوْنَ: أتباع فرعون، ملك مصر على عهد موسى ﷺ.

يَسُومُونَكُمْ: يَبْغُونَكم سوء العذاب وهو أشده وأفظعه ويُذَيِّقُونكم إيَّاه.

يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ: يتركون ذبح البنات ليكبُرَنَّ لِلْخِدْمَةِ.

بلاء: أي النجاة من فرعون، بلاء: إما بمعنى النعمة العظيمة، أو بمعنى الاختبار ليُعْلَمَ مَنْ يَشْكُرُ (1).

فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ: صيرناه فرقتين، وما بينهما يبس لا ماء فيه لتسلكوه فتنجوا، والبحر هو: بحر القلزم (الأحمر) (2).

ثانياً: البلاغة:

يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ استعارة من السوم في البيع. بلاءً وعظيماً التكرير فيهما للتخيم والتهويل (3).

التنكير في كل من {بلاء} و {عظيم} للتخيم والتهويل (4).

ثالثاً: القراءات:

"قَرَأَ الْجُمُهورُ" يُذَبِّحُونَ" بِالتَّشْدِيدِ عَلَى المبالغة وقرأ ابن محيصن " يذبحون" بالتخفيف والاولى أَرْجَحُ إِذِ الذَّبْحُ مُتَكَرِّرٌ" (5).

(1) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 49)

(2) الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 54)

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 159)

(4) الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 50)

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 368)

رابعاً: المناسبة:

"ولما وصف ذلك اليوم بأنه لا ينفع فيه حيلة لذي ملكة المتردي بالكبرياء المتجلل بالعظمة ذكرهم بما أنعم عليهم من إنجائهم لهم بموسى وهارون عليهما السلام حيث شفعا عند الملك الذي كان استعبدهم وسامهم سوء العذاب، فلما لم يشفعهما فيهم قاهراه فانتصرا عليه بأيدي ملكهم واستنقاذهم منه بسطوة معبودهم" (1)

خامساً: المعنى الإجمالي:

"واذكروا نعمتنا عليكم حين أنقذناكم من بطش فرعون وأتباعه، وهم يذيقونكم أشدَّ العذاب، فيكثرون من دَبْح أبنائكم، ويستبقون نساءكم للخدمة والامتهان. وفي ذلك اختبار لكم من ربكم، وفي إنجائكم منه نعمة عظيمة، تستوجب شكر الله تعالى في كل عصوركم وأجيالكم" (2). "واذكروا كذلك من نعم الله عليكم حين شققنا لكم ومن أجلكم البحر - وفصلنا ماءه بعضه عن بعض لتسيروا فيه - ففتخلصوا من ملاحقة فرعون وجنوده، وبفضلنا نجوتهم، وانتقمنا لكم من عدوكم، فأغرقناهم أمام أبصاركم، فأنتم ترونهم وهم يغرقون والبحر ينطبق عليهم عقب خروجكم منه" (3).

سادساً: مقاصد وأهداف الآيات.

وتظهر هذ المقاصد والاهداف من خلال النقاط التالية:

1- ذكر الله ﷻ نهاية الظلم ونصر المظلومين في كثير من الآيات ومنها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٦) الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٩﴾ [الحج: 39 - 40]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَرُسُلِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21]، ونهاية فرعون وجنوده في العديد من الصور قَالَ تَعَالَى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (٣٧) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٧٧﴾ [الأعراف: 136 - 137]

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج 1/ 353)

(2) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج 1/ 8)

(3) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص 13)

روى ابن أبي حاتم عن عمرو بن ميمون الأودي في قوله: وَأَذِ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ إِلَى قَوْلِهِ تَنْظُرُونَ قَالَ: "لَمَّا خَرَجَ مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، بَلَغَ ذَلِكَ فِرْعَوْنَ فَقَالَ: لَا تَتَّبِعُوهُمْ حَتَّى يَصِيحَ الدِّيكُ، قَالَ فَوَاللَّهِ مَا صَاحَ لَيْلَتَيْدِي دَيْكٌ حَتَّى أَصْبَحُوا، فَدَعَا بِشَاةٍ فُدْبِحَتْ ثُمَّ قَالَ: لَا أَفْرَعُ مِنْ كَيْدِهَا حَتَّى يَجْتَمَعَ إِلَيَّ سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الْقِبْطِ، فَلَمْ يَفْرَعْ حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الْقِبْطِ، ثُمَّ سَارَ فَلَمَّا أَتَى مُوسَى قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ يُوشَعَ بَنُ نُونٍ: أَيَنْ أَمَرَ رَبُّكَ يَا مُوسَى؟ قَالَ: أَمَامَكَ يُشِيرُ إِلَى النَّحْرِ، فَاقْتَحَمَ يُوشَعُ فَرَسَهُ فِي النَّحْرِ حَتَّى بَلَغَ الْعَمْرَ فَذَهَبَ بِهِ الْعَمْرُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: أَيَنْ أَمَرَ رَبُّكَ يَا مُوسَى، فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كَذَّبْتُ فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَضْرِبُهُ فَاثْقَلْ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ. يَقُولُ مِثْلُ الْجَبَلِ، ثُمَّ سَارَ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ فِي طَرِيقِهِمْ حَتَّى إِذَا تَنَامُوا فِيهِ أَطْبَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَلِذَلِكَ قَالَ أَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ" (1)

ويقول سيد قطب رحمه الله: "وقبل أن يعرض مشهد النجاة يعقب بأن ذلك التعذيب كان فيه بلاء من ربهم عظيم، ليلقي في حسهم - وحس كل من يصادف شدة - أن إصابة العباد بالشدة هي امتحان وبلاء، واختبار وفتنة، وأن الذي يستيقظ لهذه الحقيقة يفيد من الشدة، ويعتبر بالبلاء، ويكسب من ورائها حين يستيقظ، والألم لا يذهب ضياعاً إذا أدرك صاحبه أنه يمر بفترة امتحان لها ما بعدها إن أحسن الانتفاع بها، والألم يهون على النفس حين تعيش بهذا التصور وحين تدخر ما في التجربة المؤلمة من زاد للدنيا بالخبرة والمعرفة والصبر والاحتمال، ومن زاد للآخرة باحتسابها عند الله، وبالتضرع لله و بانتظار الفرج من عنده وعدم اليأس من رحمته، ومن ثم هذا التعقيب الموحى: وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ" (2).

2- سَبَبُ قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ :

عن ابن عباس قال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم خليله أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً وائتمروا، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلاً معهما الشفأراً (3)، يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه، ففعلوا. فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بأجالهم، وأن الصغار يذبحون، قال: توشكون أن تقنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما

(1) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم (ج1/ 107)

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 70)

(3) الشفار جمع شفرة: وهي السكين العريضة العظيمة الحديدية، تمتهن في قطع اللحم وغيره. الطبري، جامع البيان في

تأويل القرآن (ج2/ 42)، أساس البلاغة (1/ 512)، وسيف خليل الشفرة. وسيوف كليله الشفار. وشخذ الجزار شفرته

وشفاره، الزمخشري، أساس البلاغة، (ج1/ 512)

كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فقتل أبناؤهم؛ ودعوا عاما. فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان القابل حملت بموسى (1).

3- أَنْ ذَبَحَ الذُّكُورَ دُونَ الْإِنَاثِ مَضْرَّةً مِنْ وُجُوهٍ:

- أ- أَنْ ذَبَحَ الْأَبْنَاءَ يَفْتَضِي فَنَاءَ الرِّجَالِ، وَذَلِكَ يَفْتَضِي انْقِطَاعَ النَّسْلِ، لِأَنَّ النِّسَاءَ إِذَا انْفَرَدْنَ فَلَا تَأْثِيرَ لهنَّ أَلْبَتَةَ فِي ذَلِكَ، وَذَلِكَ يَفْضِي آخِرَ الْأَمْرِ إِلَى هَلَاكِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.
- ب- أَنَّ هَلَاكَ الرِّجَالِ يَفْتَضِي فَسَادَ مَصَالِحِ النِّسَاءِ فِي أَمْرِ الْمَعِيشَةِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ لِتَتَمَتَّى وَقَدْ انْقَطَعَ عَنْهَا تَعَهُدُ الرِّجَالِ وَقِيَامُهُمْ بِأَمْرِهَا الْمَوْتِ، لِمَا قَدْ يَفْعُ إِلَيْهَا مِنْ نَكْدِ الْعَيْشِ بِالْإِنْفِرَادِ فَصَارَتْ هَذِهِ الْخِصْلَةُ عَظِيمَةً فِي الْمَحَنِ، وَالنَّجَاةُ مِنْهَا فِي الْعِظَمِ تَكُونُ بِحَسَبِهَا.
- ت- أَنَّ قَتْلَ الْوَالِدِ عَقِيبَ الْحَمْلِ الطَّوِيلِ وَتَحْمِلِ الْكَدِّ وَالرَّجَاءِ الْقَوِيِّ فِي الْإِنْتِقَاعِ بِالْمَوْلُودِ مِنْ أَعْظَمِ الْعَذَابِ، لِأَنَّ قَتْلَهُ وَالْحَالَةَ هَذِهِ أَشَدُّ مِنْ قَتْلِ مَنْ بَقِيَ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ مُسْتَمْتِعًا بِهِ مَسْرُورًا بِأَحْوَالِهِ، فَنِعْمَةُ اللَّهِ مِنَ التَّخْلِيفِ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ شِدَّةِ الْمِحْنَةِ فِيهِ.
- ث- أَنَّ الْأَبْنَاءَ أَحَبُّ إِلَى الْوَالِدِينَ مِنَ الْبَنَاتِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَسْتَنْقِلُونَ الْبَنَاتِ وَيَكْرَهُونَهُنَّ وَإِنْ كَثُرَ ذُكْرَانُهُمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيَسْكُرُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: 58 - 59]، وَلِذَلِكَ نَهَى الْعَرَبَ عَنِ الْوَادِ بِقَوْلِهِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: 31]، وَإِنَّمَا كَانُوا يَبْذُونَ الْإِنَاثَ دُونَ الذُّكُورِ.
- ج- أَنَّ بَقَاءَ النِّسَوَانِ بِدُونَ الذُّكْرَانِ يُوجِبُ صَيْرُورَتَهُنَّ مُسْتَفْرَشَاتِ الْأَعْدَاءِ وَذَلِكَ نِهَايَةُ الدُّنْجِ وَالْهَوَانِ (2).

4- الْعَذَابُ وَالْفِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ:

(أَلِ فِرْعَوْنَ) وَلَمْ يَقُلْ أَنْجَاكُم مِنَ فِرْعَوْنَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ آلَهُ شَيْعَتَهُ وَنَصْرَاؤُهُ وَأَعْوَانَهُ، وَطِغَاةَ الدُّنْيَا يَكُونُ شَرَّهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَوْلَىٰ، وَمِنْ حَاشِيَتِهِمُ الَّذِينَ يَحْطُونَ عَلَىٰ أَهْوَائِهِمْ ثَانِيًا، فَيَزِينُونَ لَهُمْ ظَلْمَهُمْ، وَيَسْمُونَهُ عَدْلًا وَيَبِينُونَ لَهُ وَجْهَ الْكَيْدِ، وَيَمَكُرُونَ مَكْرَهُمْ، فَلَوْلَا بَطَانَةُ السُّوءِ مَا كَانَ السُّوءُ، وَلَوْلَا حَاشِيَةُ فَسَاقِ

(1) الطبري، جامع البيان في تأوي القرآن (ج2/42)

(2) يُنظَرُ، الرَّازِي، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ أَوْ التَّسْطِيرُ الْكَبِيرُ (ج3/505)

الحكام ما استمكنوا، وما طغوا في البلاد، وكلمة حق من حاشيتهم تقيم عدلاً، وتدفع ظلماً، لذلك عبر بآل فرعون، لأنه لم يستمكن وحده من الظلم (1).

وقوله تعالى: {وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} في هذه الآية لم يتحدث الحق ﷻ عن فرعون، وإنما تحدث عن إغراق آل فرعون لماذا؟ لأن آل فرعون هم الذين أعانوه على جبروته وبطشه وطغيانه، هم الأداة التي استخدمها لتعذيب بني إسرائيل، والله ﷻ أراد أن يرى بنو إسرائيل آل فرعون وهم يغرقون فوقوا يشاهدونهم، وأنت حين ترى مصرع عدوك، تشعر بالمرارة التي في قلبك تزول، {وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} تحتل معنى آخر، أي ينظر بعضكم إلى بعض وأنتم غير مصدقين أنكم نجوتم من هذا البلاء العظيم، وفي نفس الوقت تطمئنون وأنتم تشاهدونهم وهم يغرقون دون أن ينجو منهم أحد حتى لا يدخل في قلوبكم الشك، أنه ربما نجى بعضهم وسيعودون بجيش ليتبعوكم (2).

5- الْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ مِنْ وَجْهِ:

- أ- أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا كَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُمْتَحَنُ بِهِ النَّاسُ مِنْ جِهَةِ الْمُلُوكِ وَالظُّلْمَةِ صَارَ تَخْلِيصُ اللَّهِ إِيَّاهُمْ مِنْ هَذِهِ الْمِحْنِ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ عَانُوا هَلَكَ مَنْ حَاوَلَ إِهْلَاكَهُمْ وَشَاهَدُوا ذَلِكَ مَنْ بَالَعَ فِي إِذْلَالِهِمْ وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ وَتَعْظِيمِ النِّعْمَةِ يُوجِبُ الْإِنْتِقَادَ وَالطَّاعَةَ، وَيَقْتَضِي نَهَايَةَ قُبْحِ الْمُخَالَفَةِ وَالْمُعَانَدَةِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ مُبَالَغَةً فِي الْإِزَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَقَطْعًا لِعُدْرِهِمْ.
- ب- أَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي نَهَايَةِ الدَّلِّ وَكَانَ خَصْمُهُمْ فِي نَهَايَةِ الْعِزِّ إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا مُحَقِّقِينَ وَكَانَ خَصْمُهُمْ مُبْطِلًا لَا جَرَمَ زَالَ ذَلِكَ الْمُحَقِّقِينَ وَبَطَلَ عِزُّ الْمُبْطِلِينَ، فَكَانَتْ تَعَالَى قَالَ: لَا تَعْتَرُوا بِفَقْرٍ مُحَمَّدٍ وَقَلَّةِ أَنْصَارِهِ فِي الْحَالِ، فَإِنَّهُ مُحَقٌّ لَا بُدَّ وَأَنْ يَنْقَلِبَ الْعِزُّ إِلَى جَانِبِهِ وَالذُّلُّ إِلَى جَانِبِ أَعْدَائِهِ.
- ت- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمُلْكَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَغْتَرَّ بِعِزِّ الدُّنْيَا بَلْ عَلَيْهِ السَّعْيُ فِي طَلَبِ عِزِّ الْآخِرَةِ (3).

6- الغرق من أصعب الموت:

لما كان الغرق من أخطر طرق الموت وأعظمها شدة- ولهذا كان الغريق المسلم شهيداً- جعله الله تعالى نكالا لمن ادعى الربوبية وقال أنا ربكم الأعلى وعلى قدر الذنب يكون العقاب ويناسب دعوى الربوبية، والاعتلاء انحطاط المدعى وتغييبه في قعر الماء، ولك أن تقول لما افتخر فرعون بالماء كما يشير إليه قوله تعالى حكاية عنه: {الَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي} [الزخرف: 51]،

(1) أبو زهرة، زهرة التفسير (ج1/ 225)

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 331)

(3) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 507)

جعل الله تعالى هلاكه بالماء وللتابع حظ وافر من المتبوع وكان ذلك الغرق، والإنجاء، والإغراق يوم عاشوراء" (1).

7- نِعَمُ الدُّنْيَا فِي حَقِّ مُوسَى ﷺ فَهِيَ مِنْ وُجُوهِ:

- أ- أَنَّهُمْ لَمَّا وَقَعُوا فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ الَّذِي مِنْ وَرَائِهِمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ وَقُدَّامِهِمُ الْبَحْرُ، فَإِنْ تَوَقَّفُوا أَدْرَكَهُمُ الْعَدُوُّ وَأَهْلَكَهُمْ بِأَشَدِّ الْعَذَابِ وَإِنْ سَارُوا غَرِقُوا فَلَا خَوْفَ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ نَجَّاهُمْ بِفَلْقِ الْبَحْرِ فَلَا فَرْجَ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ.
- ب- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَصَّهْمُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ وَالْمُعْجَزَةِ الْبَاهِرَةِ، وَذَلِكَ سَبَبٌ لِظُهُورِ كِرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.
- ت- أَنَّهُمْ شَاهَدُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَهْلَكَ أَعْدَاءَهُمْ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْخَلَاصَ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْبَلَاءِ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ، فَكَيْفَ إِذَا حَصَلَ مَعَهُ ذَلِكَ الْإِكْرَامُ الْعَظِيمُ وَإِهْلَاكُ الْعَدُوِّ.
- ث- أَنَّ اللَّهَ أَوْزَنَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَنِعْمَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.
- ج- أَنَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ فَقَدْ خَلَّصَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَنَّهُ كَانَ خَائِفًا مِنْهُمْ، وَلَوْ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَّصَ مُوسَى وَقَوْمَهُ مِنْ تِلْكَ الْوَرُطَةِ وَمَا أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ لَكَانَ الْخَوْفُ بَاقِيًا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ رَبَّمَا اجْتَمَعُوا وَاحْتَالُوا بِحِيلَةٍ وَقَصَدُوا إِيْدَاءَ مُوسَى ﷺ وَقَوْمِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَغْرَقَهُمْ فَقَدْ حَسَمَ مَادَّةَ الْخَوْفِ بِالْكُلِّيَّةِ.
- ح- أَنَّهُ وَقَعَ ذَلِكَ الْإِغْرَاقُ بِمُخَضَّرٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (2).

8- العبرة من ذكر هذه القصة لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ:

- أ- أَنَّهُ كَالْحُجَّةِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ لِأَنَّهُ كَانَ مَعْلُومًا مِنْ حَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ كَانَ أُمِّيًّا لَمْ يَقْرَأْ وَلَمْ يَكْتُبْ وَلَمْ يَخَالِطْ أَهْلَ الْكِتَابِ فَإِذَا أُوْرِدَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْبَابِهِمُ الْمُفْصَلَةَ مَا لَا يُعْلَمُ إِلَّا مِنَ الْكُتُبِ عَلِمُوا أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنِ الْوَحْيِ وَأَنَّهُ صَادِقٌ، فَصَارَ ذَلِكَ حُجَّةً لَهُ ﷺ عَلَى الْيَهُودِ وَحُجَّةً لَنَا فِي تَصَدِيقِهِ.
- ب- أَنَّهُ إِذَا تَصَوَّرْنَا مَا جَرَى لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ عَلِمْنَا أَنَّ مَنْ خَالَفَ اللَّهَ شَقِيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ سَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَصَارَ ذَلِكَ مُرَغِبًا لَنَا فِي الطَّاعَةِ وَمُنْقِرًا عَنِ الْمَعْصِيَةِ.
- ت- أَنَّ أُمَّةَ مُوسَى ﷺ مَعَ أَنَّهُمْ حُصُّوا بِهَذِهِ الْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْبَاهِرَةِ، فَقَدْ خَالَفُوا مُوسَى ﷺ فِي أُمُورٍ حَتَّى قَالُوا: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف: 138]، وَأَمَّا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمَعَ أَنَّ مَعْجَزَتَهُمْ هِيَ الْقُرْآنُ الَّذِي لَا يُعْرَفُ كَوْنُهُ مُعْجَزًا إِلَّا بِالِدَّلَائِلِ الدَّقِيقَةِ انْقَادُوا

(1) الألويسي، روح المعاني (ج1/ 257)

(2) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 508-509)

لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا خَالَفُوهُ فِي أَمْرِ الْبَيْتَةِ، وَهَذَا يُدُلُّ عَلَى أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ أُمَّةِ مُوسَى
ﷺ (1).

سابعاً: ربط الآيات بالواقع:

أ- "لكل ظالم عات باغ نهاية حتمية، كنهاية فرعون بالإغراق في البحر، وللمظلوم فرج قريب ونصر محقق، كإنجاء بني إسرائيل المظلومين من يد فرعون وآله، وكان الإنجاء عيداً، مستوجباً شكر الإله، وصار يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من شهر المحرم يوم صيام الشكر" (2).

ب- روى مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ "قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه" (3)، قال الترمذي: وروي عن ابن عباس أنه قال: صوموا التاسع والعاشر، وخالفوا اليهود.

ت- والعبرة من هذه القصص: أنه كما أنعم على اليهود، ثم اجترحوا الآثام، فعاقبهم بصنوف البلاء، ثم تاب عليهم وأنجاهم أنعم على الأمة الإسلامية بضروب من النعم، فقد كانوا أعداء، فألّف بين قلوبهم، وأصبحوا بنعمته إخواناً، وكانوا مستضعفين في الأرض، فمكّن لهم وأورثهم أرض الشعوب القوية، وجعل لهم فيها السلطان والقوة، وجعلهم أمة وسطاً لا تقريظ لديها ولا إفراط، ليكونوا شهداء على من فرطوا، أو قصروا، ثم لما كفروا بهذه النعم، أذاقهم الله تعالى ألواناً من العذاب على يد التتار في بغداد، وفي الحروب الصليبية، إذ جاس الغربيون خلال الديار الإسلامية، ولا يزالون يئنقسون بلادهم من أطرافها، ويصبون عليهم العذاب، وهم لاهون ساهون، وكلما حلت كارثة، أو أصابتهم جائحة، أحوالوا الأمر فيها على القضاء والقدر، دون أن يتعرفوا أسبابها، ويبادروا إلى علاجها، ويكونوا يدا واحدة على رفع ما يحل بهم من النكبات، ويدهمهم من الويلات (4).

المطلب الثاني: نعم الله على بني إسرائيل

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: 51 - 53]

(1) ينظر، الرازي، المرجع السابق، (ج3/ 509)

(2) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 163)

(3) [مسلم، صحيح مسلم، الصوم/صوم يوم عاشوراء، 150/3: 2628].

(4) محمد الأمين، حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/ 375)

أولاً: معاني المفردات:

اتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ: عجل من ذهب صاغه لهم السامري ودعاهم إلى عبادته فعبده أكثرهم، وذلك في غيبة موسى عنهم (1).

"وَأَعَدْنَا: وَأَعَدَّ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْوَعْدُ فِي الْخَيْرِ، وَأُوْعِدَ فِي الشَّرِّ. الْكِتَابُ: التَّوْرَةُ.

الْفُرْقَانُ: الشَّرْعُ الْفَارِقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ" (2).

تَهْتَدُونَ: إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ فِي كُلِّ شَأْنِكُمْ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا (3).
ثانياً: البلاغة:

"العطف في قوله {الكتاب والفرقان} هو من باب عطف الصفات بعضها على بعض، لأن الكتاب هو التوراة والفرقان هو التوراة أيضاً وحسن العطف لكون معناه أنه آتاه جامعاً بين كونه كتاباً منزلاً وفرقناً يفرق بين الحق والباطل، وصيغة المفاعلة في قوله {وَأَذِّ وَأَعَدْنَا} ليست على بابها لأنها لا تفيد المشاركة من الطرفين، وإنما هي بمعنى الثلاثي {وَأَذِّ وَأَعَدْنَا} (4).

ثالثاً: القراءات:

"قرأ أبو عمرو «وَأَذِّ وَأَعَدْنَا مُوسَى» بغير ألف، وقرأ غيره وأعدنا بالألف، فمن قرأ بغير ألف فمعناه ظاهر، يعني أن الله تعالى وعد موسى عليه السلام وَمَنْ قرأ بالألف فالمواعدة تجري بين اثنين، وإنما كان الوعد من الله تعالى وَمَنْ موسى الوفاء، ومن الله الأمر، ومن موسى الائتمار. فكأنما جرت المواعدة بين الله تعالى وبين موسى" (5).

رابعاً: المناسبة:

"ولما كان فرق البحر للإبقاء البدني وكان إنزال الكتاب للإبقاء الديني عقبه به وكان الطبع السليم والمزاج المستقيم يقتضي إحسان العمل. ولما كان ذلك مقتضياً لأعظم السخط المقتضي من القادر للمعالجة بالأخذ ذكرهم نعمة الإمهال بعده فقال مشيراً إلى عظم الذنب والنعمة بأداة التراخي: {ثم عفونا} (6).

خامساً: المعنى الإجمالي:

(1) الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 54)

(2) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 160)

(3) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 53)

(4) الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 50)

(5) السمرقندي، بحر العلوم (ج1/ 52)

(6) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج1/ 360)

"واذكروا نعمتنا عليكم: حين واعدنا موسى أربعين ليلة لإنزال التوراة هدايةً ونوراً لكم، فإذا بكم تنتهزون فرصة غيابه هذه المدة القليلة، وتجعلون العجل الذي صنعتموه بأيديكم معبوداً لكم من دون الله - وهذا أشنع الكفر بالله- وأنتم ظالمون باتخاذكم العجل إلهاً. ثم تجاوزنا عن هذه الفعلة المنكرة، وقبلنا توبتكم بعد عودة موسى؛ رجاءً أن تشكروا الله على نعمه وأفضاله، ولا تتمادوا في الكفر والطغيان" (1).

"واذكروا نعمتنا عليكم إذ أنزلنا على نبيكم موسى كتابنا التوراة، وهو الذي يفرق بين الحق والباطل، ويميز الحلال من الحرام، لكي تسترشدوا بنورها وتهتدوا من الضلال بتدبر ما فيها" (2).

سادساً: مقاصد وأهداف الآيات:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- العفو من أعظم نعم الله على العباد:

الله ﷻ يمن على بني إسرائيل مرة أخرى، مع أنهم ارتكبوا ذنبا من ذنوب النعمة، ومع ذلك عفا الله عنهم لأنه يريد أن يستبقي عنصر الخير للناس، يريد أن يعلم خلقه أنه رب رحيم. يفتح أبواب التوبة للواحد بعد الآخر، لتمحو خلايا الشر في النفس البشرية.

إن الإنسان حين يذنب ذنبا ينفلت من قضية الإيمان، ولو لم تشرع التوبة والعفو من الله لزداد الناس في معاصيهم وغرقوا فيها، لأنه إذا لم تكن هناك توبة وكان الذنب الواحد يؤدي إلى النار، والعقاب سينال الإنسان فإنه يتمادى في المعصية وهذا ما لا يريده الله ﷻ لعباده (3)، وفي الحديث الشريف عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ إِذَا اسْتَيْقَظَ عَلَى بَعِيرِهِ ، قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضِ فَلَاةٍ (4).

"سرعة العفو على عظيم الجرم تدل على حقارة قدر المعفو عنه، يشهد لذلك قوله تعالى (مخاطبا أمهات المسلمين): «مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ»، هؤلاء بنو إسرائيل عبدوا العجل فقال الله تعالى: «ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ»، وقال لهذه الأمة (يقصد أمة محمد ﷺ)، «وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (5).

2- أقوال العلماء في معنى الشكر:

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: الشُّكْرُ: الإِجْتِهَادُ فِي بَدْلِ الطَّاعَةِ مَعَ الإِجْتِنَابِ لِلْمَعْصِيَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى: الشُّكْرُ هُوَ الإِعْتِرَافُ فِي تَقْصِيرِ الشُّكْرِ لِلْمُنْعَمِ وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى "اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا" [سبأ: 13] فَقَالَ دَاوُدُ: كَيْفَ أَشْكُرُكَ يَا رَبِّ وَالشُّكْرُ نِعْمَةٌ مِنْكَ! قَالَ: الْآنَ قَدْ عَرَفْتَنِي وَشَكَرْتَنِي إِذْ

(1) نخبة من أساندة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 8)

(2) لجنة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص13)

(3) ينظر، الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 336)

(4) [مسلم، صحيح مسلم، التوبة/فرح الله بتوبة عبده، 8/ 93: رقم الحديث7061].

(5) القشيري، لطائف الإشارات (ج1/ 91)

قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ الشُّكْرَ مِنِّي نِعْمَةٌ قَالَ يَا رَبِّ فَأَرِنِي أَحْفَى نِعْمِكَ عَلَيَّ قَالَ يَا دَاوُدُ تَتَفَسَّرُ فَتَتَفَسَّرُ دَاوُدُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يُحْصِي هَذِهِ النِّعْمَةَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ مُوسَى عليه السلام: كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَأَصْغُرُ نِعْمَةَ وَضَعْتَهَا بِيَدِي مِنْ نِعْمِكَ لَا يُجَازِي بِهَا عَمَلِي كُلُّهُ! فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ يَا مُوسَى الْآنَ شَكَرْتَنِي وَقَالَ الْجُنَيْدُ حَقِيقَةُ الشُّكْرِ الْعَجْزُ عَنِ الشُّكْرِ وَعَنْهُ قَالَ كُنْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ أَلْعَبُ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ يَتَكَلَّمُونَ فِي الشُّكْرِ فَقَالَ لِي يَا غُلَامُ مَا الشُّكْرُ؟ فَقُلْتُ أَلَّا يُعْصَى اللَّهُ بِنِعْمِهِ فَقَالَ لِي: أَحْسَى أَنْ يَكُونَ حَظُّكَ مِنَ اللَّهِ لِسَانَكَ، قَالَ الْجُنَيْدُ فَلَا أَرَأَى أَنْ أَبْكِيَ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا السَّرِيُّ لِي.

وَقَالَ الشَّيْبِيُّ الشُّكْرُ التَّوَاضُعُ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى الْحَسَنَاتِ وَمُخَالَفَةُ الشَّهَوَاتِ وَبَذْلُ الطَّاعَاتِ وَمِرَاقِبَةُ جِبَارِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ.

وَقَالَ الْمِصْرِيُّ أَبُو الْفَيْضِ الشُّكْرُ لِمَنْ فَوْقَكَ بِالطَّاعَةِ وَلِنَظِيرِكَ بِالْمُكَافَأَةِ وَلِمَنْ دُونَكَ بِالْإِحْسَانِ وَالْإِفْضَالِ (1).

"والشكر مع المزيد أبدأ؛ لقوله تعالى: {لئن شكرتم لأزيدنكم}، فمتى لم تر حالك في مزيد فاستقبل الشكر. وفي أثر إلهي، يقول الله: أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم عن المعاييب، وقيل: من كتم النعمة فقد كفرها؛ ومن أظهرها ونشرها فقد شكرها" (2).

3- موقف اليهود من التوراة:

"هَذَا تَذَكِيرٌ بِنِعْمَةِ نُزُولِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ أُمُورِهِمْ وَانْتِظَامُ حَيَاتِهِمْ وَتَأْلِيفُ جَمَاعَتِهِمْ مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَى تَمَامِ النِّعْمَةِ وَهُمْ يَعُدُّونَهَا شِعَارَ مَجْدِهِمْ وَشَرَفِهِمْ لِسِعَةِ الشَّرِيعَةِ الْمُنَزَّلَةِ لَهُمْ حَتَّى كَانَتْ كِتَابًا فَكَانُوا بِهِ أَهْلَ كِتَابٍ أَيْ أَهْلَ عِلْمٍ تَشْرِيحٍ، وَالْمُرَادُ مِنَ (الْكِتَابِ) التَّوْرَةِ الَّتِي أُوتِيَهَا مُوسَى" (3).

وماذا كان موقف بنى إسرائيل من التوراة التي أنزلها الله لهدايتهم وسعادتهم؟ كان موقفهم منها - كما هي عاداتهم - موقف الجاحد لنعم الله فقد امتدت أيديهم الأثيمة إليها فحرفوها كما شاءت لهم أهواؤهم وشهواتهم ولقد وبخهم القرآن الكريم على ذلك، وشبههم في تركهم العمل بها وعدم انتفاعهم بما فيها، بالحمار الذي يحمل كتب العلم ولكنه لا يدرى ما فيها، فقال تعالى في سورة الجمعة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ

(1) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 398)

(2) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج3/ 339)

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ 501)

صَدِّقِينَ ﴿٦﴾ [الجمعة: 5 - 6] حملوا التوراة: أي علموها وكلفوا العمل بها، ثم لم يحملوها: أي لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما اشتملت عليه، والأسفار: جمع سفر وهو الكتاب الكبير، لأنه يسفر عن المعنى إذا قرئ.

ومعنى الآية الكريمة: مثل هؤلاء اليهود الذين علموا التوراة وكلفوا العمل بأحكامها ولكنهم لم يعملوا بها، مثلهم كمثل الحمار يحمل الكتب ولكنه لا يدري ما فيها، ولا يناله من حملها إلا التعب، بئس مثلاً مثل هؤلاء اليهود الذين كذبوا بآيات الله التي تشهد بصدق النبي صلى الله عليه وسلم، وتذرع صفاته التي لا تنطبق إلا عليه، وقد جرت سنة الله - تعالى - في خلقه ألا يهدى إلى طريق الحق أمثال هؤلاء القوم الظالمين، لأنهم استحبوا العمى على الهدى، وباعوا دينهم بدنياهم (1).

قال صاحب الكشاف: "شبه الله - تعالى - اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها، وحفاظ ما فيها ثم إنهم غير عاملين بها، ولا منتفعين بآياتها وذلك أن فيها نعت رسول الله ﷺ والبشارة به، ولم يؤمنوا به - شبههم بالحمار يحمل أسفارا، أي: كتباً كباراً من كتب العلم، فهو يمشى بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبه وظهره من الكد والتعب، وكل من علم ولم يعمل، فهذا مثله وبئس المثل" (2).

وقال الإمام ابن القيم: "شبه الله - تعالى - من حمل كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك، ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له، ولا تحكيم لنصوصه - شبهه - بحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا، فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره"، فهذا المثل، وإن كان قد ضرب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى، لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته (3).

4- الفرق بين أمة محمد ﷺ وبني إسرائيل:

أ - فرقان هذه الأمة الذي اختصوا به نور في قلوبهم، به يفرقون بين الحق والباطل، قال النبي ﷺ لوابصة: «استفت قلبك» (4).

ب - وقال الله تعالى: **إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً** وذلك الفرقان ميراث ما قدموه من الإحسان (5).

ت - الحق ﷺ يذكر بني إسرائيل هنا، أنه بعد أن أراهم من المعجزات الكثير ونجاهم من آل فرعون وشق لهم البحر كان لا بد أن يؤمنوا إيماناً حقيقياً لا يشوبه أي نوع من التردد، ذلك لأنهم رأوا

(1) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط (ج1/ 130)

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل (ج3/ 175)

(3) ابن القيم، أعلام الموقعين (ج2/ 288)

(4) [الالباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، 224/1: رقم الحديث 948]، [حكم الالباني صحيح]

(5) القشيري، لطائف الإشارات (ج1/ 91)

وشهدوا وكانت شهادتهم عين يقين أي شهدوا بأعينهم ماذا حدث، ولكن هل استطاعت هذه المشاهدة أن تمحو من قلوبهم النفاق والكفر؟ لا، لقد ظلوا معاندين طوال تاريخهم. لم يأخذوا أي شيء بسهولة.

ث- أن رسول الله ﷺ يحذر أمته من أن يكونوا كبنِي إسرائيل ويكونوا قوماً شددوا فشدد الله عليهم (1)

ج- "فيه تقرّيع لليهود الذين جادلوا رسول الله ﷺ وعادوه كأنه قال: هؤلاء إنما يفتخرون بأسلافهم، ثم إن أسلافهم كانوا في البلادة والجهالة والعناد إلى هذا الحد، فكيف بهؤلاء الأخلاف؟ وتسليية للنبي ﷺ مما كان يشاهد من مشركي العرب واليهود والنصارى من الخلف والمشاقة قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35]، وتحذير للعقلاء من الجهل والتقليد إلى هذه الغاية ما أقطع شأن الجهلة المقلدة، رضوا بأن يكون العجل إلهاً، وما رضوا بأن يكون البشر نبياً وقد تمعن بعضهم لتصحيح واقعة عبدة العجل حيث استبعد وقوعها منهم مع أنهم شاهدوا تلك المعجزات الباهرة التي تكاد تكون قريبة من حد الإلجاء في الدلالة على الصانع وصدق النبي ﷺ" (2)

5- هَذِهِ الْآيَاتُ فِيهَا فَوَائِدُ:

أ- أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرُ الْأُمَمِ، لِأَنَّ أَوْلِيَّكَ الْيَهُودَ مَعَ أَنَّهُمْ شَاهَدُوا تِلْكَ الْبَرَاهِينَ الْقَاهِرَةَ اعْتَرَوْا بِهَذِهِ الشُّبُهَةِ الرَّكِيكَةِ جَدًّا، وَأَمَّا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّهُمْ مَعَ أَنَّهُمْ مُحْتَاجُونَ فِي مَعْرِفَةِ كَوْنِ الْقُرْآنِ مُعْجَزًا إِلَى الدَّلَائِلِ الدَّقِيقَةِ لَمْ يَعْتَرَوْا بِالشُّبُهَاتِ الْقَوِيَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَدَلِّكَ يُدَلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكَ وَأَكْمَلُ عَقْلاً وَأَرْكَى خَاطِرًا مِنْهُمْ.

ب- أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذَكَرَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتَعَلَّمْ عِلْمًا، وَدَلِّكَ يُدَلُّ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اسْتَفَادَهَا مِنَ الْوَحْيِ.

ت- فِيهِ تَحْذِيرٌ عَظِيمٌ مِنَ النَّقْلِيِّ وَالْجَهْلِيِّ بِالدَّلَائِلِ فَإِنَّ أَوْلِيَّكَ الْأَقْوَامَ لَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا اللَّهَ بِالذَّلِيلِ مَعْرِفَةً تَامَةً لَمَا وَقَعُوا فِي شُبُهَةِ السَّامِرِيِّ.

ث- فِي تَسْلِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّا كَانَ يُشَاهِدُ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِالْخِلَافِ عَلَيْهِ وَكَأَنَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُ بِالصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ كَمَا صَبَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ التَّكْدَةِ فَإِنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ خَلَّصَهُمُ اللَّهُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَأَرَاهِمُ الْمَعْجَزَاتِ الْعَجِيبَةَ مِنْ أَوْلِ ظَهْرٍ وَمُوسَى إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ اعْتَرَوْا بِتِلْكَ الشُّبُهَةِ الرَّكِيكَةِ، ثُمَّ إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ فَلَأَنَّ يَصْبِرَ مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى أَدْبِيَّةِ قَوْمِهِ كَانَ ذَلِكَ أَوْلَى.

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 338)

(2) النيسابوري، غرائب القرآن ورجائب الفرقان (ج1/ 287)

ج- أَنْ أَشَدَّ النَّاسِ مُجَادَلَةً مَعَ الرَّسُولِ ﷺ وَعَدَاوَةً لَهُ هُمْ الْيَهُودُ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا يَفْتَخِرُونَ بِأَسْلَافِهِمْ، ثُمَّ إِنَّ أَسْلَافَهُمْ كَانُوا فِي الْبِلَادَةِ وَالْجِهَالَةِ وَالْعِنَادِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ فَكَيْفَ هَؤُلَاءِ الْأَخْلَافُ (١).

سابعاً: ربط الآيات بالواقع:

1- أن اليهود رغم كل المعجزات التي شاهدوها بأعينهم أن نجاهم من فرعون بفلق البحر لم يؤمنوا بالتوراة وعبدوا العجل هل سيؤمنوا بالقرآن وبالنبي طبعاً لا، وبيان جهل بني إسرائيل الجهل التام؛ وجه ذلك أن هذا الحلي الذي جعلوه إلهاً هم الذين صنعوه بأنفسهم؛ فقد استعاروا حلياً من آل فرعون، وصنعوه على صورة الثور عجلاً جسداً، لا روح فيه؛ ثم قال السامري: {هذا إلهكم وإله موسى فنسي} {طه: 88}؛ وزعموا أن موسى ضلّ، ولم يهتد إلى ربه، وهذا ربه! والعياذ بالله؛ فكيف يكون المصنوع رباً لكم، ولموسى وأنتم الذين صنعتموه! وهذا دليل على جهلهم، وغباوتهم إلى أبعد الحدود؛ وقد قالوا لموسى ﷺ حينما أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم كما قال تعالى: ﴿وَجَوْرَانَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138]، قال لهم نبيهم موسى: {إنكم قوم تجهلون} [الأعراف: 138] ، وصدق ﷺ، ولأن يجهلون قوة الإسلام وقوة الشعب الفلسطيني المسلم الذي هُوجر وطرد من أرضه ظلماً وعدواناً و يجهلون أنه لن ينسى أرضه وحقه ويجهلون أن نهايتهم ستكون على يد المسلمين قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الذين أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 39 - 40]، و يجهلون ان عاقبة الظلم أن الله يملئ للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]

2- إن اتخاذهم العجل كان عن ظلم؛ لقوله تعالى: {وأنتم ظالمون} وهذا أبلغ، وأشنع في توبيخهم، والإنكار عليهم.

3- سعة حلم الله ﷻ، وأنه مهما بارز الإنسان ربه بالذنوب فإن حلم الله تعالى قد يشملها، فيوفق للتوبة؛ و أن العفو موجب للشكر؛ لقوله تعالى: {لعلكم تشكرون}؛ وإذا كان العفو وهو زوال النقم، موجباً للشكر فحدوث النعم أيضاً موجب للشكر من باب أولى.

(١) يُنظر، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 512)

4- "بيان عتو بني إسرائيل، وطغيانهم؛ لأنه إذا كانت التوراة التي نزلت عليهم فرقاناً، ثم هم يكفرون هذا الكفر دلّ على زيادة عتوهم، وطغيانهم؛ إذ من نُزِّل عليه كتاب يكون فرقاناً كان يجب عليه بمقتضى ذلك أن يكون مؤمناً مدعناً" (1).

المطلب الرابع: المبادرة إلى التوبة سبيل التخلص من المعصية

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا لِقَوْمِي إِنَّكُمْ لَكُمْ ظِلْمَةٌ أَنْفُسِكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ [البقرة: 54]

أولاً: معاني المفردات:

ظلم النفس: تدسيته بسينة الجريمة، أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومرتكب الذنب بدل أن يزكي نفسه بعمل صالح دساها بعمل سيء فكان بذلك واضعاً شيئاً في غير موضعه، إذ المطلوب من العبد تزكية نفسه لتتأهل للكمال والإسعاد، لا تدسيته لتخيب وتخسر.

بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ: بجعلكم العجل الذي صاغه السامري من حلي نساكنم إليها عبدتموه.

البارئ: الخالق عَزَّ وَجَلَّ (2).

فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ: أجمعوا على أنه ليس معناه قتل كلِّ رجل نفسه، بل المراد أن يقتل بعضهم بعضاً (3).

ثانياً: البلاغة:

"قال أبو السعود: {فتوبوا إلى بارئكم} التعرض بذكر البارئ للإشعار بأنهم بلغوا من الجهالة أقصاها ومن الغواية منتهاها، حيث تركوا عبادة العليم الحكيم، الذي خلقهم بلطف حكيمته، إلى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة" (4).

مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: فَتُوبُوا وَالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: فَاقْتُلُوا؟

الجواب: أَنَّ الْفَاءَ الْأُولَى لِلْسَّبَبِ لِأَنَّ الظُّلْمَ سَبَبُ التَّوْبَةِ وَالثَّانِيَةَ لِلتَّعْقِيبِ لِأَنَّ الْقَتْلَ مِنْ تَمَامِ التَّوْبَةِ فَمَعْنَى قَوْلِهِ: فَتُوبُوا أَيَّ فَاتَّبَعُوا التَّوْبَةَ الْقَتْلَ تَتِمَّةً لِتَوْبَتِكُمْ (5).

ثالثاً: المناسبة:

" وجه الخطاب عنهم إلى ذكر خطاب نبيه ﷺ لهم، فإن الله يخاطب العباد بإسقاط الوساطة بينه وبينهم ترفيحاً لأقدارهم لديه، فيرفع من شاء فيجيبه بما شاء، ويوقف من شاء فيجعل بينه وبينه في الخطاب واسطة من نبيه، فلما قرره بما مضى من التذكير على ما واجههم به الحق تعالى ذكر في

(1) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 182)

(2) أبوبكر، الجزائري أيسر التفاسير (ج1/ 56)

(3) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 54)

(4) الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 50)

(5) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 516)

هذه الآية تقررهم على ما خاطبهم به نبيهم حين أعرض الحق عن خطابهم بما أصابوه من قبيح خطيئتهم" (1).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"واذكروا نعمتنا عليكم حين قال موسى لقومه: إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل إلهاً، فتوبوا إلى خالقكم: بأن يُقتل بعضكم بعضاً، وهذا خير لكم عند خالفكم من الخلود الأبدى في النار، فامتثلتم ذلك، فمن الله عليكم بقبول توبتكم. إنه تعالى هو التواب لمن تاب من عباده، الرحيم بهم" (2).

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات.

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- القتل سبب قبول التوبة لبني إسرائيل:

طريق التوبة التي كانت في شريعتهم: أن يقتل البريء منكم المجرم، فأرسل الله عليهم سحابة سوداء، لئلا يبصر بعضهم بعضاً عند القتل، فيرحمه، فنقاتل عبدة العجل مع المؤمنين بالسيوف، وتطاعنوا بالخناجر من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى، حتى قتل منهم سبعون ألفاً، وبعدها تضرع موسى وهارون إلى الله، فتاب عليهم، من قتل ومن لم يقتل، أما المقتول فهو حي يرزق عند الله، وأما من بقي

فقد قبلت توبته، وانتهى القتال، وألقوا السلاح، وساد السلم والأمن، ولا عجب في هذا، فالله هو التواب الرحيم بعباده (3).

يقول سيد قطب: "أقتلوا أنفسكم ليقتل الطائع منكم العاصي ليطهره ويطهر نفسه، هكذا وردت الروايات عن تلك الكفارة العنيفة وإنه لتكليف مرهق شاق، أن يقتل الأخ أخاه، فكأنما يقتل نفسه برضاه، ولكنه كذلك كان تربية لتلك الطبيعة المنهارة الخوارة، التي لا تتماسك عن شر، ولا تتناهى عن منكر، ولو تناهوا عن المنكر في غيبة نبيهم ما عبدوا العجل، وإذ لم يتناهوا بالكلام فليتناهوا بالحسام وليؤدوا الضريبة الفادحة الثقيلة التي تنفعهم وتربهم! وهنا تدرّكهم رحمة الله بعد التطهير: في «فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» (4).

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: التَّوْبَةُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَّمِ وَكَانَتْ تَوْبَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْقَتْلَ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُؤْمَرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ عَبَدَةِ الْعِجْلِ بِأَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ بِيَدِهِ قَالَ الرَّهْرِيُّ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ قَامُوا صَفَّيْنِ وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج1/ 371)

(2) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 8)

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 162)

(4) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 71)

فَكَانَ ذَلِكَ شَهَادَةً لِّلْمَقْتُولِ وَتَوْبَةً لِّلْحَيِّ عَلَى مَا تَقَدَّمَ وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ظَلَامًا فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَقِيلَ وَقَفَ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ صَفًّا وَدَخَلَ الَّذِينَ لَمْ يَعْبُدُوهُ عَلَيْهِم بِالسِّلَاحِ فَفَتَلَوْهُمْ وَقِيلَ: قَامَ السَّبْعُونَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ مُوسَى فَفَتَلُوا إِذْ لَمْ يَعْبُدُوا الْعِجْلَ مَنْ عَبَدَ الْعِجْلَ. وَيُرْوَى أَنَّ يُوشَعَ بْنَ نُونٍ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ مُحْتَبُونَ فَقَالَ مَلْعُونٌ مَنْ حَلَّ حَبْوَتَهُ أَوْ مَدَّ طَرْفَهُ إِلَى قَاتِلِهِ أَوْ اتَّقَاهُ بِيَدٍ أَوْ رَجُلٍ فَمَا حَلَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَبْوَتَهُ حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ يَعْنِي مَنْ قُتِلَ وَأَقْبَلَ الرَّجُلُ يَقْتُلُ مَنْ يَلِيهِ. ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ وَغَيْرُهُ. وَإِنَّمَا عُوِّبَ الَّذِينَ لَمْ يَعْبُدُوا الْعِجْلَ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُغَيِّرُوا الْمُنْكَرَ حِينَ عَبَدُوهُ وَإِنَّمَا اعْتَزَلُوا وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُقَاتِلُوا مَنْ عَبَدَهُ (1).

وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ إِذَا فَسَأَ الْمُنْكَرُ وَلَمْ يُغَيِّرْ عُوْقِبَ الْجَمِيعُ. رَوَى جَرِيرٌ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَمْنَعُ لَا يُغَيِّرُونَ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ" (2).

2- وجوب إخلاص التوبة لله ﷻ:

مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ وَالتَّوْبَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْبَارِي، وَالْجَوَابُ: الْمُرَادُ مِنْهُ النَّهْيُ عَنِ الرَّيَاءِ فِي التَّوْبَةِ كَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: لَوْ أَظْهَرْتُمْ التَّوْبَةَ لَا عَنِ الْقَلْبِ فَأَنْتُمْ مَا تُبْتُمْ إِلَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ مُطَّلَعٌ عَلَى ضَمِيرِكُمْ، وَإِنَّمَا تُبْتُمْ إِلَى النَّاسِ وَذَلِكَ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، فَإِنَّكُمْ إِذَا أَدْنَبْتُمْ إِلَى اللَّهِ (3).

والتواب كثير قبول التوبة إذا قيل ذلك عن الله تعالى، أو كثير التوبة إذا قيل عن العبد، وتواب صيغة مبالغة من تائب، وتائب تطلق على التائب من الذنب، وتطلق على من يقبل التوبة، وهو الله ﷻ، وهي هنا على هذا المعنى.

وقد اقترن وصف التواب بوصف الرحيم، لأن كليهما وصف لله تعالى، ولأن قبول التوبة من رحمة الله تعالى بعباده، ولقد قال: (وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى).

وقد أكد سبحانه اتصافه بهذين الوصفين اللذين كانا من فضل الله تعالى، ومنته، بصيغة المبالغة، وبالجملة الاسمية، وبالتأكيد بآءٍ - اللهم تب علينا وارحمنا (4).

3- كَيْفَ اخْتَصَّ هَذَا الْمَوْضِعُ بِذِكْرِ الْبَارِي؟

وَالْجَوَابُ: الْبَارِيُّ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ بَرِيئًا مِنَ النَّقَاوَاتِ: مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَقَاوُتٍ [الملك: 3] وَمُنَمِّيًّا بَعْضُهُ عَنِ بَعْضٍ بِالشَّكَالِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالصُّوَرِ الْمُتَبَايِنَةِ فَكَانَ ذَلِكَ تَنْبِيْهًُا عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْعِبَادَةِ مِنَ الْبَقْرِ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْعِبَاوَةِ، أَنَّهُ يَنْبَغِي التَّعْبِيرُ بِمَا يَنْسَبُ الْمَقَامَ؛

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/401)

(2) [ابن ماجه، الفتن/ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، 2/ 1329: رقم الحديث 4009]، [حكم الالباني] حسن

(3) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 516)

(4) ينظر، أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج1/ 235)

لقوله: {فتوبوا إلى بارئكم}؛ لأن ذكر "البارئ" هنا كإقامة الحجة عليهم في أن العجل لا يكون إلهاً؛ فإن الذي يستحق أن يكون إلهاً هو البارئ. أي الخالق ﷻ (1).
ويقول القرطبي "الفرق بين البارئ والخالق وذلك أن البارئ هو المبدع المحدث. والخالق هو المقدر الناقل من حال إلى حال" (2).

4- ترغيب اليهود بالتوبة والإيمان بمحمد ﷺ:

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَّ أَنَّ تَوْبَةَ أَوْلِيكَ مَا تَمَّتْ إِلَّا بِالْقَتْلِ مَعَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ: لَا حَاجَةَ بِكُمْ الْآنَ فِي التَّوْبَةِ إِلَى الْقَتْلِ بَلْ إِنْ رَجَعْتُمْ عَنْ كُفْرِكُمْ وَأَمَنْتُمْ قَبْلَ اللَّهِ إِيْمَانَكُمْ مِنْكُمْ فَكَانَ بَيَانُ التَّشْدِيدِ فِي تِلْكَ التَّوْبَةِ تَنْبِيْهَا عَلَى الْإِنْعَامِ الْعَظِيمِ يَقْبُولُ مِثْلَ هَذِهِ التَّوْبَةِ السَّهْلَةَ الْهَيِّنَةَ. "أَنَّ فِيهِ تَرْغِيبًا شَدِيدًا لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي التَّوْبَةِ، فَإِنَّ أُمَّةَ مُوسَى ﷺ لَمَّا رَغِبُوا فِي تِلْكَ التَّوْبَةِ مَعَ نِهَائِيَّةِ مَشَقَّتِهَا عَلَى النَّفْسِ فَلَا نَزْوَالًا يَرْغَبُ الْوَاحِدُ مِمَّا فِي التَّوْبَةِ الَّتِي هِيَ مُجَرَّدُ النَّدَمِ كَانَ أَوْلَى، وَمَعْلُومٌ أَنَّ تَرْغِيبَ الْإِنْسَانِ فِيْمَا هُوَ الْمَصْلَحَةُ الْمُهْمَةُ مِنْ أَعْظَمِ النَّعْمِ" (3).

تذكير بنى إسرائيل المعاصرين للعهد النبوي بنعم الله عليهم، لأنه لولا عفوه- سبحانه- عن آبائهم لما وجدوا هم، وفيها- كذلك- إشارة إلى سماحة الشريعة التي أتى بها محمد ﷺ وإغراء لليهود المعاصرين له بالدخول في الإسلام لأنه إذا كان آباؤهم لم تقبل توبتهم إلا بقتلهم أنفسهم فإن شريعة الإسلام تقول لهم: لقد جاءكم النبي الذي رفع عنكم إصركم والأغلال التي كانت على أسلافكم، فأمنوا به واتبعوه لعلكم ترحمون (4).

سادساً: ربط الآيات بالواقع:

1- أنه ينبغي للداعي إلى الله أن يستعمل الأسلوب الذي يجذب إليه الناس، ويعطفهم عليه؛ لقوله تعالى حكاية عن موسى: {يا قوم}؛ فإن هذا لا شك فيه من التودد، والتلطف، والتحبب ما هو ظاهر.

2- أن المعاصي ظلم للنفوس؛ وجه ذلك: أن النفس أمانة عندك؛ فيجب عليك أن ترعاها بأحسن رعاية، وأن تجنبها سوء الرعاية؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: "إن لنفسك عليك حقاً" (5).

3- أن التوبة على الفور؛ لقوله: {فتوبوا}؛ لأن الفاء للترتيب، والتعقيب.

4- إثبات الأسباب، وتأثيرها في مسبباتها؛ لقوله {باتخاذكم}؛ فإن الباء هنا للسببية.

(1) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 188)

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 402)

(3) الرازي، المرجع السابق (ج3/ 515)

(4) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط (ج1/ 133)

(5) [البخاري، صحيح البخاري، الصوم/من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، 38/3: رقم الحديث 1968].

5- أنه ينبغي للداعي إلى الله أن يبين الأسباب فيما يحكم به؛ لقوله: (إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل).

6- سفاهة بني إسرائيل، حيث عبدوا ما صنعوا وهم يعلمون أنه لا يرجع إليهم قولاً، ولا يملك لهم ضرراً، ولا نفعاً.

7- أن الأمة كنفس واحدة؛ وذلك لقوله: {فاقتلوا أنفسكم}؛ لأنهم ما أمروا أن يقتل كل واحد منهم نفسه؛ بل يقتل بعضهم بعضاً؛ ونظير ذلك قوله تعالى: {ولا تلمزوا أنفسكم} {الحجرات: 11} أي لا يلمز بعضكم بعضاً؛ وعبر عن ذلك بـ "النفس"؛ لأن الأمة شيء واحد؛ فمن لمز أخاه فكمن لمز نفسه.

8- تقاضل الأعمال؛ لقوله: (ذلكم خير لكم عند بارئكم).

9- إثبات اسمين من أسماء الله. وهما {التواب}، و{الرحيم}؛ وإثبات ما تضمنناه من صفة وهي: التوبة، والرحمة؛ وإثبات ما تضمنناه من صفة باقترانهما، لا تكون عند انفراد أحدهما؛ لأنه لما اقترنا حصل من اجتماعهما ثالثة وهي: الجمع بين التوبة التي بها زوال المكروه، والرحمة التي بها حصول المطلوب، أنه ينبغي للإنسان أن يتعرض لما يقتضيه هذان الاسمان من أسماء الله؛ فيتعرض لتوبة الله، ورحمته؛ فيتوب إلى ربه ﷻ، ويرجو الرحمة؛ وهذا هو أحد المعاني التي قال عنها رسول الله ﷺ: إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ "من أحصاها". أي أسماء الله التسعة والتسعين. "دخل الجنة" (1)؛ فإن من إحصائها أن يتعبد الإنسان بمقتضاها" (2).

المطلب الخامس: تبديل أوامر الله تعالى والاستهزاء بها سبب في الهلاك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعُمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىَ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة: 55 -

[59]

أولاً: معاني المفردات:

نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً: نراه عياناً.

(1) [مسلم، صحيح مسلم، الدعاء/ في فضل أسماء الله تعالى وفضل احصائها، 4/ 2062: 2677].

(2) [ينظر، ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 188-190)]

الصَّاعِقَةُ: نَارٌ محرقة تكون مع السحب والأمطار والرعود (1).
الْمَنُّ وَالسَّلْوَى: المن: مادة لزجة حلوة كالعسل، والسَّلْوَى: طائر يقال له السمانى.
الطيبات: الحلال (2).

"بَعَثْنَاكُمْ: أحيين اكم قال الطبري: وأصل البعث: إثارة الشيء من محله
الغمام: جمع غمامة كسحابة وسحاب وزناً ومعنى، لأنها تغم السماء أي تسترها، وكل مغطى فهو
مغموم، وغمَّ الهلال: إذا غطاه الغيم فلم ير
حِطَّةً: مصدر من حطَّ عنا ذنوبنا، وهي كلمة استغفار ومعناها: اغفر خطايانا.
رِجْزاً: عذاباً ومنه {لَئِن كَشَفْتِ عَنَّا الرِّجْزَ} [الأعراف: 134] أي العذاب
ثانياً: البلاغة:

"مِن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لزيادة التأكيد على أنه موت حقيقي.
كُلُوا إيجاز بالحذف، أي قلنا لهم: كلوا.
وَمَا ظَلَمْنَا إيجاز بالحذف أيضا تقديره: فظلموا أنفسهم بأن كفروا. والجمع بين ظَلَمْنَا وَيُظَلِّمُونَ
الماضي والمضارع للدلالة على تماديهم في الظلم.
فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ولم يقل: فَأَنْزَلْنَا عليهم، لزيادة التقبيح والمبالغة في الذم والتقريع، بوضع
الظاهر موضع الضمير. رِجْزاً نَكَرَهُ للتحويل والتخيم.
مِنْ رِزْقِ اللَّهِ تعظيم للنعمة والمنة، وإيماء إلى أنه رزق حاصل من غير تعب ولا مشقة" (3).
ثالثاً: المناسبة:

"بعد أن نكَّره تعالى بالنعمة، بيَّن لوناً من ألوان طغيانهم وجحودهم، وتبديلهم لأوامر الله، وهم مع
الكفر والعصيان، يعاملون باللطف والإحسان، فما أقبحهم من أمة وما أخزاهم!! قال الطبري: لما تاب
بنو إسرائيل من عبادة العجل أمر الله تعالى موسى أن يختار من قومه رجالاً يعتذرون، إليه من
عبادتهم العجل، فاختر موسى سبعين رجلاً من خيارهم كما قال تعالى {واختر موسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ
رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا} [الأعراف: 155]، وقال لهم: صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا، وخرج بهم إلى «طور
سيناء» فقالوا لموسى: اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا فقال: افعل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه
الغمام حتى تغطى الجبل كله، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً، فسمعوا الله يكلم

(1) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 55)

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 57)

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 165)

موسى يأمره وينهاه، فلما انكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم فقالوا لموسى: **لَئِنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً** (1).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"واذكروا قولكم لموسى: **إننا لن نقر لك بالإيمان حتى نرى الله جهاراً عياناً بحاسة البصر لا يحجبه عنا شيء، فانقضت عليكم صاعقة ونار من السماء زلزلتكم جزاء عنادكم وظلمكم وطلبكم ما يستحيل وقوعه لكم، وأنتم تنظرون حالكم وما أصابكم من بلاء وعذاب في الصاعقة، ثم أيقظناكم من غشيتكم وهمودكم، وعلمناكم لكي تشكروا نعمتنا في ذلك، وتؤيدوا حق الله عن طريق هذا الشكر**" (2).

"واذكروا نعمتنا عليكم حين كنتم تتيهون في الأرض؛ إذ جعلنا السحاب مظلاً عليكم من حرِّ الشمس، وأنزلنا عليكم المنّ، وهو شيء يشبه الصمغ طعمه كالعسل، وأنزلنا عليكم السلوى وهو طير يشبه السُمائي، وقلنا لكم: **كلوا من طيبات ما رزقناكم، ولا تخالفوا دينكم، فلم تمتثلوا وما ظلمونا بكفران النعم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، لأن عاقبة الظلم عائدة عليهم. واذكروا نعمتنا عليكم حين قلنا: ادخلوا مدينة «بيت المقدس» فكلوا من طيباتها في أي مكان منها أكلاً هنيئاً، وكونوا في دخولكم خاضعين لله، ذليلين له، وقولوا: رَبَّنَا صَعْنَا ذُنُوبَنَا، نَسْتَجِبْ لَكَ وَنَعْفَ عَنْكَ وَنَسْتَرْهَا عَلَيْكَ، وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ بِأَعْمَالِهِمْ خَيْرًا وَثَوَابًا، فَبَدَّلَ الْجَائِرُونَ الضَّالُّونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْلَ اللَّهِ، وَحَرَّفُوا الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ جَمِيعًا، إِذْ دَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهُمْ وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ، وَاسْتَهَزَّوْا بِدِينِ اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ؛ بِسَبَبِ تَمَرْدِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ**" (3).

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات.

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- الحكمة من عدم رؤية الله ﷻ في الدنيا:

قال بعض العلماء الحكماء الحكمة في ان الله تعالى لا يُرى في الدنيا وجوه:

أ- أن الدنيا دار أعدائه لأن الدنيا جنة الكافر.

ب- لو رآه المؤمن لقال الكافر لو رأيته لعبدته ولو رأوه جميعاً لم يكن لاحدهما مزية على الآخر

ت- أن المحبة على غيب ليست كالمحبة على عين.

ث- أن الدنيا محل المعيشة ولو رآه الخلق لاشتغلوا عن معاشهم فتعطلت.

(1) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/ 51)

(2) لجنة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص13)

(3) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 9)

ج- أنه جعلها بالبصيرة دون البصر ليرى الملائكة صفاء قلوب المؤمنين السادس ليقدر قدرها إذ كل ممنوع عزيز السابع انما منعها رحمة بالعباد لما جبلوا عليه في هذه الدار من الغيرة إذ لو رآه أحد تصدع قلبه من رؤية غيره إياه كما تصدع الجبل غيرة من أن يراه موسى (1).

2- استحالة رؤية الله في الدنيا:

دلت الآية على أن طلب رؤيته تعالى في الدنيا مستنكر غير جائز، ولذا لم يذكر، سبحانه وتعالى، سؤال الرؤية إلا استعظمه، وذلك في آيات منها هذه ومنها قوله تعالى: **يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ** [النساء: 153]، ومنها قوله تعالى: **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا، لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا** [الفرقان: 21]، فدللت هذه التهويلات الفظيعة الواردة لطالبيها في الدنيا على امتناعها فيها (2).

أن من سأل ما لا يمكن فهو حري بالعقوبة؛ لقوله تعالى: **{فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ}**؛ لأن الفاء تدل على السببية، ولا سيما في مثل حال هؤلاء الذين قالوا هذا عن تشكك؛ وفرق بين قول موسى **الطَّيِّبُ**: **{رب أرني أنظر إليك}** [الأعراف: 143] ، وبين قول هؤلاء: **{لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة}**؛ فموسى قال ذلك شوقاً إلى الله **سُبْحَانَكَ**، وليلتذذ بالرؤية إليه؛ أما هؤلاء فقالوه تشككاً، يعني: لسنا بمؤمنين إلا إذا رأيناه جهرة؛ ففرق بين الطلبين (3).

3- جحود بني إسرائيل رغم عظيم الآيات التي رأوها:

ان بني إسرائيل رغم الآيات الباهرة إلا أنهم لم يؤمنوا وجادلوا ويقول الامام الطبري: فذكرهم بذلك جل ذكره اختلاف آبائهم، وسوء استقامة أسلافهم لأنبيائهم، مع كثرة معابنتهم من آيات الله جل وعز وعبره ما تتلج بأقلها الصدور، وتطمئن بالتصديق معها النفوس، وذلك مع تتابع الحجج عليهم، وسبوغ النعم من الله لديهم، وهم مع ذلك مرة يسألون نبيهم أن يجعل لهم إلهاً غير الله، ومرة يعبدون العجل من دون الله، ومرة يقولون: لا نصدقك حتى نرى الله جهرة. وأخرى يقولون له إذا دعوا إلى القتال: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا قاعدون، ومرة يقال لهم: قولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطاياكم فيقولون: حنطة في شعيرة! ويدخلون الباب من قبل أستاذهم، مع غير ذلك من أفعالهم التي أدوا بها نبيهم عليه السلام، التي يكثر إحصاؤها، فأعلم ربنا تبارك وتعالى ذكره الذين خاطبهم بهذه الآيات من يهود بني إسرائيل، الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله **ﷺ**، أنهم لن يعدوا أن يكونوا -في تكذيبهم محمداً **ﷺ**، وجحودهم نبوته، وتركهم الإقرار به وبما جاء به، مع علمهم به، ومعرفتهم بحقيقة

(1) إسماعيل حقي، روح البيان (ج1/ 141)

(2) القاسمي، محاسن التأويل (ج1/ 308)

(3) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 194)

أمره- كأسلافهم وآبائهم الذين فصل عليهم قصصهم في ارتدادهم عن دينهم مرة بعد أخرى، وتوثيهم على نبيهم موسى عليه السلام عليه تارة بعد أخرى، مع عظيم بلاء الله ﷻ عندهم، وسبوغ آياته عليهم (1). ويقول الامام الرازي: "أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِيهَا تَحْذِيرًا لِمَنْ كَانَ فِي زَمَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ فِعْلٍ مَا يُسْتَحَقُّ بِسَبَبِهِ أَنْ يُفْعَلَ بِهِ مَا فُعِلَ بِأَوْلِيكَ، وَتَشْبِيهُهُمْ فِي جُحُودِهِمْ مُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَسْلَافِهِمْ فِي جُحُودِ نُبُوَّةِ مُوسَى ﷺ مَعَ مُشَاهَدَتِهِمْ لِعِظَمِ تِلْكَ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ وَتَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا لَا يُظْهَرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهَا لِعَلْمِهِ بِأَنَّهُ لَوْ أَظْهَرَهَا لَجُحُودَهَا وَلَوْ جَحَدُوهَا لَأَسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ مِثْلَ مَا اسْتَحَقَّهُ أَسْلَافُهُمْ" (2).

4- الآية فيها دليل على صدق النبي وتثبيته:

فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِمَّا كَانَ يُلَاقِي مِنْهُمْ وَتَثْبِيْتُ لِقَلْبِهِ عَلَى الصَّبْرِ كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ. وَ فِيهَا إِزَالَةٌ شَبْهَةٍ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَوْ صَحَّتْ لَكَانَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْإِيمَانِ بِهِ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَا أَنَّهُمْ عَرَفُوا خَبْرَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى بَيِّنَ أَنَّ أَسْلَافَهُمْ مَعَ مُشَاهَدَتِهِمْ تِلْكَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ عَلَى نُبُوَّةِ مُوسَى ﷺ كَانُوا يَرْتَدُّونَ كُلَّ وَقْتٍ وَيَتَحَكَّمُونَ عَلَيْهِ وَيُخَالِفُونَهُ فَلَا يُتَعَجَّبُ مِنْ مُخَالَفَتِهِمْ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنْ وَجَدُوا فِي كُتُبِهِمُ الْأَخْبَارَ عَنِ نُبُوَّتِهِ، وَلَمَّا أَخْبَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْقِصَصِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ أُمِّيًّا لَمْ يَسْتَعْلِمْ بِالتَّعَلُّمِ الْبِنَّةَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَنِ الْوَحْيِ (3).

5- ما هو المن والسلوى:

وقال ابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿ووظلنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾. الغمام: السحاب، سمي غماماً، لأنه يغم السماء، أي: يسترها، وكل شيء غطيته فقد غمته، وهذا كان في التيه.

وفي المن ثمانية أقوال:

أ- "أنه الذي يقع على الشجر فيأكله الناس، قاله ابن عباس والشعبي والضحاك.

ب- أنه الترنجيبين، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو قول مقاتل، والترنجيبين: هو ندى شبيه بالعسل يقع من السماء.

ت- أنه صمغه، قاله مجاهد.

ث- أنه يشبه الرب الغليظ، قاله عكرمة، والرب: بالضم دبس الرطب إذا طبخ (4).

ج- أنه شراب، قاله أبو العالية، والربيع بن أنس.

(1) ينظر، الطبري، جامع البيان (ج2/ 81)

(2) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 518)

(3) ينظر، الرازي، المرجع السابق، (ص518).

(4) أحمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشح الكبير (ج1/ 214)

ح- أنه خبز الرقاق مثل الذرة، أو مثل النَّقي، قاله وهب.

خ- أنه عسل، قاله ابن زيد.

د- أنه الزنجبيل، قاله السدي.

ويرى الباحث انه الترنجبين وذكره كثير من المفسرين.

وفي السلوى قولان.

أ- "أنه طائر، قال بعضهم: يشبه السمانى، وقال بعضهم: هو السمانى.

ب- أنه العسل ذكره ابن الأنباري" (1).

ذكر المفسرون أن هذا جرى في التَّيه بين مصر والشام لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين وقتالهم؛

وقالوا لموسى: {فأذهب أنتَ وَرَبُّكَ فقاتلا} [المائدة: 24].

فعوقبوا في ذلك الفحص أربعين سنة يتيهون في خمسة فراسخ أو ستة.

رُوي أنهم كانوا يمشون النهار كله وينزلون للمبيت فيصبحون حيث كانوا بكرة أمس.

وإذ كانوا بأجمعهم في التَّيه قالوا لموسى: مَنْ لنا بالطعام! فأَنْزَلَ اللهُ عليهم المَنَّ والسَّلوى.

قالوا: مَنْ لنا من حَرِّ الشمس! فظَلَّ عليهم الغمام.

قالوا: فبِم نستصبح! فضرب لهم عمود نور في وسط محلَّتهم.

وذكر مكِّي: عمود من نار.

قالوا: من لنا بالماء! فأمر موسى بضرب الحجر.

قالوا: من لنا باللباس! فأعطوا؛ ألا يبلى لهم ثوب ولا يَخْلَق ولا يدرن؛ وأن تنمو صغارها حسب نموِّ

الصبيان، والله أعلم (2).

6- إنكارهم الإيمان بالغيبات:

يقول الشعراوي: "قاله تبارك وتعالى قد رزقهم بهذا الرزق الطيب من غمام يقيهم حرارة الشمس، ومَنْ

يعطيهم وقود الحركة، وسَلوى كغذاء لهم، وكل هذا يأتيهم من السماء دونما تعب منهم، ولكنهم لعدم

إيمانهم بالغيبات يريدون الأمر المادي وهم يخافون أن ينقطع المَنَّ والسَلوى عنهم يوماً ما فماذا

يفعلون؟

لو كانوا مؤمنين حقاً لقالوا: إن الذي رزقنا باليمن والسَلوى لن يضيعنا، ولكن الحق ﷻ ينزل لهم

طعامهم يوماً من السماء وهم بدلاً من أن يقابلوا هذه النعمة بالشكر قابلوها بالجحود" (3).

(1) ابن الحوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج1/ 67)

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 406)

(3) ينظر، الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 350)

7- هل المن والسلوى طعام واحد او طعامين؟:

يقول الشيخ الشنقيطي: قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوٰى كُلُوْا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} هذه الآية الكريمة تدل على أن الله أكرم بني إسرائيل بنوعين من أنواع الطعام وهما المن والسلوى، وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أنهم لم يكن عندهم الإطعام واحد، وهى قوله تعالى: {وَاذِ قُلْتُمْ يَا مُوسٰى لَنْ نُّصَبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ}، وللجمع بينهما أوجه:

الأول: إن المن وهو الترنجيبين على قول الأكثرين من جنس الشراب والطعام الواحد هو السلوى، وهو على قول الأكثرين السمانى أو طائر يشبهه.

الوجه الثاني: إن المجمعول على المائدة الواحدة تسميه العرب طعاما واحد وإن اختلفت أنواعه.

ومنه قولهم: أكلنا طعام فلان، وإن كان أنواعاً مختلفة.

والذي يظهر أن هذا الوجه أصح من الأول لأن تفسير المن بخصوص الترنجيبين يردده الحديث المتفق

عليه: عن عمرو بن نفيل، قال: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنَّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ" (1).

الثالث: أنهم سموه طعاما واحدا لأنه لا يتغير ولا يتبدل كل يوم فهو مأكلا واحد وهو ظاهر" (2).

8- حرصهم على الحياة وظلمهم أنفسهم:

يقول الخازن: {كلوا} أي وقلنا لهم كلوا {من طيبات} أي حلالات {ما رزقناكم} "أي تدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد، فقطع الله عنهم ذلك عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر" (3)، قوله: لم يخنز اللحم لم ينتن ولم يتغير {وما ظلمونا} أي وما بخسوا حقنا، {ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} يعني بأخذهم أكثر مما حولهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى (4).

{وما ظلمونا} نفي أنهم لم يقع منهم ظلم لله تعالى، وفي هذا دليل على أنه ليس من شرط نفي الشيء إمكان وقوعه، لأن ظلم الإنسان لله تعالى لا يمكن وقوعه ألبتة.

قيل: المعنى وما ظلمونا بقولهم: {أرنا الله جهرة}، بل ظلموا أنفسهم بما قابلناهم به من الصاعقة.

وقيل: وما ظلمونا بادخارهم المن والسلوى، بل ظلموا أنفسهم بفساد طعامهم وتقليص أرزاقهم.

وقيل: وما ظلمونا بإبائهم على موسى أن يدخلوا قرية الجبارين.

وقيل: وما ظلمونا باستحبابهم العذاب وقطعهم مادة الرزق عنهم، بل ظلموا أنفسهم بذلك.

(1) [مسلم، صحيح مسلم، الأشربة الكماء، 142/6: رقم الحديث 5392].

(2) الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص 19)

(3) [مسلم، صحيح مسلم، الرضاع/لولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر، 1092 /2: رقم الحديث 1470].

(4) الخازن، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (ج 1/ 48)

وقيل: وما ظلمونا بكفر النعم، بل ظلموا أنفسهم بحلول النعم.

وقيل: وما ظلمونا بعبادة العجل، بل ظلموا أنفسهم بقتل بعضهم بعضاً (1).

ويقول الشعراوي: 'فالحق سبحانه وتعالى يتحدث للمرة الثالثة عن ظلم قوم موسى، ففي المرة الأولى قال «وأنتم ظالمون»، وفي الآية الثانية قال: «ظلمتم أنفسكم»، وفي هذه الآية قال: {وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، ولقد سبق أن قلت أنه لا أحد يستطيع أن يظلم الله لأن الله ﷻ باق بقدرته وقوته وعظمته، لا يقلل منها لو كفر أهل الأرض جميعاً ولا يزيد فيها لو آمن أهل الأرض كلهم. فقدره الله باقية وكلمته ماضية، ولكن نحن الذين نظلم أنفسنا، بأن نوردنا مورد التهلكة والعذاب الذي لا نجاة منه دون أن نعطيها شيئاً، إن الدنيا كما قلنا عالم أغيار، والنعمة التي أنت فيها زائلة عنك، إما أن تتركها بالموت أو تتركها هي وتزول عنك وتخرج من الدنيا تحمل أعمالك فقط، كل شيء زال وبقيت ذنوبك تحملها إلى الآخرة ولذلك فإن كل من عصى الله وتمرد على دينه قد ظلم نفسه لأنه قادها إلى العذاب الأبدي طمعا في نفوذ أو مال زال بعد فترة قصيرة ولم يدم، فكأنه ظلمها بأن حرّمها من نعيم أبدي وأعطاه شهوة قصيرة عاجلة" (2).

9- المحسن وثوابه:

{وَسَتَرِيذُ الْمُحْسِنِينَ} بالطاعة والامتثال لأمرنا ثوابا من فضلنا، وهم الذين لم يعبدوا العجل، جمع محسن، والمحسن: من أحسن في فعله، وإلى نفسه، وغيره وقيل: المحسن من صحّ عقد توحيده، وأحسن سياسة نفسه، وأقبل على أداء فرائضه، وكفّ شرّه، وقيل: هو الفاعل ما يجمل طبعاً، ويحمد شرعاً وأخرج ذلك عن صورة الجواب إلى الوعد؛ إيذاناً بأن المحسن بصدد زيادة الثواب، وإن لم يقل حطة، فكيف إذا قالها، واستغفر، وبأنه يقول ويستغفر، لا محالة أمرهم بشيئين: بعمل يسير، وقول صغير، فالعمل الانحاء عند الدخول، والقول التكلّم بالقول، ثم وعد عليهما غفران السيئات، والزيادة في الحسنات (3).

"الْمُرَادُ مِنَ «الْمُحْسِنِينَ» مَنْ كَانَ مُحْسِنًا بِطَاعَاتٍ أُخْرَى بَعْدَ هَذِهِ التَّوْبَةِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّا نَجْعَلُ دُخُولَكُمْ الْبَابِ سُجْدًا وَقَوْلَكُمْ حِطَّةً مُؤَثِّرًا فِي غُفْرَانِ الذُّنُوبِ، ثُمَّ إِذَا أَتَيْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِطَاعَاتٍ أُخْرَى أَعْطَيْنَاكُمْ الثَّوَابَ عَلَى تِلْكَ الطَّاعَاتِ الرَّائِدَةِ، وَفِي الْآيَةِ تَأْوِيلٌ آخَرٌ، وَهُوَ أَنَّ الْمَعْنَى مَنْ كَانَ خَاطِئًا غَفَرْنَا لَهُ دَنْبَهُ بِهَذَا الْفِعْلِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ خَاطِئًا بَلْ كَانَ مُحْسِنًا زِدْنَا فِي إِحْسَانِهِ، أَيِ كَتَبْنَا تِلْكَ الطَّاعَةَ فِي حَسَنَاتِهِ وَزِدْنَاهُ زِيَادَةً مِمَّا فِيهَا فَتَكُونُ الْمَغْفِرَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالزِّيَادَةُ لِلْمُطِيعِينَ" (4).

(1) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (ج1/ 347)

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 351)

(3) محمد الأمين، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/ 424)

(4) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج1/ 524)

أن الإحسان سبب للزيادة سواء كان إحساناً في عبادة الله، أو إحساناً إلى عباد الله؛ فإن الإحسان سبب للزيادة؛ وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال: "الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" (1)، وقال: "

المُسلِمُ أَخُو المُسلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (2) (3). ووعده الله تعالى بأنه سيزيد المحسنين خيراً وبركة، والمحسن هو من أتقن وأجاد فعل الخير، والمعنى أن الله تعالى يغفر لهم ما ارتكبوا من آثام كبيرة كانوا قد تعودوها حتى صارت خطايا، يغفرها، سبحانه وتعالى، ثم وعد سبحانه ووعده الحق أنه سيزيد المحسنين، وينعم عليهم بالتوفيق إذا تابوا وآمنوا، ويجزيهم أحسن الجزاء (4).

10- عقوبة تبديل كلام الله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة: 59]

يَقُولُ تَعَالَى لِأَنَّمَا لَهُمْ عَلَى نُكُولِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ وَدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، لَمَّا قَدِمُوا مِنْ بِلَادِ مِصْرَ صُحْبَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَمَرُوا بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي هِيَ مِيرَاثُ لَهُمْ عَنِ أَبِيهِمْ إِسْرَائِيلَ، وَقِتَالِ مَنْ فِيهَا مِنَ الْعَمَالِيقِ الْكُفْرَةِ، فَتَنَكَّلُوا عَنْ قِتَالِهِمْ وَصَعَفُوا وَاسْتَحْسَرُوا، فَرَمَاهُمُ اللَّهُ فِي النَّيْهِ عُقُوبَةً لَهُمْ، كَمَا ذَكَرَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَصْحُ الْقَوْلَيْنِ أَنَّ هَذِهِ الْبِلَادَةَ هِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ السُّدِّيُّ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَقَتَادَةُ، وَأَبُو مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ وَعَبْدُ وَاحِدٍ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٦١﴾﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: 21 - 24] (5).

(1) [مسلم، صحيح مسلم، العلم/فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، 4/ 2074: 2699].

(2) [البخاري، صحيح البخاري، المظالم والغصب/لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، 3/ 128: 2442].

(3) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 204)

(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج1/ 243)

(5) يُنظَر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/ 273)

ويقول ابن عاشور وَقَوْلُهُ: "فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ أَيْ بَدَّلَ الْعَشْرَةَ الْقَوْلَ الَّذِي أَمَرَ مُوسَى بِإِعْلَانِهِ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ التَّرْغِيبُ فِي نُحُولِ الْقَرْيَةِ وَتَهْوِينِ الْعُدُوِّ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُمْ: لَا تَسْتَطِيعُونَ قِتَالَهُمْ وَتَبْطُؤُهُمْ وَلِذَلِكَ عُوِقِبُوا فَأُنزِلَ عَلَيْهِمْ رِجْزٌ مِنَ السَّمَاءِ وَهُوَ الطَّاعُونُ. وَإِنَّمَا جُعِلَ مِنَ السَّمَاءِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَبَبٌ أَرْضَى مِنْ عَدْوَى أَوْ نَحْوِهَا فَعُلِمَ أَنَّهُ رَمَتْهُمْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ بِأَنَّ الْقَيْتَ عَنَّا صِرُهُ وَجَرَاثِمُهُ عَلَيْهِمْ فَأَصِيبُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ. وَلِأَجْلِ هَذَا حُصَّ التَّبْدِيلُ بِفَرِيقٍ مَعْرُوفٍ عِنْدَهُمْ فَعَبَّرَ عَنْهُ بِطَرِيقِ الْمَوْصُولِيَّةِ لِعِلْمِ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ وَبِتِلْكَ الصِّلَةِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ التَّبْدِيلَ لَيْسَ مِنْ فِعْلِ جَمِيعِ الْقَوْمِ أَوْ مُعْظَمِهِمْ لِأَنَّ الْآيَةَ تَدْكِيرٌ لِلْيَهُودِ بِمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَهُمْ مِنْ حَوَادِثِهِمْ" (1).

روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَالَ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: لَوَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ} فَبَدَّلُوا، وَدَخَلُوا الْبَابَ يَرْحَفُونَ عَلَى اسْتَاهِهِمْ، فَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ" (2).

أَنَّهُمْ بَدَّلُوا أَمْرَ اللَّهِ لَهُمْ مِنَ الْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، فَأَمَرُوا أَنْ يَدْخُلُوا سُجَّدًا، فَدَخَلُوا يَرْحَفُونَ عَلَى اسْتَاهِهِمْ مِنْ قَبْلِ اسْتَاهِهِمْ رَافِعِي رُؤُوسِهِمْ، وَأَمَرُوا أَنْ يَقُولُوا: حِطَّةً، أَي: أَحْطَطُ عَنَّا دُنُوبَنَا، فَاسْتَهَزَّوْا فَقَالُوا: حِطَّةٌ فِي شَعْرَةٍ. وَهَذَا فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْمُعَانَدَةِ؛ وَلِهَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ بَأْسَهُ وَعَذَابَهُ بِفِسْقِهِمْ، وَهُوَ خُرُوجُهُمْ عَن طَاعَتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (3). وروى مسلم في صحيحه عن أسامة بن زيد: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ" (4).

وذكر القرطبي عن السديِّ وَمُجَاهِدٍ: "وَكَانَ قَصْدُهُمْ خِلَافَ مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ فَعَصَوْا وَتَمَرَّدُوا وَاسْتَهَزَّوْا فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِالرِّجْزِ وَهُوَ الْعَذَابُ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَانَ طَاعُونًا أَهْلَكَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَرُوي أَنَّ الْبَابَ جُعِلَ قَصِيرًا لِيَدْخُلُوهُ رُكْعًا فَدَخَلُوهُ مُتَوَرِّكِينَ عَلَى اسْتَاهِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ" (5).

أن بنى إسرائيل مكنوا من النعمة فنفروا منها، وفتحت لهم أبواب الخير فأبوا دخولها، وأرشدوا إلى القول الذي يكفر سيئاتهم فخالفوا ما أرشدوا إليه مخالفة لا تقبل التأويل، فكانت نتيجة جحودهم ومخالفتهم لأمر الله حرمانهم من تلك النعمة إلى حين، ومعاقبتهم لظلمهم بالعذاب الأليم، وفي هذا التنكير امتنان عليهم ببذل النعمة، لأن عدم قبولهم لها لا يمنع كونها نعمة، وفيه إثارة لحسرة اليهود

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ 516)

(2) [مسلم، صحيح مسلم، التفسير/ادخلوا الباب سجدا، 237/8: 7626].

(3) ينظر، ابن كثير، المرجع السابق (ج1/277)

(4) [مسلم، صحيح مسلم، السلام/الطاعون والطيرة والكهانة وغيرها، 4/ 1737: 2218].

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 411)

المعاصرين للعهد النبوي على ما ضاع من أسلافهم بسبب مخالفتهم وتمردهم وفيه أيضا تحذير لهم من سلوك طريق آبائهم حتى لا يصيبهم ما أصاب أسلافهم من عذاب أليم (1).
 وفي قوله تعالى: وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [البقرة 2 / 57] ، إيماء إلى أن كل ما يأمر به الله من عبادة فإنما نفعه لهم، وما ينهاهم عنه، فإنما ذلك لدفع ضرر يقع بهم، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغِيْكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: 23]، وقوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286] (2).

سادساً: ربط الآيات بالواقع:

أ- أن اليهود بدلوا كلام الله وحرفوه فهم قادرون ان يبدلوا كلام البشر وهم لم يحترموا ولم يعملوا بميثاق الله فهم من باب أولى لن يحترموا أو يعملوا أو ينفذوا ميثاق الأمم المتحدة أو أي ميثاق أرضي وهذا حدث بعد القرارات التي صدر من الأمم المتحدة بالانسحاب من الأراضي التي احتلت في عام 1967 أو 242 يعني أن الاتفاقيات الموقعة مع اليهود لم يلتزموا بها مثل اتفاقية أوسلو وغيرها كما نرى اليوم، وأن الجهاد مع الخضوع لله ﷻ، هو الحل الوحيد لطرد اليهود من أرضنا، والاستغفار سبب للمغفرة؛ لقوله تعالى: {نغفر لكم خطاياكم} ، وسبب للاستزادة أيضاً من الفضل؛ لقوله تعالى: {وسنزيد المحسنين}، نصرنا وعزا وكرمة وتحريير الأقصى بإذن الله ﷻ.

ب- "وفي الآيتين إشعار بأن النعمة ينبغي أن يقابلها شكر، والشكر قول وعمل، وفيهما إشعار أن الأمر بالقول والفعل ينبغي أن يكون تنفيذه حرفياً لا تبديلاً ولا تغييراً، وأن المعصية لا تمر بلا عقوبة، والملاحظ أن السياق كلما تقدم يوضح لنا طبيعة جديدة من طبائع يهود، ليكون ذلك تأسيساً لفهم مواقفهم من الدعوة الجديدة، ولتعتبر هذه الأمة فلا تقع فيما وقع به غيرها، والطبيعة الجديدة لليهود التي عرفناها في هاتين الآيتين هي التحريف في التنفيذ" (3).

ت- وفي الآيات دليل واضح على وحدة الأمة، وتكافل أفرادها، وأن السعادة والشقاوة تعم الجميع من أصول وفروع، وإن لم يسأل الفرع عما فعل أصله، لكنه يتضرر بسوء أصله، وينتفع باستقامة أصله، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْمَاماً﴾ [الأنفال: 25]، وقال سبحانه في كنز الغلامين اليتيمين تحت الجدار: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا

(1) محمد سيد الطنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي (ج1 / 143)

(2) الزحيلي، التفسير المنير (ج1 / 169)

(3) سعيد حوي، الأساس في التفسير (ج1 / 151)

صَلِحًا فَإِذَا رُبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشَدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَاكَ نَزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ وَعَن أَمْرِي ذَلِكَ
تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ [الكهف: ٨٢]، فكان صلاح الأب أو الجد سببا في صلاح الابن
أو الحفيد نفسه، وفي حفظ المال لذريته، أي أن الصلاح يفيد في النفس والمال (١).

(١) الزحيلي، التفسير المنير (ج 1/ 169)

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة البقرة من

الآية (60-74)

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة البقرة من الآية (60-74)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (60-61)

المطلب الأول: تقرير سنة الاستسقاء.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۗ﴾ [البقرة: 60]

أولاً: معاني المفردات:

اسْتَسْقَى: طلب السقيا.

تَعَثُّوا: العثو هو أشد الفساد (1).

بِعَصَاكَ الْحَجَرَ: عصا موسى التي كانت معه منذ خرج من بلاد مدين، والحجر هو حجر مربع الشكل من نوع الكذبان رخو كالمدر.

فَانْفَجَرَتْ: الانفجار: الانفلاق فانفجرت: انفلقت من الحجر العيون.

مَشْرِبَهُمْ: موضع شربهم.

رِزْقِ اللَّهِ: ما رزق الله به العباد من سائر الأغذية (2).

ثانياً: البلاغة:

1. في إضافة الرزق إلى الله تعالى {كُلُوا واشربوا من رِزْقِ اللَّهِ} تعظيم للمنة والإنعام وإيماء إلى أنه رزق من غير تعب ولا مشقة.

2. في التصريح بذكر الأرض {وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ} مبالغة في تقبيح الفساد وقوله {مُفْسِدِينَ} حالٌ مؤكدة ووجه فصاحة هذا الأسلوب أن المتكلم قد تشتت عنايته بأن يجعل الأمر أو النهي لا يحوم حوله لبس أو شك، ومن مظاهر هذه العناية التوكيد فقوله {مُفْسِدِينَ} يكسو النهي عن الفساد قوة، ويجعله بعيداً من أن يُغفل عنه أن يُنسى (3).

ثالثاً: المناسبة:

لا تزال الآيات تعدد النعم على بني إسرائيل، وهذه إحدى النعم العظيمة عليهم حين كانوا في التيه، وعطشوا عطشاً شديداً كادوا يهلكون معه، فدعا موسى ربه أن يغيثهم فأوحى الله إليه أن يضرب

(1) الكواري، تفسير غريب القرآن - (ج2/ 60)

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 62)

(3) الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 55)

بعصاه الحجر، فتفجرت منه عيون بقدر قبائلهم، وكانوا اثنتي عشرة قبيلة فجرى لكل منهم جدول خاص، يأخذون منه حاجتهم لا يشاركونهم فيه غيرهم، وكان موضوع السقيا آية باهرة ومعجزة ظاهرة لسيدنا موسى عليه السلام ومع ذلك كفروا وجحدوا (1).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"واذكروا يا بني إسرائيل يوم طلب نبيكم موسى السقيا لكم من ربه حين اشتد بكم العطش في التيه، فرحمتكم وقلنا لموسى: اضرب بعصاك الحجر، فانفجر الماء من اثنتي عشرة عيناً، فصار لكل جماعة عين وكانوا اثنتي عشرة جماعة فعرفت كل قبيلة مكان شربها، وقلنا لكم: كلوا من المن والسلوى، واشربوا من هذا الماء المتعجر ودعوا ما أنتم عليه، ولا تسرفوا في الإفساد في الأرض بل امتنعوا عن المعاصي" (2).

خامساً: مقاصد وأهداف الآية:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- التضرع بالدعاء لصلاة الاستسقاء:

وأفادت آية (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ) تقرير سنة الاستسقاء، بإظهار العبودية والفقر والمسكنة والذلة مع التوبة النصوح، وقد أقرت شريعتنا سنة الاستسقاء بالخروج إلى المصلى والخطبة والصلاة في رأي جمهور العلماء، لأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم استسقى، فخرج إلى المصلى متواضعاً متذلاً مترسلاً متضرعاً (3) حسبما رواه مسلم عن عبد الله بن زيد المازني، (4) قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى، فاستسقى، وحول رداءه، ثم صلى ركعتين" (5).

وروى البخاري عن أنس بن مالك قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَحَطَ الْمَطَرُ؛ فَادْعَ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، فَدَعَا فَمَطَرْنَا، فَمَا كِدْنَا أَنْ نَصَلَ إِلَيْنَا مَنَازِلَنَا، فَمَا زِلْنَا نُطَرُّ إِلَى الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، قَالَ: فَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعَ اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنَّا

(1) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/ 53)

(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص14)

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 171)

(4) مِنْ فُضَلَاءِ الصَّخَابَةِ، يُعْرَفُ بِأَبْنِ أُمِّ عُمَارَةَ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَاصِمِ بْنِ كَعْبٍ، أَخْدُ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَارِ دَكَرَ ابْنُ مَنْدَةَ فَقَطُّ أَنَّهُ بَدْرِيٌّ، وَقَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ: بَلْ هُوَ أُحْدِي، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ مُسْلِمَةَ بِالسَّيْفِ مَعَ رَمِيَّةٍ وَخَشِي لَهْ بِحَرِيَّتِهِ، وَهُوَ عَمُّ عَبَادِ بْنِ تَمِيمٍ، قِيلَ: إِنَّهُ قُتِلَ يَوْمَ الْحَرَّةِ، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، الذَّهَبِيُّ، سِيرَ أَعْلَامِ النَّبِيَاءِ (ج4/ 38)

(5) [مسلم، صحيح مسلم، باب الاستسقاء، 23/3: رقم الحديث 2025].

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اللَّهُمَّ حَوَالِيَا وَلَا عَائِنَا " قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ السَّحَابَ يَنْقَطِعُ يَمِينَنَا وَشِمَالًا يُمَطَّرُونَ وَلَا يُمَطَّرُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ" (1).

2- سنة الاستسقاء جامعة لنعمة الدنيا والدين:

يقول الرازي: " وَهُوَ جَامِعٌ لِنِعَمِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، أَمَا فِي الدُّنْيَا فَلِأَنَّهُ تَعَالَى أزال عَنْهُمْ الْحَاجَةَ الشَّدِيدَةَ إِلَى الْمَاءِ وَلَوْلَا هَلْكَوا فِي النَّيْبِ، كَمَا لَوْلَا أَنْزَالُهُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى لَهَلَّكُوا، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا آلًا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: 8]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30]، بَلِ الْإِنْعَامُ بِالْمَاءِ فِي النَّيْبِ أَعْظَمُ مِنَ الْإِنْعَامِ بِالْمَاءِ الْمُعْتَادِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُ إِلَى الْمَاءِ فِي الْمَفَازَةِ وَقَدْ انْشَدَّتْ عَلَيْهِ أَبْوَابُ الرَّجَاءِ لِكَوْنِهِ فِي مَكَانٍ لَا مَاءَ فِيهِ وَلَا نَبَاتَ، فَإِذَا رَزَقَهُ اللَّهُ الْمَاءَ مِنْ حَجَرٍ ضُرِبَ بِالْعَصَا فَانْشَقَّ وَاسْتَقَى مِنْهُ عِلْمٌ أَنَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ لَا يَكَادُ يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنَ النَّعَمِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ مِنْ نِعَمِ الدِّينِ فَلِأَنَّهُ مِنْ أَظْهَرِ الدَّلَائِلِ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ وَقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَمِنْ أَصْدَقِ الدَّلَائِلِ عَلَى صِدْقِ مُوسَى ﷺ" (2).

ويقول القشيري: " إن الذي قدر على إخراج الماء من الصخرة الصماء كان قادرا على إروائهم بغير ماء ولكن لإظهار أثر المعجزة فيه، وإيصال محل الاستغاثة إليه، وليكون على موسى ﷺ - أيضا في نقل الحجر - مع نفسه شغل، ولتكليفه أن يضرب بالعصا مقاساة نوع من معالجة ما أمضى حكمه عند استسقاؤه لقومه" (3).

3- ما هو الحجر الذي ضربه موسى ﷺ:

رُوي أَنَّهُ كَانَ حَجْرًا طَوْرِيًّا مَكْعَبًا حَمَلَهُ مَعَهُ وَكَانَ يَنْبُعُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ مِنْهُ ثَلَاثَ أَعْيُنٍ يَسِيلُ كُلُّ عَيْنٍ فِي جَدُولٍ إِلَى سَبْطٍ وَكَانُوا سِتْمَانَةَ أَلْفٍ، وَسَعَةَ الْمَعْسُكْرِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيْلًا أَوْ كَانَ حَجْرًا أَهْبَطَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ آدَمَ ﷺ مِنَ الْجَنَّةِ وَوَقَعَ إِلَى شُعَيْبِ ﷺ فَأَعْطَاهُ مُوسَى ﷺ مَعَ الْعَصَا أَوْ كَانَ هُوَ الْحَجَرُ الَّذِي فَرَّ بِثَوْبِهِ حَيًّا وَضَعَهُ عَلَيْهِ لِيُغْتَسَلَ وَيَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَمَّا رَمَوْهُ بِهِ مِنَ الْأَدْرَةِ فَأَشَارَ إِلَيْهِ جَبْرِيلُ ﷺ أَنَّ يَحْمِلَهُ أَوْ كَانَ حَجْرًا مِنَ الْحِجَارَةِ وَهُوَ الْأَظْهَرُ فِي الْحِجَّةِ، قِيلَ لَمْ يَوْمَرْ ﷺ بِضَرْبِ حَجَرٍ بَعِينِهِ وَلَكِنْ لَمَّا قَالُوا كَيْفَ بَنَّا لَوْ أَفْضَيْنَا إِلَى أَرْضٍ لَا حِجَارَةَ بِهَا حَمَلٌ حَجْرًا فِي مَخْلَاتِهِ وَكَانَ يَضْرِبُهُ بَعْصَاهُ إِذَا نَزَلَ فَيَتَفَجَّرُ وَيَضْرِبُهُ إِذَا ارْتَحَلَ فَيَبْسُ فَقَالُوا إِنَّ فَقَدَ مُوسَى عَصَاهُ مِتْنَا عَطْشًا فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ لَا تَقْرَعِ الْحَجَرَ وَكَلِمَتُهُ يُطْعُكَ لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ وَقِيلَ كَانَ الْحَجَرُ مِنْ رُخَامٍ حَجْمُهُ ذِرَاعٌ فِي ذِرَاعٍ وَالْعَصَا عَشْرَةَ أَذْرُعٍ عَلَى طَوْلِهِ ﷺ" (4).

(1) [البخاري، صحيح البخاري، الجمعة/ الاستسقاء على المنبر، 29/2: 1015].

(2) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 528)

(3) القشيري، لطائف الإشارات (ج1/ 94)

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج1/ 105)

وحكى المفسرون أقوالاً كثيرة في الحجر الذي ضربه موسى فجرت منه العيون ما هو؟ وكيف وصفه؟ وقد ضربنا صفحاً عن هذا الأقوال والذي يكفي في فهم معنى الآية أن واقعة انفجار الماء إنما كان على وجه «المعجزة» وأن الحجر الذي ضربه موسى كان من الصخر الأصم الذي ليس من شأنه الانفجار بالماء، وهنا تكون المعجزة أوضح، والبرهان أسطع قال الحسن البصري: لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه قال: وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة (1).

4- العصا كان فيها أربع آيات عظيمة:

- أ- أنه يلقيها، فتكون حية تسعى، ثم يأخذها، فتعود عصا.
- ب- أنه يضرب بها الحجر، فينفجر عيوناً.
- ت- أنه ضرب بها البحر، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم.
- ث- أنه ألقاها حين اجتمع إليه السحرة، وألقوا حبالهم، وعصيهم، فألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون (2).

5- الحكمة من جعل الماء اثنتي عشرة عيناً:

والجواب: "أن قوم موسى كانوا كثيرين وكانوا في الصحراء، والناس إذا اشتدت بهم الحاجة إلى الماء ثم وجدوه فإنه يقع بينهم تشاجر وتنازع، فأكمل الله هذه النعمة بأن عين لكل سبط منهم ماءً معيناً على عددهم لأنهم كانوا اثني عشر سبطاً، وهم ذرية أبناء يعقوب الاثني عشر والله أعلم" (3).

6- وجوه الإعجاز من انفجار الماء من الحجارة:

- مِنْ كَمْ وَجْهِ يَدُلُّ هَذَا الْإِنْفِجَارُ عَلَى الْإِعْجَازِ؟ وَالْجَوَابُ: مِنْ وَجْهِ:
- أ- أَنَّ نَفْسَ ظُهُورِ الْمَاءِ مُعْجَزٌ.
 - ب- خُرُوجُ الْمَاءِ الْعَظِيمِ مِنَ الْحَجَرِ الصَّغِيرِ.
 - ت- خُرُوجُ الْمَاءِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِمْ.
 - ث- خُرُوجُ الْمَاءِ عِنْدَ ضَرْبِ الْحَجَرِ بِالْعَصَا.
 - ج- انْقِطَاعُ الْمَاءِ عِنْدَ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُ.
- فَهَذِهِ الْوُجُوهُ الْخَمْسَةُ لَا يُمَكِّنُ تَحْصِيلُهَا إِلَّا بِقُدْرَةٍ تَامَّةٍ نَافِذَةٍ فِي كُلِّ الْمُمْكِنَاتِ وَعِلْمٍ نَافِذٍ فِي جَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ وَحِكْمَةٍ عَالِيَةٍ عَلَى الدَّهْرِ وَالزَّمَانِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (4).

(1) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/ 55)

(2) انظر، ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 206)

(3) الصابوني، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(4) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 530)

وأن الله تعالى قد كان قادراً على تفجير الماء وقلق البحر من غير ضرب لكن أراد أن يربط المسببات بالأسباب حكمة منه للعباد في وصولهم إلى المراد وليترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم في المعاد، ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فإنه لما أمكن أن يكون من الأحجار ما يخلق الشعر ويمقر الخل (1)، ويجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله حجراً يسخره لجذب الماء من تحت الأرض أو لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد (2).

7- معجزة النبي ﷺ أعظم من معجزة موسى عليه السلام:

مَا أوتِيَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ نَبْعِ الْمَاءِ وَأَنْفِجَارِهِ مِنْ يَدِهِ وَبَيَّنَّ أَصَابِعِهِ أَعْظَمُ فِي الْمُعْجَزَةِ فَإِنَّا نَشَاهِدُ الْمَاءَ يَتَعَجَّرُ مِنَ الْأَحْجَارِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَنَاءَ النَّهَارِ وَمُعْجَزَةُ نَبِيِّنَا ﷺ لَمْ تَكُنْ لِنَبِيِّ قَبْلَ نَبِيِّنَا ﷺ يَخْرُجُ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ لَحْمٍ وَدَمٍ!

رَوَى الْأَيْمَةُ النَّقَاتُ وَالْفُقَهَاءُ الْأَنْبَاءُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّ نَجِدْ مَاءً فَأُتِيَ بِتَوْرٍ (3)، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَتَعَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَيَقُولُ (حَيَّ عَلَى الطُّهُورِ)، قَالَ الْأَعْمَشُ: فَحَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ قُلْتُ لِجَابِرٍ كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَلْفًا وَحَمْسَمِائَةٍ (4).

8- المعجزات من صنع الله:

إن المعجزات كلها من صنع الله، وهي سنة جديدة غير ما نشاهد كل يوم، فحركة الشمس وطلوعها من المشرق مع عظمها لا تحدث دهشة لتعودنا إياها، ولكن إن طلعت من المغرب دون المشرق كانت معجزة وأحدث غرابة ودهشة مع أن الحركتين من صنع الله لا فارق بينهما، ولكي لا تحدث الصدمة حين حصول المعجزة يهيئ الله الظروف لتحملها، ويهيئ النبي لقبولها، ويهيئ الحاضرين لمشاهدتها وقبولها، فأمر الله موسى بإدخال يده في جيبه وإخراجها بيضاء تهيئة لمعجزاته الأخرى، وليس للعقل أن يحكم أن أي المعجزات أعظم من الأخرى، لأنه يتكلم عن مجهول هو من صنع الله لا يعرفه، فلا يمكن الإنسان مهما ارتقى عقله أن يصل إلى صنعها، بل هي فوق قدرته.

أما المخترعات العلمية فهي مبنية على السنن العلمية، مهما ظهرت مدهشة كالكهرباء و(التليفون) وغاية ما هناك أن العلماء سخروها لأغراضهم، فالذي يتكلم في أوربا ويسمع صوته في مصر بوساطة (الراديو) إنما استطاع ذلك، لأنه قد استخدم الهواء الذي يحمل أمواج الصوت إلى العالم كله، وهكذا حال سائر المخترعات، إنما هي كشف لنا موس إلهي يتكرر دائماً على يد كل إنسان، لكن المعجزات

(1) مَقَرَّ الشَّيْءُ بِالْكَسْرِ يَمَقَّرُ مَقَرًّا، أَي صَارَ مَرًّا، فَهُوَ شَيْءٌ مَقَرٌّ، الْجَوْهَرِيُّ، مُنْتَخَبٌ مِنْ صَحَاحِ (ص 4953)

(2) إِسْمَاعِيلُ حَقِي، رُوحُ الْبَيَانِ (ج 1/ 147)

(3) (بتور) إِنَاءٌ يَشْبَهُ الطُّشْتِ مَصْنُوعٌ مِنْ نَحَاسٍ أَوْ حِجَارَةٍ، صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ (ج 1/ 49) [تَعْلِيقُ مِصْطَفَى الْبَغَا]

(4) الْقُرْطُبِيُّ، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ (ج 1/ 421)، [الْبَخَارِيُّ صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ، الْأَشْرِبَةُ/ شَرِبَ الْبُرْكَةَ وَالْمَاءَ الْمُبَارَكُ،

114/7: رَقْمُ الْحَدِيثِ 5639].

تجرى على طراز آخر، فهي خلق سنة جديدة في الكون، ولا تتكرر إلا بإذن الله، ولا يعرف الإنسان لها قاعدة ولا يدرك طريقاً لصنعها (1).

9- كفران نعمة الله فيه الهلاك:

الإنسان حينما يكون مضطراً يلتزم بما يطلبه الله منه ويكون ملتزماً بالأداء، فإذا فرج الله كربته وعادت إليه النعمة يعود إلى طغيانه، ولذلك يقول الحق ﷻ فيها: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، أي لا يكون شكركم على النعمة بالإفساد في الأرض، وقرأ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ [سبأ: ١٥ - ١٦]، هنا نرى أن أهل سبأ رزقهم الله فأعرضوا عن شكره، كانوا يتيهون بالسد الذي يحفظ لهم مياه الأمطار، ويمدهم بما يحتاجون إليه منها طوال العام، وأخذوا يتفاخرون بعلمهم ونسوا الله الذي علمهم، فكان هذا السد هو النكبة أو الكارثة التي أهلكت زرعهم، كذلك حدث لبني إسرائيل، قيل لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، فأفسدوا في الأرض ونسوا نعمة الله فنزل بهم العذاب (2).

10- معنى الفساد في الأرض:

﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، يقول ابن حيان: "لَمَّا أُمِرُوا بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ، وَلَمْ يُعَيِّدْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بَرَمَانَ وَلَا مَكَانٍ وَلَا مِقْدَارٍ مِنْ مَأْكُولٍ أَوْ مَشْرُوبٍ، كَانَ ذَلِكَ إِنْعَامًا وَإِحْسَانًا جَزِيلاً إِلَيْهِمْ، وَاسْتَدْعَى ذَلِكَ التَّبَسُّطَ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ، وَأَنَّهُ حَتَّى لَا يُقَابِلُوا تِلْكَ النِّعَمَ بِمَا يُكْفِرُهَا، وَهُوَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ: مَعْنَاهُ وَلَا تَسْعُوا، وَقَالَ قَتَادَةُ: وَلَا تَسِيرُوا، وَقِيلَ: لَا تَنْتَظِلُوا الشُّرْبَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، لِأَنَّ كُلَّ سَبِيٍّ مِنْكُمْ قَدْ جُعِلَ لَهُ شَرِبٌ مَعْلُومٌ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا تَوَخَّرُوا الْغَدَاءَ، فَكَانُوا إِذَا أَحْرَوْهُ فَسَدَ."

﴿وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا تُخَالِطُوا الْمُفْسِدِينَ﴾. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا تَتَمَادَوْا فِي فَسَادِكُمْ. وَقِيلَ: لَا تَطْعَمُوا، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا قَرِيبٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ (3).

سابعاً: ربط الآية بالواقع:

1- ربط الأسباب بالمسببات إن من أهم أسباب منع المطر هو منع الزكاة فإذا منع الناس الزكاة

منع الله المطر كما جاء في الحديث عن عبدالله بن عمر ؓ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَقَالَ: " يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ حَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ

(1) المراغي، تفسير المراغي (ج1/ 128)

(2) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 362)

(3) ابن حيان، البحر المحيط في التفسير (ج1/ 373)

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ: ذلك إشارة إلى ما أصابهم من الذلة والمسكنة والغضب وبأنهم أي بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وعصيانهم، فالباء سببية.

الاعتداء: مجاوزة الحق إلى الباطل، والمعروف إلى المنكر والعدل إلى الظلم (1).

ثانياً: البلاغة:

"قوله تعالى {مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ} المنبت الحقيقي هو الله سبحانه ففيه جاز يسم (المجاز العقلي) وعلاقته السببية لأن الأرض لما كانت سبباً للنبات أسند إليها.

قوله {وَصُزِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ} كناية عن إحاطتهما بهم كما تحيط القبة بمن ضربت عليه تقييد قتل الأنبياء بقوله {بِغَيْرِ الْحَقِّ} مع أن قتلهم لا يكون بحق البتة إنما هو لزيادة التشنيع بقبح عدوانه (2).

ثالثاً: المناسبة:

ولما امتنّ عليهم بهذه النعمة العظيمة من أكل المن والسلوى وشرب هذا الماء الرباني بين أنهم كفروها بالتضجر منها وطلب غيرها وبالتالي كان قريباً منها بل كما أن هذه في غاية العلو كان مطلوبهم في غاية الدناءة والسفول فقال تعالى {وَإِذْ قُلْتُمْ} أي بعد هذه النعم كلها {يَا مُوسَى} منادين له باسمه من غير تعظيم {لَنْ نَصْبِرَ} أي طويلاً {على طعام} قال الحرالي: الطعام ما يقوت المتطمع ويصير جزءاً منه {فلينظر الإنسان إلى طعامه} [عبس: 24] (3).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"واذكروا - أيها اليهود - أيضاً يوم سيطر البطر على أسلافكم، ولم يؤدوا لنعمة الله حقها فقالوا لموسى: إننا لن نصبر على طعام واحد (وهو المن والسلوى) فادع لنا ربك كي يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقولها وقتائها وعدسها وثمرها وبصلها، فتعجب موسى من ذلك، وأنكره عليهم فقال لهم: أتفضلون هذه الأصناف على ما هو أفضل وأحسن، وهو المن والسلوى؟ فانزلوا إذن من سيناء وادخلوا مدينة من المدن فإنكم ستجدون فيها ما تريدون، وبسبب ذلك البطر والعناد أحاطت بهؤلاء اليهود المذلة والفقر والخنوع، واستحقوا غضب الله عليهم لما ألفوه من العناد والعصيان، وما جروا عليه من الكفر بآيات الله وقتلهم الأنبياء مخالفين بذلك الحق الثابت المقرر، وقد جرأهم على ذلك - الكفر وهذا القتل - ما رُكِّب في نفوسهم من التمرد والعدوان ومجاوزة الحد في المعاصي" (4).

(1) الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 62)

(2) الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 55)

(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج1/ 412)

(4) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص15)

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات.

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- سبب سؤالهم موسى ﷺ تبديل الطعام؟:

قال ابن جرير: "وكان سبب مسألتهم موسى ﷺ ذلك فيما بلغنا عن قتادة أنه قال: كان القوم في البرية قد ظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى فملوا ذلك، وذكروا عيشاً كان لهم بمصر، فسألوه موسى، فقال الله تعالى: اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ" (1).

ثم ساق ابن جرير رواية: فيها تصريح بأن سؤالهم لم يكن في البرية بل كان في التيه فقال: "حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أنبأنا ابن زيد قال: "كان طعام بنى إسرائيل في التيه واحداً، وشرابهم واحداً كان شرابهم عسلاً ينزل لهم من السماء يقال له المن، وطعامهم طير يقال له السلوى، يأكلون الطير ويشربون العسل، لم يكونوا يعرفون خبزاً ولا غيره، فقالوا يا موسى: إنا لن نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا فَفَرَأَ حَتَّى بَلَغَ قَوْلَهُ تَعَالَى اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ" (2).

وقد جرى أبو حيان وصاحب الكشاف - في تفسيريهما - على أن سؤالهم لموسى ﷺ كان في التيه.

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ:

لما سئموا من الإقامة في التيه. والمواظبة على مأكول واحد لبعدهم عن الأرض التي ألفوها، وعن العوائد التي عهدوها، أخبروا عما وجدوه من عدم الصبر على ذلك، وتشوقهم إلى ما كانوا يأفون، وسألوا موسى أن يسأل الله لهم (3).

وقال صاحب الكشاف: "كانوا أهل فلاحه فنزعوا إلى عكرهم (4) فأجموا - أي ملوا وكرهوا - ما كانوا فيه من النعمة وطلبت أنفسهم عدم البقاء على طعام واحد أرادوا ما رزقوه في التيه من المن والسلوى" (5).

2- سوء أدبهم مع موسى ﷺ:

فِي صِيغَةِ طَلِبِهِمْ مِنَ الْجَفَاءِ وَقِلَّةِ الْأَدَبِ مَعَ الرَّسُولِ وَمَعَ الْمُنْعِمِ إِذْ قَالُوا: لَنْ نَصْبِرَ فَعَبَّرُوا عَنْ تَنَاوُلِ الْمَنْ وَالسَّلْوَى بِالصَّبْرِ الْمُسْتَلْزِمِ الْكِرَاهِيَّةِ وَأَتَوْا بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ (لَنْ) فِي حِكَايَةِ كَلَامِهِمْ مِنْ أَنَّهُمْ لَا يَتَنَاوَلُونَ الْمَنْ وَالسَّلْوَى مِنَ الْآنَ فَإِنَّ (لَنْ) تَدُلُّ عَلَى اسْتِعْرَاقِ النَّفْيِ لِأَزْمِنَةِ فِعْلِ نَصْبِرَ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا وَهُوَ مَعْنَى التَّأْيِيدِ وَفِي ذَلِكَ الْجَاءِ لِمُوسَى أَنْ يُبَادِرَ بِالسُّؤَالِ يَطُئُونَ أَنَّهُمْ أَيَّسُوهُ مِنْ قَبُولِ الْمَنْ وَالسَّلْوَى بَعْدَ ذَلِكَ الْحِينِ فَكَانَ جَوَابُ اللَّهِ لَهُمْ فِي هَذِهِ الطَّلِبَةِ أَنْ قَطَعَ عِنَايَتَهُ بِهِمْ وَأَهْمَلَهُمْ وَوَكَّلَهُمْ إِلَى نَفْسِهِمْ وَلَمْ

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج2/ 125)

(2) الطبري، المرجع السابق (ص125)

(3) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (ج1/ 374)

(4) فنزعوا إلى عكرهم: أي حنوا إلى أصلهم وعادتهم، الطنطاوي، التفسير الوسيط (ج1/ 147)

(5) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج1/ 145)

يُرِهِمْ مَا عَوَّدَهُمْ مِنْ أَنْزَالِ الطَّعَامِ وَتَفْجِيرِ الْعُيُونِ بَعْدَ فُلْقِ الْبَحْرِ وَتَظْلِيلِ الْعَمَامِ بَلْ قَالَ لَهُمْ: اهْبِطُوا مِصْرًا فَأَمَرَهُمْ بِالسَّعْيِ لِأَنْفُسِهِمْ وَكَفَى بِذَلِكَ تَأْذِيبًا وَتَوْبِيخًا (1).

يقول ابن عثيمين: " هذا توسل منهم بموسى ليدعو الله ﷻ لهم؛ وكلمة {فادع لنا ربك} تدل على جفاء عظيم منهم؛ فهم لم يقولوا: "ادع لنا ربنا"، أو "ادع الله"؛ بل قالوا: "ادع لنا ربك"، كأنهم بريئون منه. والعياذ بالله؛ وهذا من سفههم، وغطرستهم، وكبريائهم" (2).

3- فضل المن والسلوى:

أَسْتَبْدِلُونَ النِّقْلَ وَالْقَتَاءَ وَالْفُومَ وَالْعَدَسَ وَالْبَصَلَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالْمَنْ وَالسَّلْوَى الَّذِي هُوَ خَيْرٌ. وَأُخْتَلَفَ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي تُوجِبُ فَضْلَ الْمَنْ وَالسَّلْوَى عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي طَلَبُوهُ وَهِيَ خَمْسَةٌ:

أ- أَنَّ النُّقُولَ لَمَّا كَانَتْ لَا خَطَرَ لَهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَنْ وَالسَّلْوَى كَانَا أَفْضَلَ، قَالَهُ الرَّجَّاجُ.

ب- لَمَّا كَانَ الْمَنْ وَالسَّلْوَى طَعَامًا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ وَأَمَرَهُمْ بِأَكْلِهِ وَكَانَ فِي اسْتِدَامَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَشُكْرِ نِعْمَتِهِ أَجْرٌ وَدُخْرٌ فِي الْآخِرَةِ، وَالَّذِي طَلَبُوهُ عَارٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَائِلِ كَانَ أَدْنَى فِي هَذَا الْوَجْهِ.

ت- لَمَّا كَانَ مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ أَطْيَبَ وَالَّذِي سَأَلُوهُ، كَانَ مَا سَأَلُوهُ أَدْنَى مِنْ هَذَا الْوَجْهِ لَا مَحَالَةَ.

ث- لَمَّا كَانَ مَا أُعْطُوا لَا كُلْفَةَ فِيهِ وَلَا تَعَبَ، وَالَّذِي طَلَبُوهُ لَا يَجِيءُ إِلَّا بِالْحَرْثِ وَالزَّرَاعَةِ وَالتَّعَبِ كَانَ أَدْنَى.

ج- لَمَّا كَانَ مَا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ لَا مِزِيَةَ فِي حِلِّهِ وَخُلُوصِهِ لِنُزُولِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، الْحُبُوبِ وَالْأَرْضِ يَتَخَلَّلُهَا النَّبِيُّوعُ وَالْعُصُوبُ وَتَدْخُلُهَا الشُّبُهَةُ، كَانَتْ أَدْنَى مِنْ هَذَا الْوَجْهِ (3).

4- بني إسرائيل قتل الأنبياء:

ذكر الله قتل الأنبياء على يد اليهود في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ مَا لَكُمْ لَتَهَوَّيْ أَنْفُسَهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة: 70]

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: 91].

وجاء في السنة أحاديث كثيرة تتحدث عن قتل اليهود لأنبيائهم منها ما روى أبو داود والطاليسي وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال: "كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلاثمائة نبي ثم يُقيمون سوق بقلهم في آخر النهار" (4).

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ 521)

(2) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 211)

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 428)

(4) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، 1/126: رقم الحديث [631].

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيًّا وَإِمَامًا ضَلَالَةً وَمِثْلَ مَنْ يَمُوتُ مِنَ الْمَمْتَلِينَ" (1).

وقال ابن عاشور: "قَدْ قَتَلَ الْيَهُودُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَشْعِيَاءَ بَنَ أَمْوَصَ الَّذِي كَانَ حَيًّا فِي مُنْتَصَفِ الْقُرْنِ الثَّامِنِ قَبْلَ الْمَسِيحِ، قَتَلَهُ الْمَلِكُ مَنْسِيٌّ مَلِكُ الْيَهُودِ سَنَةَ 700 قَبْلَ الْمَسِيحِ نُشِرَ نَشْرًا عَلَى جِدْعِ شَجَرَةٍ، وَأَرْمِيَاءَ النَّبِيِّ الَّذِي كَانَ حَيًّا فِي أَوْاسِطِ الْقُرْنِ السَّابِعِ قَبْلَ الْمَسِيحِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَكْثَرَ التَّوْبِيخَاتِ وَالنَّصَائِحِ لِلْيَهُودِ فَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ وَفِي ذَلِكَ خِلَافٌ، وَزَكَرِيَّا الْأَخِيرَ أَبَا يَحْيَى قَتَلَهُ هِيرُودُسُ الْعِبْرَانِي مَلِكُ الْيَهُودِ مِنْ قَبْلِ الرُّومَانِ، لِأَنَّ زَكَرِيَّا حَاوَلَ تَخْلِيصَ ابْنَتِهِ يَحْيَى مِنَ الْقَتْلِ وَذَلِكَ فِي مُدَّةِ نُبُوَّةِ عِيسَى، وَيَحْيَى بَنَ زَكَرِيَّا قَتَلَهُ هِيرُودُسُ لِعُضْبِ ابْنَتِهِ أُخْتِ هِيرُودُسَ عَلَى يَحْيَى" (2).

5- قتل الأنبياء بغير الحق:

قال القرطبي: "[بغير الحق] تعظيم للشنعة والذنب الذي أتوه، فإن قيل هذا دليل على أنه قد يصح أن يقتلوا بالحق ومعلوم أن الأنبياء معصومون من أن يصدر منهم ما يقتلون به؟ قيل له: ليس كذلك، وإنما خرج هذا مخرج الصفة لقتلهم أنه ظلم وليس بحق، فكان هذا تعظيمًا للشنعة عليهم، ومعلوم أنه لا يقتل نبي بحق، ولكنه يقتل على الحق" (3).

وقال السعدي: "[بغير الحق] زيادة شناعة، وإلا فمن المعلوم أن قتل النبيين لا يكون بحق، لكن لئلا يظن جهلهم وعدم علمهم" (4).

6- نكر قتل الأنبياء ولم يذكر قتل الرسل:

وَأَيْمًا قَالَ (الْأَنْبِيَاءُ) لِأَنَّ الرُّسُلَ لَا تُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ أَعْدَاؤُهُمْ لِأَنَّهُ مُنَافٍ لِحِكْمَةِ الرِّسَالَةِ الَّتِي هِيَ التَّبْلِيغُ قَالَ تَعَالَى: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا [غافر: 51]، وَقَالَ: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ [المائدة: 67]، وَمَنْ تَمَّ كَانَ ادِّعَاءُ النَّصَارَى أَنَّ عِيسَى قَتَلَهُ الْيَهُودُ ادِّعَاءً مُنَافِيًا لِحِكْمَةِ الإِرْسَالِ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنَّهُى مُدَّةَ رِسَالَتِهِ بِحُصُولِ الْمَقْصِدِ مِمَّا أُرْسِلَ إِلَيْهِ (5).

فإن قيل: كيف جاز أن يخلى بين الكافرين وقتل الأنبياء؟ "أجيب ذلك كرامة لهم، وزيادة في منازلهم، كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين، وليس ذلك بخذلان لهم، قال ابن عباس والحسن البصري: لم يقتل نبي قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال، وكل من أمر بقتال نصر" (6).

(1) [أحمد بن حنبل، مسند أحمد/مسند عبدالله بن مسعود ﷺ 413/6: رقم الحديث 3868]، [حكم الألباني حسن]

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (1/ 530)

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 432)

(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص53)

(5) ابن عاشور، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(6) الزحيلي التفسير المنير (ج1/ 176)

7- الفرق بين المعصية والعدوان:

قوله تعالى: ذلك المشار إليه ما سبق من كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق؛ {بما عصوا} الباء للسببية، (والمعصية الخروج عن الطاعة إما بترك المأمور؛ وإما بفعل المحذور)؛ {وكانوا يعتدون} معطوف على قوله تعالى: {بما عصوا}؛ (والاعتداء مجاوزة الحد إما بالامتناع عما يجب للغير؛ أو بالتعدي عليه).

والفرق بين "المعصية"، و "العدوان" إذا ذكرا جميعاً: أن "المعصية" فعل ما نهى عنه؛ و "الاعتداء" تجاوز ما أمر به، مثل أن يصلي الإنسان الظهر مثلاً خمس ركعات؛ وقيل: إن "المعصية" ترك المأمور؛ و "العدوان" فعل المحذور (1)، أن اليهود اتصفوا بصفتين سيئتين:

أ- ارتكاب المعاصي لقوله تعالى: ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ [البقرة: 61]

ب- الاعتداء: وَكَانُوا يَعْتَدُونَ فَالْمُرَادُ مِنْهُ الظُّلْمُ: أَي تَجَاوَزُوا الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ إِنْزَالَ الْعُقُوبَةَ بِهِمْ بَيَّنَّ عَلَّةَ ذَلِكَ فَبَدَأَ أَوْلَا بِمَا فَعَلُوهُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ جَهْلُهُمْ بِهِ وَجَحْدُهُمْ لِنِعْمِهِ ثُمَّ تَنَاهَا بِمَا يَتْلُوهُ فِي الْعِظَمِ وَهُوَ قَتْلُ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ تَلَّثَّهُ بِمَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي تَخْصُهُمْ ثُمَّ رَبَعَ بِمَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي الْمُتَعَدِّيَةِ إِلَى الْغَيْرِ مِثْلَ الْإِعْتِدَاءِ وَالظُّلْمِ (2).

سابعاً: ربط الآية بالواقع:

أ- لؤم بني إسرائيل، وسفهمهم؛ حيث إنهم طلبوا أن يغير لهم الله هذا الرزق الذي لا يوجد له نظير بقولهم: (لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقتانها وفومها وعدسها وبصلها)

ب- أن من علو همة المرء أن ينظر للأكمل، والأفضل في كل الأمور وان يكون هدف الإنسان رضى الله والفردوس الأعلى.

ت- أن الله غضب عليهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِبَشَرٍ مِنْ ذَلِكَ فَتُؤْتَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطُّغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦١﴾ [المائدة: 60]

ث- أن من اختار الأدنى على الأعلى ففيه شبه من اليهود؛ ومن ذلك هؤلاء الذين يختارون الشيء المحرم على الشيء الحلال، فاليهود اختاروا الثوم والبصل على المن والسلوى.

(1) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 214)

(2) انظر، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 535)

ج- ضرب الذلة على بني إسرائيل؛ وقد ذكر الله تعالى أنهم ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وهو الإسلام؛ أو بحبل من الناس وهو المساعدات الخارجية؛ والمشاهد الآن أن اليهود أعزاء بما يساعدهم إخوانهم من النصارى

ح- أن اليهود قد ضربت عليهم المسكنة وهي الفقر؛ ويشمل فقر القلوب الذي هو شدة الطمع بحيث أن اليهودي لا يشبع، ولا يتوقف عن طلب المال ولو كان من أكثر الناس مالا؛ ويشمل أيضاً فقر المال وهو قتلته.

خ- أن بني إسرائيل لا ينتصرون على المسلمين لو حاربوهم؛ لأن ضرب الذلة بسبب المعصية؛ فإذا حاربوا بالطاعة والإسلام فلا شك أنه سيكون الوبال عليهم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي فُرَى مُّحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر: 14].

د- وما يشاهد اليوم من مقاتلة اليهود للعرب فإنما ذلك لسببين:

السبب الأول: قلة الإخلاص لله تعالى؛ فإن كثيراً من الذين يقاتلون اليهود أو أكثرهم، لا يقاتلونهم باسم الإسلام، وأن تكون كلمة الله هي العليا؛ وإنما يقاتلونهم باسم العروبة؛ فهو قتال عصبي قبلي؛ ولذلك لم يفلح العرب في مواجهة اليهود، أما الرجال المخلصين من المقاومة الفلسطينية الذين تربوا على موائد القرآن في المساجد وعلى العقيدة الصحيحة هم الذين كسروا أنوف اليهود وأذلّوهم في غزة.

والسبب الثاني: كثرة المعاصي من الكبائر والصغائر، حتى إن بعضها ليؤدي إلى الكفر؛ وقد حصل للمسلمين في أحد ما حصل بمعصية واحدة مع ما انضم إليها من التنازع، والفشل، وحب الدنيا من الآخرة كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مِمَّا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿[آل عمران: 152]، إذن الإخلاص والبعد عن المعاصي والوحدة وكثرة الذكر من أسباب النصر كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنفال: 45 -

[46

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (62-66)

المطلب الأول: الإيمان والعمل الصالح سبب الفوز والصلاح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيَّةَ مِنْ أُمَّةٍ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ [البقرة: 62]

أولاً: معاني المفردات:

الَّذِينَ آمَنُوا: هم المسلمون آمنوا بالله ووحده وآمنوا برسوله واتبعوه⁽¹⁾.

هَادُوا: أي صاروا يهوداً وانتسبوا إلى دين اليهود، وهي شريعة موسى نسبة إلى جدهم «يهودا» أكبر ولد يعقوب، سواء كان الواحد منهم من سبط يهوذا أو من باقي الأسباط، فاليهود: علم أعجمي على هذه الأمة من الناس، وقيل: اليهود جمع يهودي.

وَالنَّصَارَى: جمع نصران كسكران، والنسبة إليه: نصراني لتناصُرهم، فهي على هذا عربية مشتقة، وقيل: من الناصرة في شمال فلسطين، فهي علم أعجمي.

وَالصَّابِئِينَ: أظهر الأقوال أنهم قوم ليسوا على دين اليهود، ولا النصرى، ولا المجوس، ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا يتدَيَّنون بدين⁽²⁾.

ثانياً: البلاغة:

الفرق بين الخوف والحزن:

قوله تعالى: {ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}؛ الخوف هو الهَمُّ مما يستقبل؛ والحزن: هو الغم على ما فات من محبوب، أو ما حصل من مكروه؛ ولهذا يقال لمن أصيب بمصيبة: إنه محزون؛ ويقال لمن يتوقع أمراً مرعباً، أو مروعاً إنه خائف؛ وقد يطلق الحزن على الخوف مما يستقبل، كقول النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: لا تحزن إن الله معنا⁽³⁾، وَلَمَّا كَانَ الْخَوْفُ وَالْحُزْنُ مُتَلَازِمَيْنِ كَانَتْ خُصُوصِيَّةً كُلِّ مِنْهُمَا سَارِيَّةً فِي الْآخِرِ.

ثالثاً: سبب النزول:

نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي، وكان من أهل جند سابور من أشرفهم⁽⁴⁾.

(1) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 64)

(2) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 62)

(3) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 222)

(4) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج2/ 150)

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قَالَ سَلْمَانُ: "سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أَهْلِ دِينِ كُنْتُمْ مَعَهُمْ، فَذَكَرَ مِنْ صَلَاتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ، فَنَزَلَتْ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" (1).

وأخرج الواحدي عن مجاهد قال: "لما قص سلمان على رسول الله ﷺ قصة أصحابه قال: هم في النار قال سلمان: فأظلمت عليّ الأرض، فنزلت إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا إِلَى قَوْلِهِ: يَحْزَنُونَ قَالَ: فكأنما كشف عني جبل" (2).

رابعا: المناسبة:

اتباع الأسلوب القرآني منهج التذكير في ثنايا بيان القصة القرآنية، وفتح باب الأمل لدفع اليأس والقنوط أثناء توضيح الأسباب الموجبة للعقاب، للفت النظر وجذب الانتباه، وهكذا كان الأمر هنا، فبعد أن ذكّر الله اليهود بأفعال أسلافهم قديماً، وأوضح مصيرهم وجزاءهم، ليعتبر المعاصرون، أورد مبدأ عاماً لكل المؤمنين: وهو أن كل مؤمن بالله واليوم الآخر تمسك بحبل الدين المتين، وعمل صالحاً، فهو من الفائزين، سواء أكان من المسلمين أم من اليهود، أم من النصارى أم من الذين تركوا دينهم مطلقاً وأسلموا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرْ لَهُمْ مِمَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأأنفال: 38] (3).

خامسا: المعنى الإجمالي:

"إن الذين آمنوا من الأنبياء من قبل، واليهود والنصارى، ومن يقصدون الكواكب والملائكة، من آمن برسالة محمد بعد بعثته، ووحد الله تعالى وآمن بالبعث والحساب يوم القيامة، وعمل الأعمال الصالحة في دنياه، فهؤلاء لهم ثوابهم المحفوظ عند ربهم، ولا يلحقهم خوف من عقاب. ولا ينالهم حزن على فوات ثواب، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً" (4).

سادساً: مقاصد وأهداف الآية.

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- اقترن الإيمان بالعمل الصالح في كثير من الآيات منها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 82] و
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا

(1) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، 1/126: رقم الحديث 631.

(2) الواحدي، أسباب النزول (ص 25)

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج 1/ 177)

(4) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص 15)

مِنْ شَمْرِ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَنْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة: 25] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ [سبأ: 37]

يقول أبو بكر البغدادي: "إِنْ تَدَبَّرْتُمُ الْقُرْآنَ، كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِهِ وَرِسُولِهِ الْعَمَلَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُنِّنْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ وَأَنَّهُمْ قَدْ رَضُوا عَنْهُ وَأَتَابَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الدُّخُولِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، إِلَّا الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَقَرْنَ مَعَ الْإِيمَانِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، لَمْ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ، حَتَّى صَمَّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ الصَّالِحَ، الَّذِي قَدْ وَقَّفَهُمْ لَهُ، فَصَارَ الْإِيمَانُ لَا يَتِمُّ لِأَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ مُصَدِّقًا بَقَلْبِهِ، وَنَاطِقًا بِلِسَانِهِ، وَعَامِلًا بِجَوَارِحِهِ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَتَصَفَّحَهُ، وَاعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ أَتَى قَدْ تَصَفَّحْتُ الْقُرْآنَ فَوَجَدْتُ فِيهِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُدْخِلِ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ، بَلْ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَبِمَا وَقَّفَهُمْ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ"، (١) العبرة بالحقائق لا بالألفاظ، فالمنافق إذا قال هو مؤمن أو مسلم، ولم يؤمن بقلبه ولم يسلم بجوارحه لا تغني النسبة عنه شيئاً، واليهودي والنصراني والصابئي، وكل ذي دين نسبتته إلى دين قد نسخ وبطل العمل بما فيه فأصبح لا يزكي النفس، هذه النسبة لا تنفعه، وإنما الذي ينفع الإيمان الصحيح والعمل الصالح (٢).

2- السعادة الأبدية بالتباع النبي محمد ﷺ:

نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنَّ مَنْ أَحْسَنَ مِنَ الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ وَأَطَاعَ، فَإِنَّ لَهُ جَزَاءَ الْحُسْنَى، وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ كُلٌّ مِنَ اتَّبَعَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ فَلَهُ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا يَنْزِعُونَ وَيُخْلِفُونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الْأَيُّتُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَأَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ [يونس: 62]، وَكَمَا تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْإِحْتِصَارِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [فصلت: 30]، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ خَاتَمًا لِلنَّبِيِّينَ، وَرَسُولًا إِلَى بَنِي آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَجَبَ عَلَيْهِمْ تَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَطَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَالْإِتْكَافُ عَمَّا عَنْهُ زَجَرَ، وَهَوْلَاءِ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، وَسَمِّيَتْ أُمَّةً مُحَمَّدٍ ﷺ مُؤْمِنِينَ لِكثرةِ إيمانِهِمْ وَشِدَّةِ إيقانِهِمْ، وَإِلَانَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَاضِيَةِ وَالْغُيُوبِ الْآتِيَةِ (٣).

(1) أبو بكر البغدادي، الشريعة (ج2/ 618)

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفسير (ج1/ 65)

(3) ينظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/ 284-285)

3- لن يقبل دين من أحد بعد الإسلام:

من تبع ديننا سبق الإسلام وبقي عليه بعد السلام، وهو يظن أن هذا الدين نافعه نقول له أن الحق ﷺ قد حسم هذه القضية في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقوله جل جلاله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، إذن التصفية النهائية لموكب الإيمان والرسالات في الوجود حسمت فالذي آمن بمحمد ﷺ لا يخاف ولا يحزن يوم القيامة (١).

إنه لم يعد الآن نجاة لا ليهودي ولا لنصراني ولا لصابئي ولا لمجوسي ولا لغير ذلك إلا بالإيمان بمحمد ﷺ إلا إذا لم تبلغه الدعوة، وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار». وعلى هذا فاليهود المعنيون في الآية: هم من كانوا قبل عيسى ممن لم يشاركوا في المعصية واستمروا على الإيمان، أما اليهودي الذي لم يؤمن بعيسى بعد بعثته فإنه هالك، والمراد بالنصارى، النصارى الذين كانوا قبل محمد ﷺ ممن استمروا على الإيمان الصحيح والعمل الصالح ولم ينحرفوا بانحراف الناس، أما بعد محمد صلى الله عليه وسلم فكل نصراني هالك إذا لم يدخل في الإسلام، وكذلك الصابئون فإنهم ناجون حتى بعثة محمد ﷺ بحكم مفارقتهم قومهم إذا أريد بهم هذا المعنى، أما بعد البعثة فكل من لم يؤمن هالك (٢).

4- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، مَنْ هُمْ؟

- أ- "أنهم قوم كانوا مؤمنين بعيسى قبل أن يبعث محمد ﷺ، قاله ابن عباس.
- ب- أنهم الذين آمنوا بموسى، وعملوا بشريعته إلى أن جاء عيسى، فأمنوا به وعملوا بشريعته إلى أن جاء محمد، وهذا قول السدي عن أشياخه.
- ت- أنهم الذين كانوا يطلبون الإسلام، كقس بن ساعدة، وبحيرا، وورقة بن نوفل، وسلمان.
- ث- أنهم المؤمنون من هذه الأمة" (٣).

ويرى الباحث أن جميع ما ذكر هم من المؤمنين ويقول الماتريدي: إن اليهود والنصارى وهؤلاء جائز أن يكون لهم تعلق بظاهر هذه الآية؛ لأنهم كانوا يقولون: إنا آمننا بالله، وآمنا باليوم الآخر، فليس علينا خوف ولا حزن.

لكن الجواب على هذا من وجوه:

(1) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 371)

(2) سعيد حوى، الأساس في التفسير (ج1/ 154)

(3) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج1/ 72)

أَنَّهُ ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا)، وإيمانهم ما ذكر في آية أخرى وهو قوله تَعَالَى: ﴿عَمَّنَ الرَّسُولِ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُنُوبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: 285]. وهم قد فرقوا بين الرسل، بقولهم: (نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنُكْفِرُ بِبَعْضٍ)، وفرقوا بين الكتب أيضاً: آمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

فهؤلاء الذين ذكرهم ﷺ في هذه الآية، هم الذين آمنوا بجميع الرسل، وآمنوا بجميع الكتب أيضاً. فإذا كان هذا إيمانهم لم يكن عليهم خوف ولا حزن. ذَكَرَ الإِيمَانَ بِاللَّهِ، والإِيمَانَ بِاللَّهِ هو الإِيمَانُ بِبَعْضِ الرُّسُلِ، وبجميع الكتب، ولكنهم لا يؤمنون بالله، ولا يعرفونه في الحقيقة، أو أن يقال: ذَكَرَ عَمَلِ الصَّالِحَاتِ، والكفرُ ببعض الرسل ليس من عمل الصالحات؛ لذلك بطل تعلقهم بهذا، والله أعلم (1).

5- ثواب المؤمنين العاملين:

أهل الإيمان الصحيح والاستقامة على شرع الله الحق مبشرون بنفي الخوف عنهم والحزن وإذا انتفى الخوف حصل الأمن، وإذا انتفى الحزن حصل السرور والفرح وتلك السعادة (2). قوله تعالى: {قلهم أجرهم} أي ثوابهم؛ وسمى الله تعالى الثواب أجراً؛ لأنه ﷺ التزم على نفسه أن يجزي به كالتزام المستأجر بدفع الأجرة للأجير. أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: عِنْدَ رَبِّهِمْ فَلَيْسَ الْمُرَادُ الْعُنْدِيَّةَ الْمَكَانِيَّةَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُحَالٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا الْحِفْظَ كَالْوَدَائِعِ بَلِ الْمُرَادُ أَنَّ أَجْرَهُمْ مُتَيَقَّنٌ جَارٍ مَجْرَى الْحَاصِلِ عِنْدَ رَبِّهِمْ (3). {عند ربهم}: أضاف ربوبيته إليهم على سبيل الخصوص تشريفاً، وتكريماً، وإظهاراً للعناية بهم؛ فهذه كفالة من الله عز وجل، وضمان، والتزام بهذا الأجر؛ فهو أجر غير ضائع (4).

سابعاً: ربط الآية بالواقع:

ولم يشهد تاريخ أمة ما شهدته إسرائيل من قسوة وجحود واعتداء وتنكر للهداة، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عدداً من أنبيائهم - وهي أشنع فعلة تصدر من أمة مع دعاة الحق المخلصين - وقد كفروا أشنع الكفر، واعتدوا أشنع الاعتداء، وعصوا أبشع المعصية وكان لهم في كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل! ومع هذا كله فقد كانت لهم دعاوى عريضة عجيبة، كانوا دائماً يدعون أنهم هم وحدهم المهتدون وهم وحدهم شعب الله المختار، وهم وحدهم الذين ينالهم ثواب الله

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج1/ 484)

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفسير (ج1/ 65)

(3) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 537)

(4) ابن عثيمين، المرجع السابق، نفس الصفحة.

وأن فضل الله لهم وحدهم دون شريك، وهنا يكذب القرآن هذه الدعوى العريضة، ويقرر قاعدة من قواعده الكلية، التي تتخلل القصص القرآني، أو تسبقه أو تتلوه يقرر قاعدة وحدة الإيمان.. ووحدة العقيدة، متى انتهت إلى إسلام النفس لله، والإيمان به إيماناً ينبثق منه العمل الصالح. وإن فضل الله ليس حجراً محجوراً على عصبية خاصة، إنما هو للمؤمنين أجمعين، في كل زمان وفي كل مكان، كل بحسب دينه الذي كان عليه، حتى تجيء الرسالة التالية بالدين الذي يجب أن يصير المؤمنون إليه (1) وقد انتهت قيادة البشرية إلى الإسلام فهو الذي يجب أن يقود البشرية جميعاً إلى الخير والرشاد والعدل والامن والأمان ولن تنعم البشرية بالامن والعدل الا بحكم الإسلام، والمسلمون جميعاً مطالبون بالوحدة أولاً للعمل لإعادة الخلافة الراشدة.

المطلب الثاني: التمسك بشرع الله طريق التحصيل على التقوى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ [البقرة: 63-64]

أولاً: معاني المفردات:

مِيثَاقَكُمْ: العهد الذي أخذَ عليكم في التوراة.

رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ: الطور في الأصل: اسم لكل جبل، والمراد هنا إما جبل معين، أو الجبل الذي كلمَ الله عليه موسى عليه السلام.

خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ: أقبِلوا على التوراة بجدِّ ونشاط (2).

تَوَلَّيْتُمْ: رجعتُم عما التزمتُم القيام به من العمل بما في التوراة (3).

ثانياً: البلاغة:

خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ: فيه إيجاز بالحذف أي قلنا لهم خذوا فهو كما قال الزمخشري على إرادة القول (4)، أخذوا ما ما آتيناكم (من قول) بقوة وليس خذوا الألواح.

ثالثاً: المناسبة:

كانت الآيات السابقة تذكيراً لبني إسرائيل بالنعم الجليلة، وأما هذه الآيات فهي تنديد بالمخالفات والمعاصي التي ارتكبوها، فإنهم نقضوا الميثاق أو العهد مع الله (5).

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 75)

(2) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 63)

(3) أبويكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 66)

(4) الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 57)

(5) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 180)

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"واذكروا ما أخذنا عليكم من العهد المؤكد، من الإيمان بالله ورسله، ورفعنا الجبل فوقكم تخويفاً لكم وتحذيراً من ترك العمل بالعهد، أمرين لكم بأخذ ما أنزلنا عليكم من التوراة بجد واجتهاد، دون تهاون وكسل، واحفظوا ما فيه وتدبروه؛ لعلكم بفعل ذلك تتقون عذاب الله تعالى" (1)، ثم خالفتكم وعصيتم مرة أخرى، بعد أخذ الميثاق ورفع الجبل كشأنكم دائماً، فلولا فضلُ الله عليكم ورحمته بالتوبة، والتجاوز عن خطاياكم، لصرتم من الخاسرين في الدنيا والآخرة" (2).

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات.

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق:

مِنَ الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ وَحُكْمَتِهِ وَالدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَهَذَا النَّوْغُ مِنَ المَوَاقِيقِ أَقْوَى المَوَاقِيقِ وَالعُهُودِ لِأَنَّهَا لَا تَحْتَمِلُ الخُلْفَ وَالتَّبْدِيلَ بِوَجْهِ البَيِّنَةِ وَالقرآن الكريم أكد على الوفاء بالعهود والمواثيق في كثير من الآيات منها قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1]، و قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ المِيثَاقَ﴾ [الرعد: 20]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: 91]، وخص الله بني إسرائيل بمواثيق كثيرة ما ذكره الله تعالى في قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: 83]، وفي قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 12]، إلا أنهم لم يلتزموا بأي ميثاق ألزمهم الله ﷻ به.

2- سبب أخذ الميثاق عليهم ورفع الطور فوقهم :

يقول القرطبي: وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا جَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالْأَلْوَابِ فِيهَا التَّورَةُ قَالَ لَهُمْ: خُذُوهَا وَالتَّزَمُوهَا، فَقَالُوا: لَا! إِلَّا أَنْ يَكَلِّمَنَا اللَّهُ بِهَا كَمَا كَلَّمَكَ فَصُغِعُوا ثُمَّ أُخِيُوا فَقَالَ لَهُمْ: خُذُوهَا فَقَالُوا

(1) جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم (ج1/ 10)

(2) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 10)

لَا فَاَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ فَاقْتَلَعَتْ جَبَلًا مِنْ جِبَالِ فِلَسْطِينَ طَوْلَهُ فَرَسَخٌ فِي مِثْلِهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ عَسْكَرُهُمْ، فَجُعِلَ عَلَيْهِمْ مِثْلُ الظِّلَّةِ، وَأَتُوا بِبَحْرٍ مِنْ خَلْفِهِمْ، وَنَارٍ مِنْ قِبَلِ وُجُوهِهِمْ، وَقِيلَ لَهُمْ: خُذُوهَا وَعَلَيْكُمْ الْمِيثَاقُ إِلَّا تُصَيِّعُوهَا، وَإِلَّا سَقَطَ عَلَيْكُمْ الْجَبَلُ، فَسَجَدُوا تَوْبَةً لِلَّهِ وَأَخَذُوا التَّوْرَةَ بِالْمِيثَاقِ.

قَالَ الطَّبْرِيُّ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ: لَوْ أَخَذُوهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقٌ، وَكَانَ سُجُودُهُمْ عَلَى شِقِّ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرْتَفِعُونَ الْجَبَلَ خَوْفًا، فَلَمَّا رَحِمَهُمُ اللَّهُ قَالُوا: لَا سَجْدَةَ أَفْضَلَ مِنْ سَجْدَةِ تَقَبَّلَهَا اللَّهُ وَرَحِمَ بِهَا عِبَادَهُ، فَأَمَرُوا سُجُودَهُمْ عَلَى شِقِّ وَاحِدٍ.

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَالَّذِي لَا يَصِحُّ سِوَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَرَعَ وَفَتَّ سُجُودَهُمُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ لَا أَنَّهُمْ آمَنُوا كُرْهًا وَقُلُوبُهُمْ غَيْرُ مُطْمَئِنَّةٍ بِذَلِكَ، وَذَكَرَ الرَّازِيُّ مَا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَجَعَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ بِالْأَلْوَابِ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ فِيهَا كِتَابَ اللَّهِ فَقَالُوا: لَنْ نَأْخُذَ بِقَوْلِكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَيَقُولَ: هَذَا كِتَابِي فَخُذُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ فَمَاتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ: خُذُوا كِتَابَ اللَّهِ فَأَبَوْا فَرَفَعَ فَوْقَهُمُ الطُّورَ وَقِيلَ لَهُمْ: خُذُوا الْكِتَابَ وَإِلَّا طَرَحْنَاهُ عَلَيْكُمْ، فَأَخَذُوهُ فَرَفَعَ الطُّورَ هُوَ الْمِيثَاقُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ رَفْعَ الطُّورِ آيَةٌ بَاهِرَةٌ عَجِيبَةٌ (1).

وقال الراغب: "لما أتى بني إسرائيل بالتوراة متضمنة لأحكام شريعتهم، أبوا أن يلزموها، فأمر الله الملائكة أن ترفع الطور، فقيل لهم: خذوها وإلا طرح عليكم، وذلك قوله قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 171]" (2).

3- يجب أخذ أحكام الشرع بحزم، وذكرها وعدم نسيانها أو تناسيها.

يقول ابن عثيمين: "أن الواجب على أهل الملة أن يأخذوا كتابهم بقوة لا بضعف، ولين، ومداهنة؛ بل لا بد من قوة في التطبيق، والدعوة؛ التطبيق على أنفسهم؛ ودعوة غيرهم إلى ذلك بدون فتور، ولا تراخ على حدِّ قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125]؛ لأنه لا يتم الأمر إلا بهذا" (3).

ويقول ابن كثير في قوله: " {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} يَعْنِي التَّوْرَةَ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: {بِقُوَّةٍ} أَي بِطَاعَةٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: بِقُوَّةٍ: بِعَمَلٍ بِمَا فِيهِ. وَقَالَ قَتَادَةُ {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} الْقُوَّةُ: الْجِدُّ وَالْإِلْتِمَاسُ عَلَيْهِمْ" (4).

(1) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 436)، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 538)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج2/ 156)

(2) الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني (ج1/ 217)

(3) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 227)

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/ 288)

ويقول الألوسي: "وقلنا خذوا أي اقبلوا ما آتيناكم بجد، وعوا ما فيه من الحكم والمعارف والعلوم والشرائع لكي تتقوا الشرك والجهل والفسق ثم عرضتم بإقبالكم إلى الجهة السفلية بعد ذلك فلولا حكمة الله تعالى بإمهاله وحكمه بإفضاله لعاجلتكم العقوبة ولحل بكم عظيم المصيبة" (1).

ويقول الطبري: " (مَا آتَيْنَاكُمْ) أَعْطَيْنَاكُمْ. (بِقُوَّةٍ) أَي بجد واجتهاد، قاله ابنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ، وَقِيلَ: بِنِيَّةٍ وَإِخْلَاصٍ، مُجَاهِدٌ: الْقُوَّةُ الْعَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَقِيلَ: بِقُوَّةٍ، بِكَثْرَةِ دَرَسٍ " (2).

وذكر الماتريدي في قوله: " (وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، قيل فيه بوجوه:

قيل: اذكروا، واحفظوا ما فيه من أمره ونهيه، ولا تضيعوه؛ لعلكم تتقون المعاصي والمآثم.

ويحتمل: اذكروا ما فيه من التوحيد والإيمان؛ لعلكم تتقون الشرك والكفر.

ويحتمل: اذكروا ما فيه من الأحكام والشرائع.

ويحتمل: الثواب والعقاب، والوعد والوعيد. وكله واحد" (3).

ويقول الطبري: "واذكروا ما فيما آتيناكم من كتابنا من وعد ووعد شديد، وترغيب وترهيب، فالتوه، واعتبروا به، وتدبروه إذا فعلتم ذلك، كي تتقوا وتخافوا عقابي، بإصراركم على ضلالكم فتنتهوا إلى طاعتي، وتنزعوا عما أنتم عليه من معصيتي" (4).

ويقول أبو بكر الجزائري: "خص المتقين بالموعظة؛ لأنهم أحياء القلوب وذووا بصائر نيرة، فيشاهدون آثار المعاصي في أصحابها فيتقونها ويتعدون عنها" (5).

سادساً: ربط الآيات بالواقع:

1. يجب أن نندبّر القرآن ونحفّظ أوامره ووعيده، ولا ننسأه ولا نصيغعه والعمَل بمقتضاه لا تلاوته باللسان وترتيله، وقد روى النسائي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: "إن من شر الناس رجلاً فاسقاً يقرأ القرآن لا يرعوي إلى شيء منه" (6)، فبين ﷺ أن المقصود العمل كما بينا، وقال مالك: قد يقرأ القرآن من لا خير فيه، فما لزم إذا من قبلنا وأخذ عليهم لزم لنا وواجب علينا.

2. قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥]، فأمرنا باتباع كتابه والعمَل بمقتضاه، لكن تركنا ذلك، كما تركت

(1) الألوسي، روح المعاني (ج1/ 282)

(2) القرطبي، الجامع لحكام القرآن (ج1/ 437)

(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج1/ 486)

(4) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج2/ 161)

(5) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 67)

(6) [النسائي، سنن النسائي، باب فضل العمل في سبيل الله على قدمه، 6/ 11: 3106]، المستدرک على الصحيحين

للحاكم (2/ 77)، [التعليق، من تلخيص الذهبي، 2380، صحيح]

الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَبَقِيَتْ أَشْخَاصُ الْكُتُبِ وَالْمَصَاحِفِ لَا تُعِيدُ شَيْئًا، لِغَلْبَةِ الْجَهْلِ وَطَلَبِ الرِّيَاسَةِ وَاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ.

3. رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَشَخَّصَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: هَذَا أَوَانٌ يُخْتَلَسُ فِيهِ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ، فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ! فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأُهُ وَلَنَقْرَأَهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا، فَقَالَ: تَكَلِّتْ أُمَّكَ يَا زِيَادُ إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ هَذِهِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُعْنِي عَنْهُمْ" (1).

4. وَفِي الْمَوْطَأِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ لِإِنْسَانٍ: "إِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ فُقَهَاءُهُ، قَلِيلٌ قُرْأُوهُ، تُحْفَظُ فِيهِ حُدُودُ الْقُرْآنِ وَتُضَيِّعُ حُرُوفَهُ، قَلِيلٌ مَنْ يَسْأَلُ، كَثِيرٌ مَنْ يُعْطَى، يُطِيلُونَ الصَّلَاةَ وَيُقْصِرُونَ فِيهِ الْخُطْبَةَ، يَبْدُونَ فِيهِ أَعْمَالَهُمْ قَبْلَ أَهْوَائِهِمْ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاءُهُ، كَثِيرٌ قُرْأُوهُ، تُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ، وَتُضَيِّعُ حُدُودَهُ، كَثِيرٌ مَنْ يَسْأَلُ، قَلِيلٌ مَنْ يُعْطَى، يُطِيلُونَ فِيهِ الْخُطْبَةَ، وَيُقْصِرُونَ الصَّلَاةَ، يَبْدُونَ فِيهِ أَهْوَاءَهُمْ قَبْلَ أَعْمَالِهِمْ، وَهَذِهِ نُصُوصٌ تَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَا وَقَدْ قَالَ يَحْيَى: سَأَلْتُ ابْنَ نَافِعٍ عَنْ قَوْلِهِ: يَبْدُونَ أَهْوَاءَهُمْ قَبْلَ أَعْمَالِهِمْ؟ قَالَ يُقُولُ: يَنْبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَيَتْرُكُونَ الْعَمَلَ بِالَّذِي افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ" (2).

المطلب الثالث: أخذ العبرة والعظة مما حدث للسابقين

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة: 65-66]

أولاً: معاني المفردات:

- اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ: تجاوزوا الحد فيه حيث حرم عليهم الصيد فيه فصادوا.
- قِرَدَةً: القردة: جمع قرد، حيوان معروف مسخ الله تعالى المعتدين في السبت على نحوه (3).
- خَاسِئِينَ: أذلاء صاغرين، مُبْعَدِينَ عن الْخَيْرِ (4).
- نَكَالًا: النكال: العقوبة الشديدة الزاجرة ولا يقال لكل عقوبة نكالاً حتى تكون زاجرة رادعة (5).
- المقصود بالزاجرة الرادعة للمعاقب ولغيره، كقطع اليد فهي نكال لغير السارق أن يفعل مثله.

(1) الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في ذهاب العلم، 31/5: رقم الحديث 2653، [حكم الألباني]: صحيح

ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 437-438)

(2) [مالك، موطأ الامام مالك، باب جامع الصلاة، 224/1: رقم الحديث 575]، حكم الالباني اسنده صحيح

(3) أبويكر الجزائري، أيسر التفسير (ج1/ 66)

(4) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 65)

(5) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/ 56)

ثانياً: المناسبة:

هَذِهِ مِنْ جُمْلَةِ الْأَخْبَارِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى تَذْكِيراً لِلْيَهُودِ بِمَا أَتَاهُ سَلْفُهُمْ مِنَ الْإِسْتِخْفَافِ بِأَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِمَا عُرِضَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ مِنَ الزَّوْجِرِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّوْبَةِ، وَإِنَّمَا خَالَفَ فِي حِكَايَةِ هَاتِهِ الْقِصَّةِ أُسْلُوبَ حِكَايَةِ مَا تَقَدَّمَهَا وَمَا تَلَاهَا مِنْ ذِكْرِ إِذِ الْمُؤَدِّنَةِ بِرَمَنِ الْقِصَّةِ وَالْمُشْعِرَةِ بِتَحَقُّقِ وُقُوعِهَا (1).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

"ولقد علمتم -يا معشر اليهود- ما حلَّ من البأس بأسلافكم من أهل القرية التي عصت الله، فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت، فاحتالوا لاصطياد السمك في يوم السبت، بوضع الشباك وحفر البرك، ثم اصطادوا السمك يوم الأحد حيلة إلى المحرم، فلما فعلوا ذلك، مسخهم الله قردة منبوزين" (2).
"وقد جعل الله هذه الحال التي آلوا إليها عبرة وتحذيراً لغيرهم من أن يفعلوا مثل فعلهم، جعلها عبرة لمعاصريهم ومن يأتي بعدهم، كما جعلها موعظة للذين يتقون ربهم، لأنهم هم الذين ينتفعون بنذير العظات والعبر" (3).

رابعاً: مقاصد وأهداف الآيات:

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- حرمة الاحتيال لإباحة المحرم وسوء عاقبة المحتالين المعتدين:

تحريم الحيل، وأن المتحيل على المحارم لا يخرج عن العدوان؛ لقوله تعالى: {الذين اعتدوا منكم في السبت}؛ بل الحيل على فعل محرم أعظم إثماً من إتيان المحرم على وجه صريح؛ لأنه جمع بين المعصية، والخداع؛ ولهذا كان المنافقون أشد جرمًا وعداوة للمؤمنين من الكفار الصرحاء؛ قال أيوب السخيتاني رحمه الله في المتحيلين: إنهم يخادعون الله كما يخادعون الصبيان؛ ولو أتوا الأمر على وجهه لكان أهون؛ وللحيل مفسد كثيرة (4).

أخرج الطبري عن السدي: ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال: فهم أهل "أيلة"، وهي القرية التي كانت حاضرة البحر، فكانت الحيتان إذا كان يوم السبت - وقد حرم الله على اليهود أن يعملوا في السبت شيئاً - لم يبق في البحر حوت إلا خرج، حتى يخرج خراطيمهم من الماء، فإذا كان يوم الأحد لزم سفل البحر فلم ير منهن شيء حتى يكون يوم السبت، فذلك قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ 543)

(2) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 10)

(3) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص16)

(4) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 230)

تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ [الأعراف: 163]، فاشتهدى بعضهم السمك، فجعل الرجل يحفر الحفيرة ويجعل لها نهراً إلى البحر، فإذا كان يوم السبت فتح النهر، فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقياها في الحفيرة، ويريد الحوت أن يخرج، فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر، فيمكث فيها فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه فجعل الرجل يشوي السمك، فيجد جاره ريحه، فيسأله فيخبره، فيصنع مثل ما صنع جاره، حتى إذا فشا فيهم أكل السمك، قال لهم علماءهم: وَيَحْكُم! إنما تصطادون السمك يوم السبت وهو لا يحل لكم! فقالوا: إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه، فقال الفقهاء: لا ولكنكم صدتموه يوم فتحتم له الماء فدخل. فقالوا: لا! وعتوا أن ينتهوا، فقال بعض الذين نهوهم لبعض قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴿١٦٤﴾ [الأعراف: 164]، يقول: لم تعظونهم، وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم؟ فقال بعضهم: قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَكْفِرُونَ ﴿١٦٥﴾ [الأعراف: 164]، فلما أبوا قال المسلمون: والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار، ففتح المسلمون باباً والمعتدون في السبت باباً، ولعنهم داود، فجعل المسلمون يخرجون من بابهم والكفار من بابهم، فخرج المسلمون ذات يوم، ولم يفتح الكفار بابهم فلما أبطنوا عليهم، تسور المسلمون عليهم الحائط، فإذا هم قردة ينثب بعضهم على بعض، ففتحوا عنهم، فذهبوا في الأرض فذلك قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّأْهُوَ عَتَاهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ [الأعراف: 166]، فذلك حين قَالَ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ [المائدة: 78]، فehm القردة (1).

روى بن أبي حاتم عن بن عطاء عن أبيه قال: "افترقوا ثلاث فرق: فرقة أكلت، وفرقة اعتزلت ولم تنه، وفرقة نهت ولم تعتزل، ففودى الذين اعتدوا في السبت ثلاثة أصواب نودوا يا أهل القرية فانتبهت طائفة، ثم نودوا يا أهل القرية فانتبهت طائفة أكثر من الأولى، ثم نودوا يا أهل القرية فانتبهت الرجال والنساء والصديان فقال الله لهم: كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلَ الَّذِينَ نَهَوْهُمْ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، أَلَمْ أَنْهَكُم؟ فَيَقُولُونَ بَرءُ وَسِيهِمْ، أَي بلى" (2).

2- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أن الله ﷻ نجى الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقط فقال ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ [الأعراف: 165]، وخسف

(1) ينظر، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج2/ 171-170) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/288)

الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 540)

(2) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم (ج1/ 132)

الذين احتالوا وظلموا وروى ابن ماجة عن عائشة، قالت: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَإِنْتَهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ"⁽¹⁾، وروى ابن ماجة عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه سمع رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ لَا يُعَيِّرُونَهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ"⁽²⁾، وأمر الله سبحانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كثير من الآيات منها قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: 104]، وقوله تَعَالَى: ﴿يَبْتِئَ أَقْرَبُ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْرًا عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: 17]، أن الذين مسخوا قرده من هذه القرية هم الذين اعتدوا في السبت؛ وأما الذين نهوا عن سوء فقد نجوا؛ وأما الذين سكتوا عن المعتدين، ولم يشاركوهم فقد سكت الله عنهم؛ فنسكت عنهم.

3- إظهارُ مُعْجَزَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

أ. يقول الرازي: "فَإِنَّ قَوْلَهُ: وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ كَانَ الْخَطَابُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَمِيًّا لَمْ يَقْرَأْ وَلَمْ يَكْتُبْ وَلَمْ يُخَالِطِ الْقَوْمَ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ ﷺ إِنَّمَا عَرَفَهُ مِنَ الْوَحْيِ."

ب. أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَخْبَرَهُمْ بِمَا عَامَلَ بِهِ أَصْحَابُ السَّبْتِ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ أَمَا تَخَافُونَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ بِسَبَبِ تَمْرُدِكُمْ مَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فَلَا تَعْتَرُّوا بِالْإِمْهَالِ الْمَمْدُودِ لَكُمْ وَنظيره قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا [النساء: 47]"⁽³⁾.

4- بعض جرائم اليهود وعقابهم:

بيان حكمة الله في مناسبة العقوبة للذنب؛ لأن عقوبة هؤلاء المتحيلين أنهم مسخوا قرده خاسئين؛ والذنب الذي فعلوه أنهم فعلوا شيئاً صورته صورة المباح؛ ولكن حقيقته غير مباح؛ فصورة القرد شبيهة بالآدمي، ولكنه ليس بآدمي؛ وهذا؛ لأن الجزء من جنس العمل؛ ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكَأَلَّا أَحَدْنَا يَدْبُنِيهِ فَمِنْهُمْ مَنَ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنَ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنَ

(1) [ابن ماجة، سنن ابن ماجه، الفتن/باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، 2/ 1327: رقم الحديث 4004]، [حكم الألباني] حسن

(2) [ابن ماجة، سنن ابن ماجه، الفتن/باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، 2/ 1327: رقم الحديث 4005]، [حكم الألباني] صحيح

(3) (الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج 3/ 540))

خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٥﴾
[العنكبوت: 40] (١).

قَالَ الصَّحَّاحُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "فَمَسَحَهُمُ اللَّهُ قِرْدَةً بِمَعْصِيَتِهِمْ، يَقُولُ: إِذْ لَا يَحْيُونَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قَالَ: وَلَمْ يَعِشْ مَسْخٌ قَطُّ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ وَلَمْ يُنْسَلْ، وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَسَائِرَ الْخُلُقِ فِي السِّتَةِ أَيَّامٍ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، فَمَسَحَ [اللَّهُ] هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فِي صُورَةِ الْقِرْدَةِ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِمَنْ يَشَاءُ كَمَا يَشَاءُ وَيُحْوِلُهُ كَمَا يَشَاءُ" (٢).

رَوَى الصَّحَّاحُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا: "أَيُّ مَا دُونَهَا، وَمَا خَلَفَهَا يَعْنِي: لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَّمِ، وَالصَّمِيرُ لِلْأُمَّةِ، قَالَ السُّدِّيُّ، أَوْ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ ذُنُوبِ الْقَوْمِ، وَمَا خَلَفَهَا لِلْحَبِيبَانِ الَّتِي أَصَابُوا، قَالَه قَتَادَةُ. أَوْ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا: مَا مَضَى مِنْ خَطَايَاهُمْ الَّتِي أَهْلَكُوا بِهَا، قَالَه مُجَاهِدٌ، أَوْ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِمَّنْ شَاهَدَهَا، وَمَا خَلَفَهَا مِمَّنْ لَمْ يُشَاهِدَهَا، قَالَه قُطْرُبٌ، أَوْ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ ذُنُوبِ الْقَوْمِ، وَمَا خَلَفَهَا لِمَنْ يُذْنِبُ بَعْدَهَا مِثْلَ تِلْكَ الذُّنُوبِ، أَوْ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا: مَنْ حَصَرَهَا مِنَ النَّاجِينَ، وَمَا خَلَفَهَا مِمَّنْ يَجِيءُ بَعْدَهَا أَوْ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ عَقُوبَةِ الْآخِرَةِ، وَمَا خَلَفَهَا فِي دُنْيَاهُمْ، فَيُذَكَّرُونَ بِهَا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، أَوْ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا: لِمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى، وَمَا خَلَفَهَا: وَمَا يَحْدُثُ بَعْدَهَا مِنَ الْقُرَى الَّتِي لَمْ تَكُنْ، لِأَنَّ مَسْحَتَهُمْ ذُكِرَتْ فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ، فَاعْتَبَرُوا بِهَا، وَاعْتَبَرَ بِهَا مَنْ بَلَغَتْهُمْ مِنَ الْآخِرِينَ. أَوْ فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، أَيُّ فَجَعَلْنَاهَا وَمَا خَلَفَهَا مِمَّا أُعِدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ، نِكَالًا وَجَزَاءً، لَا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا، أَيُّ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ لِاعْتِدَائِهِمْ فِي السَّبْتِ" (٣).

ويرى الباحث أن الأقرب للصواب قول من قال: ما بين يديها: من يأتي من الأمم بعدها وما خلفها: من بقي منهم ومن غيرهم لم تتلهم العقوبة، ومن قال الصمير عائد على القرية، فالمراد أهلها.

5- لماذا خص المتقين بالموعظة؟:

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ فَفِيهِ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّ مَنْ عَرَفَ الْأَمْرَ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ يَتَعَبَّ بِهٖ وَيَخَافُ إِنْ فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِمْ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَاجِلًا فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَخَافَ مِنَ الْعِقَابِ الْأَجْلِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ وَأَدْوَمُ، وَأَمَّا تَخْصِيصُهُ الْمُتَّقِينَ بِالذِّكْرِ فَكَمِثْلُ مَا بَيَّنَّاهُ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ عِنْدَ قَوْلِهِ: هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ لِأَنَّهُمْ إِذَا اخْتَصَمُوا بِالْإِتِّعَازِ وَالْإِنْتِجَارِ وَالْإِنْتِقَاعِ بِذَلِكَ صَلَحَ أَنْ يُخْصُوا بِهِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَنْفَعَةٍ لِّغَيْرِهِمْ.

(١) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج 1/ 231)

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج 1/ 289)

(٣) ابن حيان، البحر المحيط في التفسير (ج 1/ 398)

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ: وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ أَنْ يَعْظَ الْمُتَّقُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَي جَعَلْنَاهَا نَكَالًا وَلِيَعْظَ بِهِ بَعْضُ الْمُتَّقِينَ بَعْضًا فَتَكُونَ الْمَوْعِظَةُ مِثْلَ مِثْلِ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُمْ يَتَّعِظُونَ بِهَا، وَهَذَا خَاصٌّ لَهُمْ دُونَ غَيْرِ الْمُتَّقِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ (1).

يقول ابن كثير: "وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ" الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْبَيْعَةِ، وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: {وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} بَعْدَهُمْ، فَيَتَّقُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ، وَيَحْذَرُونَهَا، وَقَالَ السُّدِّيُّ، وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: {وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} قَالَ: أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ، قُلْتُ: الْمُرَادُ بِالْمَوْعِظَةِ هَاهُنَا الرَّاجِرُ، أَي: جَعَلْنَا مَا أَحَلَّلْنَا بِهِؤُلَاءِ مِنَ النَّبَاسِ وَالنَّكَالِ فِي مَقَابَلَةِ مَا ارْتَكَبُوهُ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَمَا تَحِيلُوا بِهِ مِنَ الْحَيْلِ، فَلْيَحْذَرِ الْمُتَّقُونَ صَنِيعَهُمْ لِئَلَّا يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ، (2). كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَطَّةٍ (3)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَ الْيَهُودُ، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللَّهِ بِأَدْنَى الْحَيْلِ" (4).

يقول ابن حيان: "إِنَّهُ بِاسْتِمْرَارِ الْعِضْيَانِ وَالْإِعْتِدَاءِ فِي إِبَاحَةِ مَا حَظَرَهُ الرَّحْمَنُ، يُعَاقَبُ بِخُرُوجِ الْعَاصِي مِنْ طَوْرِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى طَوْرِ الْقَرْدِيَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَفْرَحُ بِجَعْلِهِ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ، وَيَمْرَحُ مُلْتَدًّا بِدَلَالِ الْخَطَابِ، نُسِخَ اسْمُهُ مِنْ دِيْوَانِ الْكَمَالِ، وَنُسِخَ شَكْلُهُ إِلَى أَفْبَحِ مِثَالٍ، هَذَا مَعَ مَا أَعَدَّ لَهُ فِي الْأَجْرَةِ مِنَ النَّكَالِ، وَالْعُقُوبَاتِ عَلَى الْجَرَائِمِ جَارِيَةً عَلَى الْمِقْدَارِ، نَاشِئَةً عَنْ إِرَادَةِ الْمَلِكِ الْقَهَّارِ، لَيْسَتْ مِمَّا تُدْرِكُ بِالْقِيَاسِ، فَيُخَوِّضُ فِي تَعْيِينِهَا أَلْبَابُ النَّاسِ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ تَكُونُ تَنْبِيْهَا لِلْعَاقِلِ، عِظَةٌ لِلْعَاقِلِ" (5).

سادساً: ربط الآيات بالواقع:

1. أن عقوبة الأمم الماضية بالخسف والمسح على الأجساد، وعقوبة هذه الأمة على القلوب، وعقوبات القلوب أشد من عقوبات النفوس، قال الله تعالى: ﴿وَنَفَلْنَا لِعُقُوبِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَٰئِكَ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: 110]، ثم علامة مسخ القلوب ثلاثة أشياء: لا يجد حلاوة الطاعة، ولا يخاف من المعصية، ولا يعتبر بموت أحد، بل يصير أرغب في الدنيا كل يوم كذا في زهرة الرياض (6).

(1) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 543)

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/ 293)

(3) ابن بطّة، إبطال الحيل (ج56)

(4) [صهيب عبد الجبار، الجامع الصحيح للسنن والمسائيد باب الخاتمة (275/6)، وحسنه الألباني في كتاب صفة

الفتوى (ص28)

(5) ابن حيان، البحر المحيط في التفسير (ج1/ 399)

(6) إسماعيل حقي، روح البيان (ج1/ 157)

2. روي عن عوف بن عبد الله (1) أنه قال كان أهل الخير يكتب بعضهم بثلاث كلمات: من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، وقال محمد بن علي الترمذي: صلاح أربعة أصناف في أربعة مواطن: صلاح الصبيان في الكتاب، وصلاح القطّاع في السجن، وصلاح النساء في البيوت، وصلاح الكهول في المساجد (2).
3. إذا تأملت حيل اليهود في السبت، وحيلهم في بيع شحوم الميتة وقد حرمت عليهم، ثم أذابوها، وباعوها، وأكلوا ثمنها؛ وتأملت حيل بعض المسلمين اليوم على الربا وغيره، وجدت أن حيل بعض المسلمين اليوم على ما ذكر أشد حيلة من حيل اليهود ومع ذلك أحل الله بهم نعمته (3).

(1) عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو أسيرة بن عسيرة الأنصاري ، أبو مسعود البدري، وأمه سلمى بنت عامر بن عوف بن عبد الله، صحابي الوفاة : قبل 40 هـ و قيل بعدها ب الكوفة ، و قيل: المدينة، شهد العقبة الثانية، الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج2/494).

(2) الشيخ العلامة محمد الأمين، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/467)

(3) ابن عثيمين، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/231)

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة البقرة من الآية (67-74)

المطلب الأول: ذم التشدد في الدين والإلحاح في السؤال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُمْرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسْرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَادُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ [البقرة: 67 - 71]

أولاً: معاني المفردات:

البقرة: واحدة البقر، والذكر ثور، والأنثى بقرة.

الذبح: قطع الودجين والمارن.

الهزؤ: السخرية واللعب.

الجاهل: الذي يقول أو يفعل ما لا ينبغي قوله أو فعله (1).

فَارِضٌ: هي البقرة المسنة الكبيرة، وسميت بذلك؛ لأنها فرضت سنها أي: قطعها وبلغت آخرها.

عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ: أي وسط بين الفارض والبكر (2).

فَاقِعٌ: الفقوع: شدة الصفرة يقال: أصفر فاقع أي شديد الصفرة كما يقال: أحمر قان أي شديد الحمرة

قال الطبري: وهو نظير النصوع في البياض

ذُلُولٌ: أي منزلة للعمل يقال: دابة ذلول أي ربيضة زالت صعوبتها فقوله {لَا ذُلُولٌ} أي لم تذلل لإثارة

الأرض أي لحرثها.

مُسَلَّمَةٌ: من السلامة أي خالصة ومبرأة من العيوب.

شِيَةَ: اللعة المخالفة لبقية اللون الأصلي قال الطبري: {لَا شِيَةَ فِيهَا} أي لا بياض ولا سواد يخالف

لونها (3).

(1) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج1/ 68)

(2) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 68)

(3) الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 58)

ثانياً: البلاغة:

{فَدَبَّحُوها وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} من إيجاز القرآن أن حذف من صدر هذه الجملة جملتين مفهومتين من نظم الكلام والتقدير: فطلبوا البقرة الجامعة للأوصاف السابقة وحصلوها، فلما اهتموا إليها ذبحوها وهذا من الإيجاز بالحذف (1).

ثالثاً: المناسبة:

ترتبط هذه الآيات بما قبلها التي ذكر فيها بعض جرائم اليهود، من نقض الميثاق، والاعتداء في السبت، والتمرد في تطبيق التوراة، فهي استمرار في تعداد مساوئهم، وهي مخالفتهم الأنبياء ومعاندة الرسل عليهم السلام، والتكؤ في امتثال أوامر الله تعالى (2).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"واذكروا -يا بني إسرائيل- جناية أسلافكم، وكثرة تعنتهم وجدالهم لموسى عليه السلام، حين قال لهم: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فقالوا -مستكبرين-: أتجعلنا موضعاً للسخرية والاستخفاف؟ فردَّ عليهم موسى بقوله: أستجير بالله أن أكون من المستهزئين" (3)، "هنا قالوا لموسى - مترددين في أمر البقرة: اطلب لنا من ربك أن يبين لنا صفة تلك البقرة، فقال لهم: إن الله أخبرني بأنها ليست كبيرة وليست صغيرة، بل هي وسط بين الكبير والصغر، فنفذوا ما أمركم الله به" (4)، "فاستمروا في جدالهم وتعنتهم قائلين لموسى عليه السلام: ادع ربك حتى يبين لنا ما لونها، فقال لهم موسى: إن الله يقول: إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة، تُعجب كل من ينظر إليها" (5)، "قال بنو إسرائيل لموسى: ادع لنا ربك يوضح لنا صفات أخرى غير ما سبق لأن البقر -بهذه الصفات- كثير فاشتبه علينا ماذا نختار؟ وإنما -إن شاء الله- لمهتدون إلى البقرة المأمور بذبحها، قال " (6)، فقال لهم: إن الله يقول إنها بقرة لم تذلل بالعمل في حرث الأرض وقلبها للزراعة، ولا في سقى الأرض المهيأة للزراعة أو ما فيها من نبات، وهي بريئة من العيوب، سالمة من الآفات، لا لون فيها يخالف سائر جسدها، فقالوا له: الآن جئت بالبيان الواضح، وبحثوا عن البقرة المتصفة بهذه الأوصاف فذبحوها، وقد قاربوا ألا يفعلوا ذلك لكثرة أسئلتهم وطول لجاجهم" (7).

(1) الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 188)

(2) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/ 58)

(3) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 10)

(4) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص16)

(5) جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم (ج1/ 10)

(6) نخبة من أساتذة التفسير، مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة

(7) لجنة من علماء الأزهر، مرجع سبق ذكره، (ص 17)

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات.

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- معجزة إحياء الميت وقصة البقرة:

أخرج بن أبي حاتم عن عبيدة السلماني (1)، قال: "كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَقِيمٌ لَا يُوَلِّدُ لَهُ، وَكَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ ابْنُ أَخِيهِ وَارِثُهُ، فَقَتَلَهُ ثُمَّ احْتَمَلَهُ لَيْلًا فَوَضَعَهُ عَلَى بَابِ رَجُلٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ أَصْبَحَ يَدَّعِيهِ عَلَيْهِمْ، حَتَّى تَسَلَّحُوا وَرَكِبَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالَ ذُو الرَّأْيِ وَالنَّهْيِ: عَلَامَ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيْكُمْ؟ فَأَتَوْا مُوسَى فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةَ فَقَالُوا: أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا؟ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، قَالَ: فَلَوْ لَمْ يَعْتَرِضُوا الْبَقْرَةَ، لَأَجَزْتُ عَنْهُمْ أَدْنَى بَقْرَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْبَقْرَةِ الَّتِي أَمَرُوا بِذَبْحِهَا فَوَجَدُوهَا عِنْدَ رَجُلٍ لَيْسَ لَهُ بَقْرَةٌ غَيْرُهَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْقُصُهَا مِنْ مِلءِ جِلْدِهَا ذَهَبًا، فَأَخَذُوهَا بِمِلءِ جِلْدِهَا ذَهَبًا فَذَبَحُوهَا فَضَرَبُوهُ بِبَعْضِهَا فَمَاتَ، فَقَالُوا: مَنْ قَتَلَكَ؟ فَقَالَ: هَذَا، لِابْنِ أَخِيهِ، ثُمَّ مَالَ مَيْتًا، فَلَمْ يُعْطَ مِنْ مَالِهِ شَيْءٌ، وَلَمْ يُورَثْ قَاتِلٌ بَعْدُ" (2).

2- سوء أخلاق بني إسرائيل وذم استهزاء:

"وكان هذا القول بهذه الصيغة يكفي للاستجابة والتنفيذ. فنيهم هو زعيمهم الذي أنقذهم من العذاب المهين، برحمة من الله ورعاية وتعليم وهو ينيهم أن هذا ليس أمره وليس رأيه، إنما هو أمر الله، الذي يسير بهم على هداه، فماذا كان الجواب؟ لقد كان جوابهم سفاهة وسوء أدب، واتهاماً لنيهم الكريم بأنه يهزأ بهم ويسخر منهم! كأنما يجوز لإنسان يعرف الله - فضلاً على أن يكون رسول الله - أن يتخذ اسم الله وأمره مادة مزاح وسخرية بين الناس قالوا: أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا؟" (3).

يقول القرطبي: وَظَاهِرٌ هَذَا الْقَوْلِ يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ اعْتِقَادِ مَنْ قَالَهُ، وَلَا يَصِحُّ إِيمَانُ مَنْ قَالَ لِنَبِيِّ قَدْ ظَهَرَتْ مُعْجَزَتُهُ، - وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ بِكَذَابٍ -: أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا؟ وَلَوْ قَالَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَحَدٌ عَنْ بَعْضِ أَقْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ لَوَجِبَ تَكْفِيرُهُ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَى جِهَةِ غِلْظِ الطَّبَعِ وَالْجَفَاءِ وَالْمَعْصِيَةِ، عَلَى

(1) عبيدة بن عمرو السلماني الفقيه، المرادي الكوفي، أحد الأعلام، التابعي الكبير، يقال له: السلماني نسبة إلى بني سلمان، أسلم عبيدة في عام فتح مكة بأرض اليمن، ولا صحبة له، وأخذ عن علي وابن مسعود وغيرهما، وبرع في الفقه، وكان ثباتاً في الحديث، روى عنه إبراهيم النخعي، والشعبي وابن سيرين وغيرهم، قال أحمد العجلي: كان عبيدة أحد أصحاب بن مسعود الذين يقرئون ويفتون، وقال ابن سيرين: ما رأيت رجلاً كان أشد توقياً من عبيدة، وكان شريح إذا أشكل عليه شيء أرسلهم إلى عبيدة، توفي سنة اثنتين وسبعين، محمد المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (ج1/ 374)

(2) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم (ج1/ 136)

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1/ 77)

نَحْوِ مَا قَالَ الْقَائِلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي قِسْمَةِ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، وَكَمَا قَالَ لَهُ الْآخَرُ: اْعِدْنَ يَا مُحَمَّدُ، وَفِي هَذَا كُلِّهِ أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى فُجْحِ الْجَهْلِ، وَأَنَّهُ مُفْسِدٌ لِلدِّينِ.

فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى مَنَعِ الْإِسْتِهْزَاءِ بِدِينِ اللَّهِ وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ يَجِبُ تَعْظِيمُهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ جَهْلٌ وَصَاحِبُهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْوَعِيدِ، وَلَيْسَ الْمُرَاحُ مِنَ الْإِسْتِهْزَاءِ بِسَبِيلٍ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْزُحُ وَالْأَيْمَةَ بَعْدَهُ، قَالَ ابْنُ حُوَيْرِ مَنَّادًا: وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ رَجُلًا تَقَدَّمَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ وَهُوَ قَاضِي الْكُوفَةِ فَمَارَحَهُ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: جُبْتُكَ هَذِهِ مِنْ صُوفٍ نَعَجَةٍ أَوْ صُوفٍ كَنْبَشٍ؟ فَقَالَ لَهُ: لَا تَجْهَلْ أَيُّهَا الْقَاضِي! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: وَأَيْنَ وَجَدْتَ الْمَرَاحَ جَهْلًا! فَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ، لِأَنَّهُ رَأَى جَاهِلًا لَا يَعْرِفُ الْمَرَاحَ مِنَ الْإِسْتِهْزَاءِ، وَلَيْسَ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخِرِ بِسَبِيلٍ (1).

ويقول الصابوني: "نبه قوله تعالى {قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} على أن الاستهزاء بأمر من أمور الدين جهل كبير، وقد منع المحققون من أهل العلم استعمال الآيات كأمثال يضربونها في مقام المزح والهزل، وقالوا إنما أنزل القرآن للتدبر والخشوع لا للتسلي والتفكه والمزاح" (2).

ويقول ابن عاشور: "وقول موسى: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ تَبَرُّوْا وَتَنْزَهُ عَنِ الْهَزْءِ لِأَنَّهُ لَا يَلِيْقُ بِالْعُقَلَاءِ الْأَفَاضِلِ فَإِنَّهُ أَحْصَى مِنَ الْمَرْحِ لِأَنَّ فِي الْهَزْءِ مَرْحًا مَعَ اسْتِخْفَافٍ وَاحْتِقَارٍ لِلْمَرْوَحِ مَعَهُ عَلَى أَنَّ الْمَرْحَ لَا يَلِيْقُ فِي الْمَجَامِعِ الْعَامَّةِ وَالْخَطَابَةِ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَلِيْقُ بِمَقَامِ الرَّسُولِ وَلِذَا تَبَرَّأَ مِنْهُ مُوسَى بِأَنَّهُ نَفَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ كِنَايَةً عَنِ نَفْيِ الْمَرْحِ بِنَفْيِ مَلْزُومِهِ، وَبَالَغَ فِي التَّنْزِهِ بِقَوْلِهِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَيُّ مِنْهُ لِأَنَّ الْعِيَادَ بِاللَّهِ أَبْلَغُ كَلِمَاتِ النَّفْيِ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَعُوذُ بِاللَّهِ إِلَّا إِذَا أَرَادَ التَّغَلُّبَ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ لَا يَغْلِبُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. وَصِيغَةُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ أَبْلَغُ فِي انْتِقَاءِ الْجَهَالَةِ مِنْ أَنْ لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَجْهَلَ" (3).

3- الأخذ بالمتيسر وكراهة التشدد في الأمور:

أَنَّ التَّنَطُّعَ فِي الدِّينِ وَالْإِحْفَاءَ فِي السُّؤَالِ، مِمَّا يَفْتَضِي التَّشْدِيدَ فِي الْأَحْكَامِ، فَمَنْ شَدَّدَ شُدِّدَ عَلَيْهِ؛ وَلِذَلِكَ نَهَى اللَّهُ - تَعَالَى - هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنِ كَثْرَةِ السُّؤَالِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِنْ تَبَدَّلَ كُفْرُكُمْ سَوْكُورًا وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ أَنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٣٦﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [المائدة: 101 - 102]، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ "وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ" (4)، وَقَدْ امْتَنَلَتْ سَلْفُنَا الْأَمْرَ فَلَمْ يُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَكَانَ الدِّينُ عِنْدَهُمْ فِطْرِيًّا وَخَنيفِيًّا سَمْحًا، وَلَكِنْ مِمَّنْ خَلَفَهُمْ مَنْ عَمَدَ إِلَى مَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ فَاسْتَخْرَجَ لَهُ أَحْكَامًا

(1) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 477)

(2) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/ 60)

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ 548)

(4) [مسلم، صحيح مسلم، الاحكام/ ان الله يرضى لكم ثلاث ويكره لكم ثلاث، 131/5: رقم الحديث 4506].

استنبتها باجتهادها، وأكثروا منها حتى صار الدين جملاً ثقيلاً على الأمة فسئمتها وملت، وألقته وتخلت (1).

قال ابن جرير: قال رسول الله ﷺ: "إنما أمروا بأدنى بقرة، ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم؛ وإيم الله لو أنهم لم يستننوا ما بينت لهم آخر الأبد" (2)، وروى مسلم في صحيحه عن أبي موسى قوله ﷺ: "يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا" (3)، وروى البخاري عن أبي هريرة قوله ﷺ لأصحابه: "إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" (4).

4- بيان فائدة الاستثناء بقول: إن شاء الله:

قال الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال: "والذي نفس محمد بيده لو لم يقولوا إن شاء الله لحيل بينهم وبينها أبداً"، وأعلم أن ذلك يدل على أن التلطف بهذه الكلمة مندوب في كل عمل يراد تحصيله، ولذلك قال الله تعالى لمحمد ﷺ: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: 23]، وفيه استعانة بالله وتفويض الأمر إليه، والإعتراف بقدرته ونفاذ مشيئته، أما قوله تعالى: وإنا إن شاء الله لَمُهتدون ففيه وجوه ذكرها الفقهاء، أحدها: وإنا بمشيئة الله نهتدي للبقرة المأمور بدبجها عند تحصيلنا أوصافها التي بها تمتاز عما عداها. وثانيها: وإنا إن شاء الله تعريفها إيانا بالزيادة لنا في البيان نهتدي إليها. وثالثها: وإنا إن شاء الله على هدى في استقصائنا في السؤال عن أوصاف البقرة أي نرجو أننا لسنا على ضلالة فيما نفعله من هذا البحث. ورابعها: إنا بمشيئة الله نهتدي للقاتل إذا وصفت لنا هذه البقرة بما به تمتاز هي عما سواها (5)، يشهد لصحة هذا أن نبي الله سليمان لما لم يستثن لم تلد له امرأة من المائة إلا واحدة، وجاءت به نصف ولد، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو استثنى لكان دركاً لحاجته" (6).

5- معجزة إحياء الموتى:

ذكر تعالى إحياء الموتى في هذه السورة الكريمة في خمسة مواضع:

أ - في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: 56]

(1) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (ج1/ 286)

(2) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم (ج1/ 141)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج1/ 298)

(3) [مسلم، صحيح مسلم، المغازي، /بشروا ولا تنفروا، 141/5: رقم الحديث 4546].

(4) [البخاري، صحيح البخاري، الادب/ قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا، /30: رقم الحديث 6128].

(5) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 549)

(6) أبو بكر الجزائري، أيسر التفسير (ج1/ 70)، [البخاري، صحيح البخاري، التوحيد/ في المشيئة والإرادة، 138/9:

رقم الحديث 7469].

ب - وفي هذه القصة قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: 73]

ج - وفي قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفاً قال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣]

د - وفي قصة عزيز قال تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لِرَبِّكَ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامًا ثُمَّ بَعَثَهُ وَقَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظِرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظِرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَاءَ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ وَقَالَ أَعْمُرْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩]

هـ وفي قصة إبراهيم قال تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُظْمِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠] (١).

6- لماذا خص البقرة بالذبح دون غيرها من الحيوانات؟:

قَالَ الْمَأْوِزِيُّ: "وَإِنَّمَا أُمِرُوا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - بِذَبْحِ بَقَرَةٍ دُونَ غَيْرِهَا، لِأَنَّهَا مِنْ جِنْسٍ مَا عَبَدُوهُ مِنَ الْعَجَلِ لِيُهَوَّنَ عِنْدَهُمْ مَا كَانَ يَرَوْنَهُ مِنْ تَعْظِيمِهِ، وَلِيَعْلَمَ بِإِجَابَتِهِمْ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ عِبَادَتِهِ. وَهَذَا الْمَعْنَى عَلَّةٌ فِي ذَبْحِ الْبَقَرَةِ، وَلَيْسَ بَعْلَةٌ فِي جَوَابِ السَّائِلِ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى فِيهِ أَنْ يَحْيَا الْقَتِيلُ بِقَتْلِ حَيٍّ، فَيُكُونُ أَظْهَرُ لِقُدْرَتِهِ فِي اخْتِرَاعِ الْأَشْيَاءِ مِنْ أَضْدَادِهَا" (٢).

وَإِنَّمَا اخْتَصَّ الْبَقْرَ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْبَقْرَ وَيَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَاخْتَبَرُوا بِذَلِكَ إِذْ هَذَا مِنَ الْإِبْتِلَاءِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ أَنْ يُؤْمَرَ الْإِنْسَانُ بِقَتْلِ مَنْ يَحِبُّهُ وَيَعْظُمُهُ؛ أَوْ لِأَنَّ أَرَادَ تَعَالَى أَنْ يَصِلَ الْخَيْرَ لِلْغُلَامِ الَّذِي كَانَ بَارًا بِأَمِّهِ (٣).

ويقول الأوسي: "ولعله أُلطف وأولى إن الحكمة في هذا الأمر إظهار توبيخهم في عبادة العجل بأنكم كيف عبدتم ما هو في صورة البقرة مع أن الطبع لا يقبل أن يخلق الله تعالى فيه خاصية يحيا بها

(1) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/ 60)

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 445)

(3) محمد الأمين، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/ 483)

ميت بمعجزة نبي؟! وكيف قبلتم قول السامري إنه إلهكم وما أنتم لا تقبلون قول الله سبحانه: إنه يحيا بضرب لحمه منه الميت سبحان الله تعالى؟ هذا الخرق العظيم" (1).

7- السؤال المنهي عنه:

مثل السؤال عما أخفاه الله تعالى عن عباده ولم يطلعهم عليه، كالسؤال عن قيام الساعة، وعن حقيقة الروح، وعن سر القضاء والقدر، والسؤال على سبيل التعنت والعبث والاستهزاء، وسؤال المعجزات، وطلب خوارق العادات عناداً وتعنتاً، والسؤال عن الأغاليط، والسؤال عما لا يحتاج إليه، وليس في الجواب عنه فائدة عملية، والسؤال عما سكت عنه الشرع من الحلال والحرام، وقد سجل الله على اليهود ذنب الوقوف في السؤال موقف المستهزئ المعاند المجادل المتشدد المنكر الحق الصريح (2). وقوله ﷺ فيما رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص: "إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً: من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين، فحرم عليهم من أجل مسألته" (3). وقوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، أمرتكم به، فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم" (4).

8- حرص بني إسرائيل على عدم تنفيذ أمر لله:

فقالوا {الآن جئت بالحق} كأن ما قاله موسى قبل ذلك كان خارجاً عن نطاق الحق، وذبحوا البقرة ولكن عن كره منهم، لأنهم كانوا حريصين على ألا يذبحوها، حرصهم على عدم تنفيذ المنهج، هم يريدون أن يماطلوا الله سبحانه وتعالى (5). وقال صاحب الكشاف: "وقوله تعالى: وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ استتقال لاستقصائهم، وأنهم لتطويلهم المفرط، وكثرة استكشافهم، ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم، وما كاد ينقطع خيط إسهابهم فيها وتعمقهم، وقيل: ما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها، وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل" (6).

(1) الألويسي، روح المعاني (ج1/ 292)

(2) ينظر، الزحيلي، التفسير المنير (ج1/ 191)

(3) [مسلم، صحيح مسلم، فضائل النبي ﷺ/ هلال من خلفه ﷺ والنهي عن كثرة المسائل، 92/7: رقم الحديث 6190].

(4) [مسلم، صحيح مسلم، الفضائل/ توقيره ﷺ وترك اكثاره سؤاله عما لا ضرورة إليه، 1830/4: رقم الحديث 130].

(5) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 396)

(6) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج1/ 152)

سابعاً: ربط الآيات بالواقع:

1. طاعة الرسول من طاعة الله والقرآن الكريم أكد على طاعة الله ورسوله في كثير من الآيات منها قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: 32]، ومنها قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: 132]، فيجب على المسلمين أن يطيعوا أمر رسول الله في كل أمور الحياه ولا يكونوا مثل بني إسرائيل عندما أمرهم موسى ﷺ بذبح البقرة تلكأوا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَيَّ رُسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٣٢﴾﴾ [المائدة: 92].

2. ففي هذه الآية الله يحذرنا من عدم طاعة الله ورسوله ويجب الإسراع للاستجابة لأمر الله والله يقول لنا أن سمة المؤمنين أن يسارعوا إلى تنفيذ تكاليفه، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: 133]

3. من يطع الرسول يكن معه في الجنة كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: 69].

المطلب الثاني: الإنكار الشديد على قتل النفس البريئة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذَقْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: 72 - 73]

أولاً: معاني المفردات:

نَفْسًا: نفس الرجل الذي قتله وارثه استعجالاً للإرث.

فَاذْرَأْتُمْ فِيهَا: تدافعتم أمر قتلها كل قبيل يقول قتلها القبيل الآخر.

مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ: من أمر القاتل ستراً عليه دفعاً للعقوبة والفضيحة (1).

اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا: ولم يبين القرآن أيَّ جُزءٍ مِنْهَا، وفي الآية إضمار تقديره: فضربه فَصَارَ حَيًّا وَقَالَ: قَتَلَنِي فُلَانٌ ثُمَّ مَاتَ (2).

(1) أبو بكر الجزائري أيسر التفاسير (ج1/ 71)

(2) الكواري، تفسير غريب القرآن (ج2/ 73)،

ثانياً: البلاغة:

تقديم ذبح البقرة على قتل النفس:

هذه الواقعة واقعة (قتل النفس) جرت قبل أمرهم بذبح البقرة، وإن وردت في الذكر بعده، والسرُّ في ذلك التشويق إلى معرفة السبب في ذبح البقرة، والتكرير في التقرير والتوبيخ قال العلامة ابن السعود، وإنما غيّر الترتيب لتكرير التوبيخ وتثنية التقرير، فإن كل واحدٍ من قتل النفس المحرمة، والاستهزاء بموسى عليه السلام جناية عظيمة جدية بأن تنعى عليهم، قلت: وجهه أنه لما ذكر سابقاً خباثتهم وجناباتهم ووبخوا عليها، ناسب أن يقدم في هذه القصة ما هو من قبائحهم، وهو تعنتهم على موسى، لتتصل قبائحهم بعضها ببعض (1).

"قوله تعالى {والله مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} هذه الجملة اعتراضية بين قوله {فادارأتم} وقوله {فَقُلْنَا اضربوه} والجملة المعترضة بين ما شأنهما الاتصال تجيء تحلية يزداد بها الكلام البليغ حسناً، وفائدة الاعتراض هنا إشعار المخاطبين بأن الحقيقة ستجلي لا محالة" (2).

ثالثاً: المناسبة:

ولما قسمت القصة شطرين تنبيهاً على النعمتين: نعمة العفو عن التوقف عن الأمر ونعمة البيان للقاتل بالأمر الخارق، وتنبيهاً على أن لهم بذلك تقريرين: أحدهما بإساءة الأدب في الرمي بالاستهزاء والتوقف عن الامتثال والثاني على قتل النفس وما تبعه، ولو رتب ترتيبها في الوجود لم يحصل ذلك، وقدم الشطر الأنسب لقصة السبب اتبعه الآخر (3).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"واذكروا يوم قتلتم نفساً وتخاصمتم وتدافعتم الجريمة، فاتّهم بعضكم بعضاً بقتلها، والله يعلم الحقيقة وهو كاشفها ومظهرها مع كتمانكم لها" (4).
"قلنا اضربوا القتل بجزء من هذه البقرة المذبوحة، فإن الله سيبعثه حياً، ويخبركم عن قاتله، فضرِبوه ببعضها فأحياه الله وأخبر بقاتله كذلك يُحيي الله الموتى يوم القيامة، ويريكم -يا بني إسرائيل- معجزاته الدالة على كمال قدرته تعالى لكي تتفكروا بعقولكم، فتمتنعوا عن معاصيه" (5).

(1) محمد الأمين، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (1/ج 482)

(2) الصابوني، صفوة التفاسير (ج 1/ 60)

(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج 1/ 474)

(4) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص 17)

(5) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج 1/ 11)

خامساً: مقاصد وأهداف الآيات

وتظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- قتل النفس من أكبر الكبائر:

حذر الله ﷻ من القتل و من قتل نفس بغير حق فكأنما قتل الناس جميع كما قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]، والقتل المتعمد جزاؤه جهنم وغضب الله والعنة كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 93]، وحذر النبي ﷺ من قتل النفس بغير حق في كثير من الأحاديث منها ما روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: " أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَوْلُ الزُّورِ، أَوْ قَالَ: وَشَهَادَةُ الزُّورِ " (1)، وحرّم الله القتال بين المسلمين فقال رسول الله ﷺ: "إِذَا نَقَى الْمُسْلِمَانِ بَسِيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ" (2).

2- الله يعلم السر وأخفى:

أن الله ﷻ ذكر في كثير من آياته أنه يعلم السر وأخفى قال تعالى: ﴿وَإِنْ نَجَّهَرْنَا بِأَلْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: 38]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19]، (والله مخرج ما كنتم تكتُمون) أي ما كنتم بينكم من أمر القتل فالله مظهره لعباده ومبينه لهم، وعن المسيب بن رافع قال ما عمل رجل حسنة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله وما عمل رجل سيئة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله، وتصديق ذلك في كتاب الله.

(والله مخرج ما كنتم تكتُمون) وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷻ لو أن رجلاً عمل عملاً في صخرة صماء لا باب لها ولا كوة خرج عمله إلى الناس كائنًا ما كان (3)، وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: 13].

(1) [البخاري، صحيح البخاري، الديات/ قوله تعالى ومن أحيها، 9/ 4: رقم الحديث 6871].

(2) [البخاري، صحيح البخاري، الديات/ قوله تعالى ومن أحيها، 9/ 4: رقم الحديث 6875].

(3) [محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج1/ 199)، [الحاكم، المستدرک على الصحيحين، 4/ 349: رقم الحديث 7877]، [أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، مسند أبي سعيد الخدري (329/17)، صحيح

3- اظهار القاتل كرامة لموسى عليه السلام:

وَأَمَّا تَعَلَّقَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِكَشْفِ حَالِ قَاتِلِي هَذَا الْقَتِيلِ مَعَ أَنَّ دَمَهُ لَيْسَ بِأَوَّلِ دَمٍ طَلَّ فِي الْأُمَمِ إِكْرَامًا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَضِيعَ دَمٌ فِي قَوْمِهِ وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَيَمْرَأَى مِنْهُ وَمَسْمَعٌ لَا سِيَّمَا وَقَدْ قَصَدَ الْقَاتِلُونَ اسْتِغْفَالَ مُوسَى وَدَبَّرُوا الْمَكِيدَةَ فِي إِظْهَارِهِمُ الْمُطَالَبَةَ بِدَمِهِ فَلَوْ لَمْ يُظْهِرِ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الدَّمِ فِي أُمَّةٍ لَضَعَفَ يَقِينُهَا بِرَسُولِهَا وَلَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُهُمْ شَكًّا فِي صِدْقِهِ فَيَنْقَلِبُوا كَافِرِينَ فَكَانَ إِظْهَارُ هَذَا الدَّمِ كِرَامَةً لِمُوسَى (1).

4- قدرة الله على احياء الموتى يوم القيامة:

وَنَبَّهَ تَعَالَى بِإِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا عَلَى إِعَادَةِ الْأَجْسَامِ بَعْدَ صَيْرُورَتِهَا رَمِيمًا، كَمَا قَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ: عَنْ أَبِي رَزِينِ الْعَقِيلِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى؟ قَالَ: أَمَا مَرَرْتَ بِوَادٍ مُمَجَلٍ، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ خَضِرًا؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: «كَذَلِكَ النُّشُورُ». أَوْ قَالَ: كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى، وَشَاهِدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يس: 33 - 35] (2).

تفسير الإحياء برد الحياة إلى الموتى، كما قال المفسرون: يؤدي إلى غرس الإيمان بصحة البعث في القلوب، لأن المعنى عليه، كهذا الإحياء العجيب- وهو إحياء القاتل بضربه ببعض البقرة ليخبر عن قاتله- يحيي الله الموتى بأن يبعثهم من قبورهم يوم القيامة، ليحاسبهم على أعمالهم، فيكون إثباتاً للبعث عن طريق المشاهدة حتى لا ينكره منكر (3).

5- العقل يدل على قدرة الله في احياء الموتى:

{لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}: أي لكي تكمل عقولكم وتعلموا أن من قدر على إحياء نفسٍ قدر على إحياء الأنفس كلها أو تعلم على قضية عقولكم ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الإحياء مع ظهور كمال قدرته على إحيائه ابتداءً بلا واسطة أصلاً اشتماله على التقرب إلى الله تعالى وأداء الواجب ونفع اليتيم والتتبية على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الأولاد ونفع برّ الوالدين وأن من حق الطالب أن يقدم قربة ومن حق المتقرب أن يتحرى الأحسن ويغالي بثنائه كما يروى عن عمر رضي الله عنه أنه ضحى بنحيبية اشتراها بثلاثمائة دينار وأن المؤثر هو الله تعالى وإنما الأسباب أمارات لا تأثير لها وأن من رام أن يعرف أعدى عدوه الساعي في إماتته الموت الحقيقي فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التي هي قوته

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (1/ج/ 561)

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج/1/ 303)

(3) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي (ج/1/ 173)

الشهوية حين زال عنها شرُّ الصِّبَا ولم يلحقها ضعف الكِبَر وكانت معجبةً رائقةً المنظرَ غيرَ مذلةٍ في طلب الدنيا مسلَّمةً عن دنسها لا سمة بها من قبائحها بحيث يتصلُّ أثره إلى نفسه فيحيا بها حياةً طيبةً ويُعربَ عما به ينكشف الحالُ ويرتفعُ ما بين العقل والوهم من التداوُّر والجدال (1).

سابعاً: ربط الآيات بالواقع:

1. التحذير من أن يكتم الإنسان شيئاً لا يرضاه الله ﷻ؛ فإنه مهما يكتم الإنسان شيئاً مما لا يُرضي الله ﷻ فإن الله سوف يطلع خلقه عليه، إلا أن يعفو الله عنه (2)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (3) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك: 13 - 14].

2. يجب علينا غاية الجوب أن نتقيد بإحياء نفوسنا بالحياة الحقيقية وإصلاح قلوبنا بالإصلاح الحقيقي واخلص أعمالنا بالإخلاص الحقيقي فإن المنظر الإلهي إنما هو القلوب والأعمال لا القصور والأموال كما ورد في الحديث: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأحوالكم بل إلى قلوبكم وأعمالكم (3)، فالمعتبر هو الباطن والسرائر دون السير والظواهر والعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والجاهل من نسى نفسه واتبع هواه وما يعقل ذلك الا العالمون وما يعلمه الا الكاملون (4).

المطلب الثالث: ذم أصحاب القلوب القاسية

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (4) [البقرة: 74]

أولاً: معاني المفردات:

قَسَتْ: القسوة الصلابة ونقيضها الرقة

يَشَقُّقُ: التشقق التصدع بطولٍ أو عرض

يَهْبِطُ: الهبوط النزول من أعلى إلى أسفل (5).

الخشيّة: الخوف (6).

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج1/ 114)

(2) ابن عثيمين، التفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (ج1/ 245)

(3) [ابن ماجة، سنن بن ماجة، باب القناعة، 2/ 1388: 4143]، [حكم الالباني صحيح]

(4) إسماعيل حقي، روح البيان (ج1/ 163)

(5) الصابوني، صفوة التفسير (ج1/ 58)

(6) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي (ج1/ 146)

ثانياً: البلاغة:

ثُمَّ قَسَتْ ثُمَّ للترتيب مع التراخي، والتعبير بحرف ثَمَّ يدل على أن قسوة قلوب اليهود بلغت مرتبة بعيدة جداً عن الوضع السليم أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً أَوْ بمعنى بل، أي بل أشد قسوة، كقوله تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةٍ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] (١).

ثالثاً: المناسبة:

لما كان حصول المعصية منهم بعد رؤية هذه الخارقة مستبعد التصور فضلاً عن الوقوع أشار إليه بقوله {ثم قست} من القسوة وهي اشتداد التصلب والتحجر {قلوبكم} ولما كانت لهم حالات يطيعون فيها أتى بالجار فقال {من بعد ذلك} أي من بعدما تقدم وصفه من الخوارق في المراجعات وغيرها تذكيراً لهم بطول إمهاله لهم سبحانه مع توالي كفرهم وعنادهم، وتحذيراً من مثل ما أحل بأهل السبب {فهي} أي فتسبب عن قسوتها أن كانت {كالحجارة} التي هي أبعد الأشياء عن حالها، فإن القلب أحيى حي والحجر أجمد جامد، ولم يشبهها بالحديد لما فيه من المنافع، ولأنه قد يلين (٢).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"ولكنكم لم تنتفعوا بذلك إذ بعد كل هذه المعجزات الخارقة اشتدت قلوبكم وغلظت، فلم ينفذ إليها خير، ولم تَلِنْ أمام الآيات الباهرة التي أريتموها، حتى صارت قلوبكم مثل الحجارة الصماء، بل هي أشد منها غلظة؛ لأن من الحجارة ما يتسع وينفج حتى تنصب منه المياه صباً، فتصير أنهاراً جارية، ومن الحجارة ما يتصدع فينشق، فتخرج منه العيون والينابيع، ومن الحجارة ما يسقط من أعالي الجبال من خشية الله تعالى وتعظيمه. وما الله بغافل عما تعملون" (٣).

خامساً: مقاصد وأهداف الآية.

تظهر هذه المقاصد والأهداف من خلال النقاط الآتية:

1- من علامات قسوة القلوب:

وللقلب القاسي علامات: منها جمود العين، وطول الأمل، وعدم الحزن على ما فاته من الطاعات وما صدر منه من السيئات، وعدم الفرح بما يصدر منه من الطاعات، فإن المؤمن تسره حسناته وتسيئه سيئاته، ودواؤه: صحبة الفقراء الذاكرين الخاشعين، والجلوس بين يدي العارفين الكاملين، وتعاهد الصيام، والصلاة بالليل والناس نيام، والتضرع إلى الحي القيوم الذي لا ينام، وللشافعي رحمه الله: وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ الرَّجَا مَنِّي لِعَفْوِكَ سَلْمًا

(١) الزحيلي، التفسير المنير (ج 1/ 193)

(٢) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج 1/ 478-480)

(٣) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج 1/ 11)

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوِكَ أَعْظَمًا (1).

وقال بعض الحكماء: معنى قوله: ثُمَّ قَسَمْتُ قُلُوبِكُمْ، أي يبست. ويبس القلب أن يبس عن ماءين أحدهما: ماء خشية الله والثاني: ماء شفقة الخلق (2).

2- خشية الحجارة:

ان الحجارة رغم انها صماء جامدة لا انها تخشى الله ﷻ وتسبح بحمده كما قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبِّحْ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

﴿[الإسراء: 44]﴾، فالسماوات السبع والأرض من فيهما يسبحون بحمد الله من خشيته

وقد قَالَ أهل السنّة: إن لله تَعَالَى علما في الموات لَا يُعَلِّمُهُ غَيْرُهُ، وَقِيلَ: إن الله تَعَالَى يفهمهم ويلهمهم ذَلِكَ فيخشون بالهامه، وبمثل هَذَا وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ (3)

أن الله جل ذكره أعطى بعض الحجارة المعرفة والفهم، فعقلت طاعة الله فأطاعته، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْتَجَمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: 6]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ

اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: 48]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[الحشر: 21]، وروى مسلم عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أُحُدًا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ" (4)، وروى البخاري، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جِدْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمُنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الْجِدْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ" (5)، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: "إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ" (6)، وَفِي صِفَةِ الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ أَنَّهُ يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِي مَعْنَاهُ" (7).

(1) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (ج1/ 121)

(2) السمرقندي، بحر العلوم (ج1/ 65)

(3) السمعاني، تفسير القرآن (ج1/ 96)

(4) مسلم، صحيح مسلم، الحج/ أحد جبل يحبنا ونحبه، 1011/2: رقم الحديث 1393.

(5) [البخاري، صحيح البخاري، المناقب/ علامات النبوة، 4/ 195: رقم الحديث 3583].

(6) [مسلم، صحيح مسلم، الفضائل/ فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، 4/

1782: 2277].

(7) ينظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/ 305)

3- علاقة اليهود بالحجر:

علاقة اليهود بالحجر متجذرة، وقد أورد القرآن جانباً من ذلك:

- أ- شبه الله تعالى قسوة قلوب اليهود بالحجر، فهي كالحجارة أو أشد قسوة.
- ب- قول تعالى: لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر.
- ت- أمر الله نبيهم موسى ﷺ بضرب الحجر، فانجست منه عيون الماء فانجست منه اثنتا عشرة عينا
- ث- اتهم بنو إسرائيل موسى ﷺ بأن به مرضاً، فدخل يغتسل في البحر مرة، وترك ملابسه على الحجر، فإذا بالله يأمر الحجر ليتحرك، وخرج موسى يبحث عن ثيابه، فتأكد اليهود من سلامته ﷺ.
- ج- رفع الله جبل الطور على اليهود عندما رفضوا الإيمان، وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة.
- ح- دعا داوود ﷺ أن من قُتل بالحجارة في أرض المعركة ملعون.
- خ- في عقائدهم خوف من الطفل الذي يحمل الحجارة، وذلك مما يبرز لدى أطفال الحجارة (1).
- د- قتل داود عليه السلام لجالوت، وهذا مشاهد في واقعنا المعاصر من خوف اليهود من أطفال الحجارة في فلسطين .

4- قلوب اليهود أقسى من الحجارة:

قلوب هؤلاء اليهود لا تتقاد ولا تلين ولا تخشع ولا تفعل ما أمرت به وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أي الذي تعملونه وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الأعمال السيئة فقلب الكافر أشد في القساوة من الحجارة وأنها مع فقد أسباب الفهم والعقل منها وزوال الخطاب عنها تخضع له وتتصدع قال تعالى لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وقلب الكافر مع وجود أسباب الفهم والعقل وسعة هيئة القبول لا يخضع ولا يلين (2).

وهذه الحجارة تارة تتأثر متأثراً يعود بمنفعة عظيمة على الناس، والحيوان، والزرع بخروج الأنهار، وأخرى تتأثر متأثراً ضعيفاً يترتب عليه منفعة قليلة، فتنبع منه العيون والآبار، وحيناً تتأثر بالتردي والسقوط بلا منفعة للناس، وقلوب هؤلاء لا تتأثر بحال، فلا تجدي فيها الحكم والمواعظ التي من شأنها أن تنفذ في الوجدان، وتصل إلى الجنان، وإن الله تعالى لكم بالمرصاد، فهو حافظ لأعمالكم ومحصيا عليكم، ثم

(1) أرشيف منتدى الفصيح

(2) إسماعيل حقي، روح البيان (ج1/ 164)

يجازيكم بها وهو يريكم بصنوف النعم إذا لم تجد فيكم ضروب النعم، ولا يخفى ما في هذا من شديد التهديد والوعيد (1).

وجه حكمة ضرب قلوبهم مثلاً بالحجارة، وتشبيهها بها، دون غيرها من الأشياء الصلبة؛ من الحديد، والصُّفْر، وغيرهما، وذلك - والله أعلم - أن الحديد تُلينه النار، وكذلك الصُّفْر حتى تضرب منهما الأواني. والحجر لا تُلينه النار ولا شيء؛ لذلك شبه قلب الكافر بها. وهذا - والله أعلم - في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون أبداً (2).

ولم يخلق الله تعالى شيئاً في هذا الوجود عبثاً، وإنما لفائدة، ففي الآية دلالة على بعض فوائد الأحجار ونحوها من الجمادات، وأنها تتصاع لأمر الله، فإن تمردت فئة من المخلوقات عن الصبغة الإلهية، وأصبحت عديمة النفع، لعدم تأثرها بالعظمت وعدم قبولها الحق، فالله يجازيها جزاء وفاقا، في الدنيا والآخرة، فيسلط عليها في الدنيا بعض النعم، إن لم تحركها النعم، ويعذبها في نار جهنم في الآخرة، لإبائها الحق ولعدم طاعتها أوامر الله تعالى (3).

5-سبب قسوة قلوب اليهود:

أ- نقض ما أخذه الله عليهم من موثيق، لا سيّما ما يتعلّق بدعوة الرّسول ﷺ بتحريف الكلم عن مواضعه، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: 13] (4)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَحْشَع قُلُوبُهُمْ لِيُذَكِّرَ اللَّهُ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 16].

ب- نسيان جزء كبير مما شرعه الله لهم، ودكّرتهم به أنبياءهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: 19].

ت- الخيانة التي تسري في عروقهم وشواهد التاريخ قديماً وحديثاً، تنطق بذلك. قال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: 13]، ومن غدرهم وخيانتهم أنه لما فتح خيبر أهدوا له شاة مسمومة فأكل منها ولم يحصل مرادهم ولله الحمد، ولكنه صلى الله عليه

(1) محمد الامين، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج1/ 498)

(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج1/ 496)

(3) الزحيلي التفسير المنير (ج1/ 194)

(4) مناهج جامعة المدينة العالمية أصول الدعوة وطرقها 2 - جامعة المدينة (ص220)

وسلم «كان يقول في مرض الموت: (ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر، وهذا أوان انقطاع أبهري)(1).

سادساً: ربط الآية بالواقع:

1. يقول الشعراوي: "فالقلب هو منبع اليقين ومصب الإيمان، وكما أن الإيمان في القلب فإن القسوة والكفر في القلب، فالقلب حينما ينسى ذكر الله يقسو لماذا؟، لأنه يعتقد أنه ليس هناك إلا الحياة الدنيا وإلا المادة فيحاول أن يحصل منها على أقصى ما يستطيع وبأي طريقة فلا تأتي إلا بالظلم والطغيان وأخذ حقوق الضعفاء، ثم لا يفرط فيها أبداً لأنها هي منتهى حياته فلا شيء بعدها، إنه يجد إنساناً يموت أمامه من الجوع ولا يعطيه رغيفاً، وإذا خرج الإيمان من القلب خرجت منه الرحمة وخرج منه كل إيمان الجوارح، فلمحة الإيمان التي في اليد تخرج فتمتد اليد إلى السرقة والحرام، ولمحة الإيمان التي في العين تخرج فتتنظر العين إلى كل ما حرم الله، ولمحة الإيمان التي في القدم تخرج فلا تمشي القدم إلى المسجد أبداً ولكنها تمشي إلى الخمارة وإلى السرقة، لأنه كما قلنا القلب مخزن الإيمان في الجسم" (2).

2. تحدّث القرآن الكريم، عن قسوة قلوب بني إسرائيل، قسوة لم توصف بها أمة من الأمم سواهم، وإنّ واقع ما يحدث في فلسطين الآن، من قتل واغتتيال وحرق للأخضر واليابس، وإبادة جماعيّة للمسلمين على أيدي إسرائيل، لأكثر من سبعين عاماً، صورة حيّة لما أخبر عنه القرآن الكريم، وقسوة قلوب اليهود لا تلين أبداً حسب ما أثبت التاريخ من جرائمهم التي جاوزت كل حدود الرحمة وكل حقوق الإنسان إذا كانت بأيديهم الغلبة، وسيأتي يوم يشهد الحجر والشجر على اليهود كما روى مسلم عن أبي هريرة، أنّ رسول الله ﷺ قال: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَأَقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ" (3)، وهذه بشرى من النبي ﷺ بالقضاء على اليهود في الأرض المقدسة على أيدي المسلمين إن شاء الله.

(1) [البخاري، صحيح البخاري، المغازي/مرض النبي ﷺ ووفاته، 9/6: رقم الحديث 4428].

(2) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 402)

(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفتن واشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (4/ 2239)(ح/ 2922)

الخاتمة

أولاً: أهم النتائج:

وتتلخص أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في النقاط التالية:

- 1- أهمية سورة الفاتحة وفضلها وشرفها ودليل ذلك كثرة اسمائها وقراءتها في الصلاة في اليوم سبعة عشرة مرة، وهي أعظم سورة في القرآن.
- 2- فضل سورة البقرة وسبب وزمان ومكان نزولها وان فيها أعظم آية في القرآن الكريم وأنها تقي الانسان من السحر وفيها اسم الله الأعظم الذي إذا دعيه به أجاب وان الشيطان يفر من البيت التي تقرأ فيه سورة البقرة.
- 3- أهمية الإخلاص لله سبحانه في الحمد ومحبة الله لمن حمده وكيفية حمد الله واجر الحامدين وسبب الحمد وربط الحمد بالواقع.
- 4- رحمة الله بعباده وسعة رحمة الله واهتمام القرآن بالرحمة ومظاهر رحمة الله بعباده.
- 5- اثبات المعاد وعدل الله يوم القيامة، وأثر عدم الايمان بيوم الدين علي الأمم والجماعات، والحكمة من اختصاص الله بملك يوم الدين مع كونه مالك لكل شيء
- 6- وجوب إخلاص العبادة لقبولها ودرجات العبادة وشرف وفضل العبادة والحكمة من تقديم العبادة على الاستعانة والحكمة من الجمع بين العبادة والاستعانة.
- 7- أن الدعاء هو العبادة و الصراط المستقيم هو الإسلام و طلب الهداية من الله ﷻ ومراتب الهداية و أنواع الهداية وطريق الهداية واحد والمراد بصراط الذين أنعم الله عليهم والدعاء بالتوفيق والثبات على الصراط المستقيم والصراط المستقيم طريق الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وأن طرق الضلال متعددة.
- 8- تخصيص الهداية للمتقين وتعريف التقوى والمتقين وبيان فضيلة التقوى وأهلها ومراتب التقوى ومظاهر التقوى.
- 9- الإيمان بالله من أركان العقيدة وتعريف الايمان بالغيب وحقيقة الإيمان وثمرات الإيمان بالغيب والمتقون متصفون بإقامة الصلاة والانفاق في سبيل الله.
- 10- أن الأمة الإسلامية تؤمن بكل الأنبياء وشهادة الله بهداية المتقين.

- 11- أنواع الكفر وحرمان الجاحدين من الهداية والحكمة من دعوة الكافرين الجاحدين للحق وسبب كفر وجحود المشركين واليهود والختم على قلوبهم وسمعهم والحكمة من الختم على القلوب والسمع.
- 12- طرق خداع المنافقين و الحكمة من امتناع النبي ﷺ عن قتل المنافقين وخطر المنافقين وعقابهم و مظاهر افسادهم ودفاع الله عن المؤمنين ضد تهم المنافقين وعن سفاهتهم وبعض صفات المنافقون وضرب الأمثال لحال المنافقين وضلال المنافقين وتخلي الله عنهم.
- 13- دعوة الناس للتوحيد وبراهين واثبات البعث وأدلة توحيد الله وقدرته.
- 14- اعجاز القرآن وتحدي الناس بالإتيان بسورة كسور القرآن ومراحل التحدي وثواب الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح.
- 15- الحكمة من ضرب المثل وموقف المؤمنين والكافرين منه وفضيلة الإيمان وقدرة الله سبحانه وحكمته في خلق البعوضة.
- 16- المقصود من نقض العهد والتحذير من نقض عهد الله من بعد ميثاقه وجوب الوفاء بالعهد وأن المعاصي والفسوق سبب للفساد في الأرض ونقض العهد والمؤمنون أعظم أثراً من الكافرين والمؤمنون أعظم أثراً من الكافرين.
- 17- المؤمنون أعظم أثراً من الكافرين والتذكير بنعمة الإحياء والأدلة على قدرة الله ﷻ وتعريف الموت و تعريف الكفر و تسخير الكون للإنسان و تكريم الانسان باستخلافه والحكمة من استخلاف آدم ﷺ والمشورة بين العباد من دين الله و وجوب تنصيب خليفة للمسلمين و طرق تعيين الإمام.
- 18- فضل العلم وفضل آدم عليه السلام وفضل العلم على العبادة والحكمة في الأمر بالسُّجودِ لآدم وبعض صفات ابليس والتحذير من عداوة الشيطان وإغوائه وفتح باب التوبة.
- 19- نعم الله على بني إسرائيل ودعوة اليهود إلى إداء العبادات وعُقُوبَةِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ وَأثر مخالفة القول للعمل على الدعوة والأثر السلبي لعلماء السلاطين والخطباء.
- 20- المراد بالخشوع وأسباب وآثار الخشوع وأصل ومفهوم الصبر ومميزات الصبر وأن الصلاة أكبر معين على الثبات.
- 21- أن نهاية الظلم حتمية و العذاب والغرق لفرعون وجنوده ونعم الله على موسى و سيدنا محمد عليهما السلام ونعم الله على بني إسرائيل و موقف اليهود من التوراة و الفرق بين أمة محمد ﷺ وبني إسرائيل.
- 22- القتل سبب قبول التوبة لبني إسرائيل و وجوب إخلاص التوبة لله ﷻ وترغيب اليهود بالتوبة والايمان بمحمد ﷺ والحكمة من عدم رؤية الله ﷻ في الدنيا و جحود بني إسرائيل رغم عظيم الآيات التي رأوها و حرصهم على الحياة وظلمهم أنفسهم وتبديلهم كلام الله.

- 23- سنة الاستسقاء جامعة لنعمة الدنيا والدين ووجوه الاعجاز من انفجار الماء من الحجارة والمعجزات من صنع الله وكفران نعمة الله فيه الهلاك.
- 24- سوء أدب اليهود مع موسى ﷺ وقتلهم الأنبياء بغير حق و فضل المن والسلوى.
- 25- السعادة الأبدية بالتباع النبي محمد ﷺ وثواب المؤمنين العاملين و وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق و سبب أخذ الميثاق على بني اسرائيل ورفع الطور فوقهم.
- 26- حرمة الاحتيال لإباحة المحرم وسوء عاقبة المحتالين المعتدين ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعض جرائم اليهود وعقابهم ومعجزة إحياء الميت وقصة البقرة وسوء أخلاق بني إسرائيل وذم استهزاء والأخذ بالمتيسر وكراهة التشدد في الأمور ومعجزة إحياء الموتى وحرص بني إسرائيل على عدم تنفيذ أمر لله.
- 27- أن قتل النفس من أكبر الكبائر واطهار القاتل كرامة لموسى ﷺ وقدرة الله على احياء الموتى يوم القيامة و قلوب اليهود أفسى من الحجارة و سبب قسوة قلوب اليهود.

ثانياً: التوصيات:

- 1- أوصي إخواني من طلبة العلم بكتابة رسائل خاصة بربط القرآن بالواقع الفلسطيني وخاصة في الجهاد في سبيل الله، واليهود، والمنافقين، حيث تشعر أن القرآن وكأنه نزل لأهل فلسطين خاصة.
- 2- أوصي إخواني طلبة العلم بتدبر القرآن تدبراً عميقاً وخاصة في أهداف ومقاصد القرآن لأنه يعين استنباط الحكم والقيم وأنه يقدم الحلول المناسبة للمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل. (1405 هـ)، الموسوعة القرآنية. (د. ط.). (د. م) مؤسسة سجل العرب.
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري. (1399 هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر. (د. ط) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية.
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. (1416 هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. القاهرة: دار الحديث.
- إسماعيل حقي، بن مصطفى الإستانبولي الحنفي. (د. ت) روح البيان. (د. ط.).
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب. (1420 هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني. تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني. ط1. جامعة طنطا: كلية الآداب.
- الألباني ناصر الدين، محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، (1393 هـ). الرد الوافر. تحقيق: زهير الشاويش. ط1. بيروت: المكتب الإسلامي.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري. (1415 هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. ط1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري. (د. ت) صحيح الجامع الصغير وزيادات. (د. ط) (د. م): المكتب الإسلامي.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (1415 هـ- 1416 هـ-1422 هـ). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. ط1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (د. ت). صحيح أبي داود. (د. ط). الكويت. مؤسسة غراس للنشر والتوزيع.
- الألباني، حمد ناصر الدين. (1405 هـ). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. إشراف: زهير الشاويش. ط2. بيروت. المكتب الإسلامي.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (1415 هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. (د. ت). تفسير الماوردي، النكت والعيون. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. (1422هـ). *صحيح البخاري*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. (د. م) دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله. (د. ت). *خلق أفعال العباد*. تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة. (د. ط). الرياض. دار المعارف السعودية.

بدر الدين العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي. (د. ت) *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. (د. ط) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بك. (د. ت). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. (د. ط). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. (1408 هـ). *مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلْإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ. وَيُسَمَّى: "الْمَقْصِدُ الْأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلْمُسَمَّى"*. ط1. الرياض. مكتبة

أبوبكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر. (1424هـ)، *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*. ط5. المملكة العربية السعودية: مكتبة العلوم والحكم. بيروت: دار الفكر. بيروت: دار الكتب العلمية.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. (1418 هـ)، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البيع الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف. (1411هـ)، *المستدرک علی الصحیحین*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَ وَجْرْدِي الخراساني، أبو بكر. (1423 هـ)، *شعب الإيمان*. تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد. ط1. الهند: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَ وَجْرْدِي الخراساني، أبو بكر. (1423 هـ). *شعب الإيمان*. تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مختار أحمد الندوي. ط1. الرياض. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند. تحقيق:

شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله. ط1. دار الرسالة العالمية. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1. بيروت: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى. (1395 هـ)، سنن الترمذي. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر. (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي. (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض. (ج 4، 5). ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الثستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع الثستري. (1423هـ). تفسير الثستري. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني. (1416هـ-1426 هـ). مجموع الفتاوى. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. ط1. ط3. المدينة النبوية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني. (1418 هـ). المستدرک على مجموع فتاوى شيخ الإسلام. تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. ط1. (د. م). (د. ن).

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي. (1419هـ). اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل. ط7. بيروت. دار عالم الكتب.

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. (1418 هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن. تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. ط1. بيروت: دار إحياء التراث

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (1403هـ). التعريفات. تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخصيري، محمد. (د. ت). أهمية علم مقاصد السور. تاريخ الاطلاع: 2016/11/23م. الموقع في رحاب التنزيل: http://rehabtanzyil.blogspot.com/2012/11/blog-post_6909.html :

جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د. ت). الإتيان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د. ط). (د. م). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جماعة من علماء التفسير. (1436هـ). المختصر في تفسير القرآن الكريم. إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية. ط3. (د. م). (د. ن).

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي محمد. (1422 هـ)، زاد المسير في علم التفسير. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. (د. ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي. (د. ت). تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. تحقيق: أسعد محمد الطيب. (د. ط). المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستِي. (د. ت)، *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. (1403هـ). *فضائل الصحابة*. تحقيق: د. وصي الله محمد عباس. ط1. بيروت. مؤسسة الرسالة.

الحنبلي، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي. (1430 هـ)، *فتح الرحمن في تفسير القرآن*. تحقيق: نور الدين طالب. ط1. (د. م) دار النوادر: (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية).

حوي، سعيد. (1424 هـ). *الأساس في التفسير*. ط6. القاهرة. دار السلام.

أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. (1420 هـ)، *البحر المحيط في التفسير*. تحقيق: صدقي محمد جميل. ط1. بيروت: دار الفكر.

الخانز، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشححي أبو الحسن. (د. ت). *لباب التأويل في معاني التنزيل*. تصحيح: محمد علي شاهين. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري. (د. ت)، *صحيح ابن خزيمة*. تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي. (د. ط) بيروت: المكتب الإسلامي.

د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل. (1429هـ)، *معجم اللغة العربية المعاصرة*. ط1. (د. م) عالم الكتب.

الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي. (1424 هـ)، *سنن الدار قطني*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد، التميمي السمرقندي. (1412 هـ)، *سنن الدارمي*. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. ط1. المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني. (د.ت) *سنن أبي داود*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د. ط) بيروت: المكتبة العصرية.

دراز، محمد بن عبد الله. (1426هـ). *لنبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم*. تحقيق : أحمد مصطفى فضلية. (د. ط) (د. م) : دار القلم للنشر والتوزيع

الدكتور سعدي أبو حبيب. (1408 هـ). *القاموس الفقهي لغة واصطلاحا*. ط2. دمشق: دار الفكر.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز. (1427هـ). سير أعلام النبلاء (د. ط). القاهرة. دار الحديث.

الذهبي، محمد السيد حسين الذهبي. (د. ت)، التفسير والمفسرون. (د. ط) القاهرة: مكتبة وهبة. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي. (1420هـ)، مفاتيح الغيب - التفسير الكبير. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين. (1399هـ)، معجم مقاييس اللغة. (د. ط) تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (د. م) دار الفكر.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. (1420هـ)، مختار الصحاح. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. بيروت، صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية.

رضا، محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني. (1990م). تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار. (د. ط). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الرومي، محمد بن إبراهيم بن سليمان. (1434هـ). ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة. ط1. المملكة العربية السعودية. دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع. الريسوني، أحمد. (1412 هـ). نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي. ط3. (د. م). الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى (د. ت). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين. (د. ط). (د. م). دار الهداية.

الزحيلي، د وهبة بن مصطفى. (1418 هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزحيلي، د وهبة بن مصطفى. (1422 هـ). التفسير الوسيط. ط1. دمشق: دار الفكر. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. (1376هـ)، البرهان في علوم القرآن. ط1. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د. م) دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (2002 م). الأعلام. ط15. (د. ن). دار العلم للملايين

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله. (د. ت). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. (د. ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف. (د. ت). *زهرة التفاسير*. (د. ط). (د. م).
دار الفكر العربي.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (1420هـ)، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام
المنان*. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. (د. ط). (د. م). مؤسسة الرسالة.

أبو السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. (د. ت). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا
الكتاب الكريم*. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. *بحر العلوم*.

السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم
الشافعي. (1418هـ)، *تفسير القرآن*. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم.
ط1. السعودية: دار الوطن.

السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف. (د. ت). *الدر
المصون في علوم الكتاب المكنون*. تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط. (د. ط). دمشق:
دار القلم.

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي. (1412 هـ)، *في ظلال القرآن*. ط17. بيروت - القاهرة: دار
الشروق

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (د. ت). *الدر المنثور*. (د. ط). بيروت: دار الفكر
الشعراوي، محمد متولي. (د. ت). *تفسير الشعراوي - الخواطر*. (د. ط). (د. م). مطابع أخبار اليوم.
الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني. (1415 هـ)، *أضواء البيان في
إيضاح القرآن بالقرآن*. (د. ط). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني. (1414 هـ)، *فتح القدير*. ط1. دمشق،
بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

الشيخ علوان، نعمة الله بن محمود النخجواني. (1419هـ)، *الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة
للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*. ط1. مصر: دار ركاابي للنشر.

الصابوني، محمد علي الصابوني. (1417هـ)، *صفوة التفاسير*. ط1. القاهرة: دار الصابوني للطباعة
والنشر والتوزيع. ط1. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم. (د. ت)، *المعجم الأوسط*.
تحقيق: الحسيني، طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم. (د. ط)
القاهرة: دار الحرمين.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم. *المعجم الكبير*. تحقيق:
حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط2. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر. (1420هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. (د.ن). مؤسسة الرسالة.
- طنطاوي، محمد سيد. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط1. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي. (1425 هـ). مقاصد الشريعة الإسلامية. تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. (د. ط). قطر. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي. (د. ت). التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». (د. ط). تونس: دار التونسية للنشر
- ابن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب. (د. ت). المحيط في اللغة. (د. ط). (د. م). (د. ن).
- أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي. (د. ت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. (د. ط). بيروت. المكتبة العلمية
- العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي. (د. ت) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. (د. ط) بيروت: المكتبة العلمية.
- ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء. (1414 هـ). قواعد الأحكام في مصالح الأنام. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. القاهرة. مكتبة الكليات الأزهرية.
- ابن العبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد بن علي. (1427هـ). نواقض الإيمان القولية والعملية. ط3. (د.ن). مدار الوطن للنشر.
- عبد الواحد المقدسي، ضياء الدين أبو عبد الله محمد. (2004). الموافقات العوالي. ط1. الناشر: مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية.
- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي. (1419 هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان. ط1. القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي.
- ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله. (2008 م)، تفسير ابن عرفة. تحقيق: جلال الأسيوطي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء. (1414 هـ). قواعد الأحكام في مصالح الأنام. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. ط1. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

عمر، بن رضا، بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي. (د0 ت) معجم المؤلفين. (د. ط) بيروت: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي.

الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. (1407 هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. (د. ط). (د. م) دار ومكتبة الهلال.

الفتي، إبراهيم. (1430 هـ). الطريق إلى الامتياز. (د. ط). (د. م). دار الريا للناشر والنشر والتوزيع.

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (1426 هـ)، القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق. (1418 هـ)، محاسن التأويل. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. (1384 هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية.

القسيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. (د. ت). لطائف الإشارات. تحقيق: إبراهيم البسيوني. ط3. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القطان، مناع بن خليل القطان. (1421 هـ)، مباحث في علوم القرآن. ط3. (د. م) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (1412 هـ). فتح البيان في مقاصد القرآن. تحقيق: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. ط1. بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. (1415 هـ). زاد المعاد في هدي خير العباد. ط27. بيروت. مؤسسة الرسالة. الكويت. مكتبة المنار الإسلامية.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. (1416 هـ). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت. دار الكتاب العربي.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1410 هـ)، تفسير القرآن الكريم. تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (1420 هـ)، تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2. (د. ن). دار طيبة للنشر والتوزيع. الكواري، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام. (2008 م)، تفسير غريب القرآن. ط1. (د. م). دار بن حزم.

لجنة من علماء الأزهر. (1416 هـ)، المنتخب في تفسير القرآن الكريم. ط18. مصر: طبع مؤسسة الأهرام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد. سنن ابن ماجه (1414 هـ) (د. ط) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط). (د. م) دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي

مالك، بن أنس بن مالك بن عامر الأصبجي المدني. (1425 هـ). الموطأ. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. ط1. أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية. المراغي، أحمد بن مصطفى. (1365 هـ)، تفسير المراغي. ط1. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

المنجد، الشيخ محمد صالح. (د. ت) موقع الإسلام سؤال وجواب. تاريخ الاطلاع: 2016/11/15 م. الموقع: <https://islamqa.info/ar/132386>

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (1334 هـ)، صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

موقع، أرشيف منتدى الفصيح. (د. ت). الدراسات العليا. تاريخ الاطلاع: 2016/10/20 الموقع: <http://www.alfaseeh.com>

موقع، أرشيف ملتقى أهل الحديث، (د. ت). الرسائل العلمية (دكتوراه وماجستير). تاريخ الاطلاع: 2017/1/5 م الموقع: <http://www.ahlalhdeth.com>

المقدسي، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد. (1422 هـ) الموافقات. تحقيق: محمد مطيع الحافظ. ط1. بيروت. البشائر الإسلامية.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي. (1414 هـ)، لسان العرب. تحقيق: محمد أحمد حسب الله وعبد الله على الكبير وهاشم محمد الشاذلي. ط3. بيروت: دار صادر.

ناصر الدين، محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي،
شمس الدين، الشهير. (1393هـ). *الرد الوافر*. تحقيق: زهير الشاويش. ط1. بيروت.
المكتب الإسلامي.

نخبة من أساتذة التفسير. (1430هـ)، *التفسير الميسر*. ط2. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة
المصحف الشريف.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. (1406هـ)، *السنن الصغرى للنسائي*.
تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط2. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين. (1419 هـ)، *تفسير النسفي (مدارك
التنزيل وحقائق التأويل)*. تحقيق: يوسف علي بديوي. (د. ط). بيروت: دار الكلم الطيب.

النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي. (1419هـ)، *اللباب في
علوم الكتاب*. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط1.

بيروت: دار الكتب العلمية

النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي. (1419 هـ). *اللباب في
علوم الكتاب*. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط1.

بيروت. دار الكتب العلمية.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (د. ت). *المجموع شرح المذهب (مع تكملة السبكي
والمطيعي)*. (د. ط). (د. م). دار الفكر.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي. (1416 هـ)، *رأب القرآن ورغائب الفرقان*.
تحقيق: الشيخ زكريا عميرات. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الهرري، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي. (1421 هـ)، *تفسير حدائق
الروح والريحان في روابي علوم القرآن*. إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن

حسين مهدي. ط1. بيروت: دار طوق النجاة.

الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهرى ، أبو منصور. (2001م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض
مرعب. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الواحدى، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي.
(1422هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي

محمد. ط1.

الفهارس العامة

فهرس الآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
سورة الفاتحة			
25-30 30-45 57	2	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	1
25-30 45	2	﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾	2
25-30 57-55	4	﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾	3
19-20 30-59	5	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	4
25-30	6	﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	5
25-64 69	7	﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾	6
سورة البقرة			
20	185	﴿ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	7
20	183	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	8
21	179	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	9
41	163	﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾	10
69	21	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾	11
64	18	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾	12

76	2	﴿ ذَلِكِ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	13
79	197	﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾	14
80	177	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾	15
87	189	﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	16
81	3	﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾	17
-88-83 263	285	﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾	18
-89-85 188	261	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾	19
85	262	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُشْعُرُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	20
88 -86	5-4	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَآخِرُونَ هُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	21
93 -91	6	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	22
94	7	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	23
99	10-8	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَآلِئَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾	24

103	10	﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾	25
103	13-11	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾	26
107	16-14	﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾	26
110	20-17	﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمًّا بَكْرًا عَمَىٰ فَهَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي ءَادَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُبِطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾	27
116	22-21	﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	28
119	24-23	﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ لَّهُ مِثْلُهُ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾	29
239-122	25	﴿ وَيَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رُّزِقُوا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَنُؤْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾	30

127	26	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ يَهْدِنَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿﴾	31
132	27	﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿﴾	32
136	100	﴿أَوْكَلْنَا عَهْدُوهَا عَهْدًا بَدَدَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿﴾	33
141 - 137	29 - 28	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿﴾	34
143	30	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿﴾	35
147	32 - 31	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿﴾	36
151	33	﴿قَالَ يَادِمُ أَنْبِئِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿﴾	37
155	34	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿﴾	38
159	39 - 35	﴿وَقُلْنَا يَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ ﴿﴾	39

		الرَّحِيمِ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٩﴾	
167	41 - 40	﴿يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٨٠﴾ وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٨١﴾﴾	40
171	42	﴿وَلَا تَلْسِنُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٢﴾﴾	41
174	43	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٨٣﴾﴾	42
175	110	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٨٤﴾﴾	43
181 - 179	44	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٥﴾﴾	44
-184 187 - 186	46 - 45	﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٨٦﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٨٧﴾﴾	45
192	48 - 47	﴿يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٨﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾	46
197	50 - 49	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٩١﴾﴾	47
203	53 - 52	﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٩٣﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٩٤﴾﴾	48
209	54	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَلْقَوْنِي بِقَوْمٍ يَكْفُرُونَ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٩٥﴾﴾	49
214	59 - 55	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ	50

		<p>الصَّعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىَ كُلُوا مِنْ طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾</p>	
225	60	<p>﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ ﴿٦٠﴾</p>	51
231	61	<p>﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ﴿٦١﴾ قَالَ آتَيْنَا آلَ هَارُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٢﴾</p>	52
238	62	<p>﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ مِنَ ءَٰمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٣﴾</p>	53
260	82	<p>﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾</p>	54
243	64 - 63	<p>﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾</p>	55
244	83	<p>﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَإِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ حِسَابُكُمْ وَإِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾</p>	56
247	66 - 65	<p>﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً ﴿٦٥﴾</p>	57

		<p>خَسِيبِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾</p>	
254	71 - 67	<p>﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكْفُرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْئِهِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعُ لَوْئَهَا تُسْرُ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْعَى الْحَرثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾</p>	58
258	243	<p>﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾</p>	59
258	259	<p>﴿أَوَكَلِّدِي مَرْعَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴿٢٥٩﴾ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَامَ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦٠﴾﴾</p>	60
259	260	<p>﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُونَ ﴿٢٦٠﴾ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾</p>	61
261	73 - 72	<p>﴿وَإِذْ قَاتَلْتُمُ نَفْسًا فَادَارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾﴾</p>	62

			تَعْقُلُونَ ﴿٦٣﴾
265	74	63	﴿ تَمَرُّ قَسَتْ قُلُوبِكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾
سورة آل عمران			
11	79	64	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾
41	2	65	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾
80-52	8	66	﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾
52	107	67	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْضَتِ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
81	103	68	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾
141	191 - 190	69	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْيَلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾
165 - 164	18	70	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴿٧٠﴾
164	7	71	﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾
210 - 183	110	72	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾
190	159	73	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴿٧٣﴾
258	152	74	﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴿١٥٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا فِشَلْتُمْ وَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْبَبَكُمْ مَا

		تُحِبُّونَ ۖ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِتُبْتَليَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾	
262	85	﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	75
272	104	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	76
283	32	﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾	77
283	133	﴿ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	78
سورة النساء			
13	105	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴾	79
20	156	﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	80
53	157	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴾	81
65	163	﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ۚ وَعِيسَى ۚ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ﴾	82
-80-72 261	69	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ۚ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾	83
262 - 74	93	﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ۚ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ۚ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾	84
82	136	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾	85

92	134	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَظِيمِ الْعَيْظِ وَالْعَافِيَةِ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾	86
88	152	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَمْ يُفْرِقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُم ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	87
-104 -103 114 - 113	145	﴿ إِنَّ الْمُتَفَقِينَ فِي الذَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾	88
104	144	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ أُرِيدُونَ أَن يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾	89
122	146	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُم لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾	90
142	166	﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۗ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾	91
153	59	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْبِ الْأَمْرَ مِنكُمْ ۗ ﴾	92
173	1	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ۗ ﴾	93
191	142	﴿ إِنَّ الْمُتَفَقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ۖ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	94
سورة المائدة			
74	77	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾	95
110 - 74	51	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ۗ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۗ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾	96
75	82	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۗ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ ۗ ذَلِكَ بِأَن مِّنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾	97
96	13	﴿ فَمَا نَقِضِهِمْ مِّثْقَلَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾	98
170 - 134	1	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾	99
244 - 171	12	﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِن أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ	100

		الرَّكُوعَ وَءَامَنَتْكُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠١﴾	
176	54	﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾	101
176	55	﴿ إِنَّمَا وَدَّعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾	102
193	20	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا أَدْكُمْ أَدْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مِمَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٣﴾	103
194	66	﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾	104
222 - 170	24 - 21	﴿ يَتَقَوَّمُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا يَلْمُوسَىٰ إِنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ عَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالُوا يَلْمُوسَىٰ إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَالِعُونَ ﴿١٠٩﴾	105
234	70	﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَأْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿١١٠﴾	106
236	60	﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَعَذَابٍ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾	107
249	78	﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾	108
257	102 - 101	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِيَ لَكُمْ تَسْأَلُوكَ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْفُرْقَانُ بُدِيَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١١٣﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١١٤﴾	109

260	92	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رُسُولِكَ الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾	110
262	32	﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾	111
سورة الأنعام			
11	105	﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	112
-71-70 74-73	153	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	113
188	160	﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرَ مِثَالِهَا ﴾	114
252	110	﴿ وَنُقِلَبَ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	115
سورة الأعراف			
52	156	﴿ * وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدَيْنَا إِلَىٰ ذَٰلِكَ عَدَابِي أَصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكُفُّهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾	116
80	96	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾	117
133	102	﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾	118
135	102	﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾	119
161	189	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾	120
164	27	﴿ يَبْنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مَن حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	121
170	128	﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	122

188	137	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾	123
198	137 - 136	﴿ فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمُ فَاعْرِفْنَاهُمْ فِي الْأَيِّمِ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسَخِّعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا ﴾	124
231	96	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	125
245	171	﴿ * وَإِذْ تَقَفْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	126
248	163	﴿ وَسَأَلَهُم عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾	127
249	164	﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾	128
249	166	﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾	129
249	165	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾	130
سورة الأنفال			
258 - 74	46	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	131
85	3	﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾	132
93	23-22	﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبِكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾	133
104	73	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَعْلَوْهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾	134
105	12	﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾	135

134	58	﴿ وَمَا تَخَافَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْدِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْحَافِينَ ﴾	136
175	3	﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾	137
224	25	﴿ وَاتَّقُوا يَوْمَ لَا يُصِيبُ الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾	138
239	38	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ ﴾	139
سورة التوبة			
21	103	﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	140
53	21	﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلْتُمْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴾	141
81	61	﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾	142
106 - 94	73	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۗ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾	143
130	125 - 124	﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾	144
171 - 134	111	﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَأَسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴾	145
178	103	﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	146
196	105	﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾	147
سورة يونس			
49	34	﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ۗ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾	148
65	106	﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۚ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾	149

77	57	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْوِينُكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	150
140	59	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْرًا عَلَى اللَّهِ تَفَتَّرُونَ ﴾	151
172	32	﴿ فَذَالِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾	152
196	61	﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا أَلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾	153
223	23	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ	154
240	62	﴿ إِلَّا ابْنَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	155
سورة هود			
64	105	﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾	156
129	13	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ قَاتِلُوا عَشْرَ سُورٍ مِّثْلَهُ مَفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	157
152	14	﴿ قَالِمٌ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَإِن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴾	158
197	88	﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾	159
سورة يوسف			
13	2	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	160
81	17	﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾	164
سورة الرعد			
133	25	﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾	165
153	34	﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾	166
157	15	﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾	167
244	20	﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾	168
سورة إبراهيم			

ج	7	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ ﴾	169
168	34	﴿ وَإِن تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾	170
175	31	﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾	171
سورة الحجر			
31-28-24	87	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾	172
57	50-49	﴿ نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّبَىٰ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾	173
61	99-97	﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّاكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾	174
158	33	﴿ قَالَ لِمَ أَكُن لِّأَسْحَدٍ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاطٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾	175
سورة النحل			
14	9	﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	176
79	128	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾	177
80	2	﴿ أَن أُنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾	178
244 - 170	91	﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾	179
200	59	﴿ وَإِذَا بَشَّرْنَا أَحَدَهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَاطِمٌ ﴿٥٩﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾	180
245	125	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ ﴾	181
سورة الإسراء			
46	110	﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَاتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾	182
49	111	﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴾	183
54	24	﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾	184

77	82	﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾	185
96	78	﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	186
121	88	﴿ قُل لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾	187
122	1	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	188
135	34	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾	189
153	108 - 107	﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾	190
266	44	﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا إِسْبِيحٌ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾	191
سورة الكهف			
57	49	﴿ وَلَا يَظَلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾	192
66	17	﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَايًا مُّرْشِدًا ﴾	193
157	50	﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾	194
سورة مريم			
53	96	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾	195
58	93	﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٦﴾ ﴾	196
58	90	﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾	197
176	59	﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾	198
سورة طه			
11	27	﴿ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾	199

186 - 58	108	﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾	200
262	7	﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾	201
سورة الأنبياء			
54	107	﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	202
67	87	﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾	203
139 - 118	104	﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾	204
170	105	﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾	205
195	28	﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ ﴾	206
سورة الحج			
81	32	﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾	207
96	46	﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾	208
105	38	﴿ * إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾	209
172	62	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾	210
209 - 198	40 - 39	﴿ أَدْنَى لِّلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوْمَعُ وَيَبِعُ وَصَلَاتٍ وَمَسْجِدٍ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	211
سورة المؤمنون			
49	28	﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَائِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾	212
سورة النور			
177	21	﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	213
سورة الفرقان			
81		﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾	214

	30		
سورة الشعراء			
176	215	﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	215
سورة النمل			
29	30	﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾	216
49	15	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	217
71	79	﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾	218
سورة القصص			
66	24	﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾	219
68	56	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾	220
92	38	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾	221
121	49	﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	222
سورة العنكبوت			
-85 -20 191 -189	45	﴿ أَتُلُّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْتِغَاءِ الصَّلَاةِ تَتَّخِذُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَالْمَنَكْرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾	223
65	65	﴿ فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾	224
250	40	﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	225
سورة الروم			
118	27	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾	226
135	41	﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَنَهُمْ بِرَجْعَتِمْ ﴾	227
سورة لقمان			

210 - 70	32	﴿ تُوِّرْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِي اللَّهَ بِذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾	241
104	8	﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾	242
164	6	﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾	243
177	18	﴿ وَمَنْ تَرَكَ فَإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾	244
262	38	﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾	245
سورة يس			
145	82	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	246
263	35 - 33	﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾	247
سورة الصافات			
123	112	﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾	248
196	26-24	﴿ وَقَفَّوهُمْ لِيَوْمٍ مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَتَّصِرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْمِعُونَ ﴾	249
سورة ص			
86-19-18	29	﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾	250
158	76	﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾	251
سورة الزمر			
-54-53	35	﴿ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	252
59	2	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾	253

59	65	﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	254
59	14	﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾	255
60	11	﴿ قُلِ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾	256
189	10	﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	257
246	55	﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾	258
سورة غافر			
57	16	﴿ لَمِنَ الْمَلَائِكَةِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾	259
65	60	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾	260
سورة فصلت			
77	44	﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ؕ أَعَجَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبَيِّنَاتٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾	261
118	39	﴿ وَمِن آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	262
184	33	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	263
240	30	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾	264
سورة الشورى			
67	51	﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾	265
140	10	﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَانَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِبِينَ ﴾	266
189	43	﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنَ عِزِّ الْأُمُورِ ﴾	267
سورة الأحقاف			

207	35	﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾	268
سورة محمد			
55	23-22	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾	269
69	4	﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾	270
78	17	﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾	271
81	24	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾	272
196	38	﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾	273
سورة الفتح			
55	29	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴿٢٩﴾	274
80	26	﴿ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾	275
سورة الحجرات			
83	14	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَالْكِفَى قَوْلُوا أَسَامْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾	276
سورة ق			
91	33	﴿ مَنْ حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾	277
سورة الذاريات			
-58-20 117 -62	56	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	278
57	6	﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفِعُوا ﴾	279
سورة الطور			
162	23	﴿ يَنْتَزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴾	280
سورة الرحمن			
157	6	﴿ وَاللَّجْمُ وَالشَّجْرُ بِسُجْدَانِ ﴾	281
سورة الواقعة			
162	26	﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا وَلَا تَأْتِيمًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا ﴾	282
سورة الحديد			

269 - 186	16	﴿الَّذِينَ يَأْتُونَكَ بِاللَّيْلِ عَامُونَ أَمْثُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ ﴿	283
سورة الحشر			
237 - 169	14	﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي فُرَى مُخْتَصِنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿	284
سورة الصف			
96	5	﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿	285
109	11-10	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تَجَرَّةٍ تُحِيقُكُمْ مِنْ عَذَابِ الْبَئِيسِ ﴿١٠﴾ قَوْمُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعَامُونَ ﴿	286
182	3-2	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿	287
سورة الجمعة			
190	11	﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴿	288
206	6 - 5	﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يَسْسُ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿	289
سورة المنافقون			
103	4	﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿	290
سورة الطلاق			
66	3-2	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿	291
66	3	﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿	292
سورة التحريم			

166	8	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾	293
سورة الملك			
84	12	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾	294
264 - 263	13	﴿ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾	295
سورة الجن			
65	18	﴿ وَإِنَّ أَلْأَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾	296
83	27	﴿ عَلَيْهِ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾	297
231	16	﴿ وَالْوَالِدُ اسْتَقْلَمُوا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴾	298
سورة النبأ			
58	38	﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَن أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾	299
162	35	﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴾	300
سورة النازعات			
126	32 - 25	﴿ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٥٠﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٥١﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٥٢﴾ وَعِنَبًا ﴿٥٣﴾ وَقَضْبًا ﴿٥٤﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٥٥﴾ وَحَدَائِقَ غُلَبًا ﴿٥٦﴾ وَفَلَكَهًا وَآبَاًا ﴿٥٧﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَنعَمُكُمْ ﴿٥٩﴾	301
سورة الانقطار			
57	19	﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ سَعِيًّا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾	302
سورة المطففين			
98	13	﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	303
سورة الغاشية			
97-67	22-17	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٠﴾ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿١٢﴾	304
سورة البينة			
-12	5	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾	305

سورة الزلزلة		
57	8-7	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾
سورة العصر		
188 - 109	3-1	﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾
سورة الماعون		
177 - 84	5	﴿ قَوْلٍ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	طرف الحديث	ورود الحديث	الحكم عليه	الصفحة
1	تعاهدوا هذا القرآن والذي نفسي بيده لهو أشد ثقلنا	مسلم	صحيح	10
2	لَا يَفْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكُ	أحمد بن حنبل	صحيح	11
3	لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان	مسلم	صحيح	21
4	لا تقبل صلاة العبد اذا لم يقرأ بفاتحة الكتاب	البخاري	صحيح	24
5	لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَفْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ	البخاري	صحيح	24
6	كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ	البخاري	صحيح	24
7	فِي كُلِّ صَلَاةٍ يُفْرَأُ فَمَا أَسْمَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْمَعْنَاكُمْ	البخاري	صحيح	25
8	أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ	الترمذي	صحيح	25
9	كَانَ يُفْرَأُ بِأَمِّ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ مَعَهَا فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ	البخاري	صحيح	25
10	فَسَمْتُ الصَّلَاةَ بِنَبِيِّ وَبَيْنَ عِبْدِي شَطْرَيْنِ	ابن ماجه	صحيح	25
11	أَنْ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَرَوْا بِمَاءٍ فِيهِمْ لَدِيغًا	البخاري	صحيح	26
12	أَعْطَيْتِ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ بَيْتِ كَنْزٍ	أحمد بن حنبل	صحيح لغيره	27
13	كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ	البخاري	صحيح	27
14	بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيصًا مِنْ فَوْقِهِ	مسلم	صحيح	28
15	هِيَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ السَّبْعُ الْمَثَانِي	البخاري	صحيح	28
16	كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ	البخاري	صحيح	31
17	لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَفْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ	البخاري	صحيح	31
18	كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ	البخاري	صحيح	32
19	الْآيَاتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ	مسلم	صحيح	35
20	لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ	مسلم	صحيح	41-35
21	إِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا وَسَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ	الحاكم	صحيح	36
22	اقْرَأُوا الْقُرْآنَ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ	مسلم	صحيح	36
23	إِنْ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ	الترمذي	حسن	36
24	مَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ	البخاري	صحيح	38
25	اصْرُخْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ يَا أَهْلَ السَّمُرَةِ	مسلم	صحيح	38
26	اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ	مسلم	صحيح	39
27	مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ	البخاري	صحيح	39
28	بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْنًا وَهُمْ ذُو عَدَدٍ فَاسْتَفْرَأَهُمْ	الترمذي	حسن	40
29	أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْأَعْظَمَ مَعَكَ؟	الحاكم	صحيح	40
30	لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى بَدْرَةِ الْمُنتَهَى	مسلم	صحيح	40

31	تَبَيَّنَمَا جَبْرِيْلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا	مسلم	صحيح	40
32	اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور...	ابن ماجة	حسن	41
33	اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ	الترمذي	حسن صحيح	41
34	أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ كَانَ قَرَأً...	مسند أحمد	صحيح	41
35	لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش...	البخاري	صحيح	47
36	ما أنعم الله على عبده بنعمة فقال....	ابن ماجة	حسن	47
37	أَفْضَلُ الدِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ..	ابن ماجة	حسن	48
38	مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ عِنْدَ نِعْمَةٍ فَقَالَ	ابن ماجة	صحيح	48
39	الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلُّ الْمِيزَانَ	مسلم	صحيح	48
40	التَّائِبِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ...	البيهقي	حسن	48
41	أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَالَ يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ..	ابن ماجة	ضعيف	48
42	يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَانَ النَّبِيُّ	البخاري	صحيح	49
43	مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي سُبْحَانَ اللَّهِ	مسلم	صحيح	50
44	لَأَنَّ أَقْوَلَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	مسلم	صحيح	51
45	الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات	ابن ماجة	حسن	51
46	لِلَّهِ مِائَةٌ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْإِنْسِ..	مسلم	صحيح	52
47	الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ	أحمد بن حنبل	صحيح	52
48	لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ	مسلم	صحيح	53
49	مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ	الترمذي	صحيح	53
50	لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ	مسلم	صحيح	54
51	اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي	مسلم	صحيح	54
52	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْهُ بِضَالَّتِهِ	ابن ماجة	صحيح	55
53	إِنَّ الرَّحِمَ شَجَنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ	البخاري	صحيح	55
54	اللَّهُمَّ مَنْ رَفَقَ بِأُمَّتِي فَارْفُقْ بِهِ، وَمَنْ شَقَّ	أحمد بن حنبل	جيد	55
55	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ	البخاري	صحيح	59
56	أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ	الترمذي	صحيح	60
57	ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء	الترمذي	صحيح	66
58	إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ	مسلم	صحيح	68
59	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى	أحمد بن حنبل	صحيح	70
60	حَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلٌ	أحمد بن حنبل	صحيح	71
61	مَنْ اجْتَهَدَ وَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَمَنْ	البخاري	صحيح	71
62	لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشيء لا يحبه إلا لله	البخاري	صحيح	72
63	كُنَّا إِذَا احْمَرَّ النَّبَأُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	مسلم	صحيح	79

64	قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال	ابن ماجة	صحيح	79
65	المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به: كالأترجة	البخاري	صحيح	81
66	خيركم من تعلم القرآن وعلمه	البخاري	صحيح	81
67	كان النبي ﷺ باراً يوماً للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان	البخاري	صحيح	83
68	ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي	مسلم	صحيح	84
69	إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا	البخاري	صحيح	86
70	من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت	الترمذي	صحيح	92
71	لا والله ما على أرحمهم يخشون ، ولا يسأفون سؤفاً	الحاكم	صحيح	96
72	والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين	البخاري	صحيح	97
73	آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب	البخاري	صحيح	101
74	أخاف أن يتحدث الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه	البخاري	صحيح	101
75	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا	البخاري	صحيح	101
76	آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف	مسلم	صحيح	102
77	إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي: منافق عليم اللسان	ابن حبان	صحيح	110
78	رفع ﷺ يديه، وقال: "اللهم أغثنا	البخاري	صحيح	119
79	بشروا ولا تنفروا ، ويبشروا ولا تعسروا	مسلم	صحيح	123
80	جنتان من فضة أنيتهما وما فيهما؛ وجنتان	البخاري	صحيح	124
81	إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب	مسلم	صحيح	124
82	إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده	ابن حبان	صحيح	129
83	لا يدخل الجنة قاطع	أحمد بن حنبل	صحيح	134
84	ويل للعرب من شر قد اقترب	مسلم	صحيح	135
85	بيدي فقال: خلق الله النرية ﷺ أخذ رسول الله ِ	مسلم	صحيح	140
86	أن تحسى الله كأنك تراه ، فإنك	مسلم	صحيح	142
89	الأئمة من قرئش	أحمد بن حنبل	صحيح	145
90	يا محمد ارفع رأسك سل تعطى واشفع تشفع	مسلم	صحيح	152
91	فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع	الحاكم	صحيح	153
92	: من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو يعلمه كان	الحاكم	حسن	153
93	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة	ابن ماجة	صحيح	154
94	رجلان أحدهما عابد والآخر عالم ﷺ ذكر لرسول الله	الترمذي	صحيح	154
95	من قال علي ما لم أقل، فليتبوأ مقعده من النار	أحمد بن حنبل	صحيح	155
96	إن الكبر بطر الحق وغمط الناس	مسلم	صحيح	155
97	لا ينبغي أن يسجد لأحد إلا لله رب العالمين	الحاكم	صحيح	157
98	لا يدخل الجنة من [كان] في قلبه مثقال حبة من خردل من	مسلم	صحيح	158

			كَبِيرٌ	
159	حسن	البيهقي	دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ	99
159	صحيح	مسلم	لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ	100
174	صحيح	البخاري	واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع أعوج	101
174	صحيح	مسلم	إن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه	102
161	صحيح	أحمد بن حنبل	كَمْ كَانَ الْمُرْسَلُونَ؟ قَالَ: ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا	103
161	صحيح	مسلم	إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم	104
165	صحيح	البخاري	يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ	105
165	صحيح	البخاري	لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ	106
166	حسن لغيره	ابن حبان	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِغْ	107
166	صحيح	البخاري	لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا	108
170	صحيح	الترمذي	أنا نوفي سبعين أمة نحن أكرمها، وأفضلها عند الله عز وجل	109
172	صحيح	مسلم	القرآن حجة لك أو عليك	110
176	صحيح	مسلم	صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة	111
176	صحيح	مسلم	لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمَرَ رَجُلًا يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُخَالَفَ	112
177	صحيح	البخاري	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا	113
177	صحيح	البخاري	لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلُ عَلَى الْمُتَأَفِّقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ	114
182	صحيح	مسلم	يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ	115
182	صحيح	الألباني	مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج	116
183	صحيح	ابن حبان	تقرض شفاهم بمقارض من نار فسأل	117
187	صحيح	الألباني	(صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر	118
187	جيد	الدارمي	الصوم نصف الصبر	119
189	صحيح	البخاري	الصَّبِيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ	120
191	صحيح	أحمد بن حنبل	جعلت قره عيني في الصلاة	121
194	حسن	ابن ماجه	أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها، وأكرمها على الله	122
203	صحيح	مسلم	ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا	123
205	صحيح	مسلم	لِلَّهِ أَشَدُّ فَرْحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ إِذَا اسْتَيْقَظَ عَلَى بَعِيرِهِ	124
211	حسن	ابن ماجه	مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَعَزُّ	125
213	صحيح	البخاري	إن لنفسك عليك حقا	126
214	صحيح	مسلم	إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا	127
219	صحيح	مسلم	الْكَمَاءُ مِنَ الْأَمْنِ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ	128
220	صحيح	مسلم	لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم	129

221	صحيح	مسلم	الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه	130
221	صحيح	البخاري	المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلَمُهُ	131
222	صحيح	مسلم	"الطَّاعُونَ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ	132
226	صحيح	مسلم	إلى المصلى، فاستسقى، وحول رداءه <small>صلى الله عليه وسلم</small> خرج رسول الله	133
227	صحيح	البخاري	يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ <small>صلى الله عليه وسلم</small> بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ	134
249	صحيح	البخاري	فَلَمْ نَجِدْ مَاءً فَأَتَيْتُ بِتَوْرٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ <small>صلى الله عليه وسلم</small> كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ	135
231	حسن	ابن ماجه	يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ حَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ	136
234	حسن	أحمد بن حنبل	أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً	137
246	صحيح	النسائي	إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ رَجُلًا فَاسِقًا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يَرْعُو	138
247	صحيح	مالك	إِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ فُقَهَاؤُهُ، قَلِيلٌ قُرْأُوهُ،	139
249	حسن	ابن ماجه	: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ	140
249	صحيح	ابن ماجه	إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ لَا يُعَيِّرُونَهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْصَمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ	141
257	صحيح	مسلم	وَيُكْرَهُ لَكُمْ قِيلٌ وَقَالَ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ	142
258	صحيح	مسلم	يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا	143
258	صحيح	البخاري	إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين	144
260	صحيح	مسلم	إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً	145
260	صحيح	مسلم	ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، أمرتكم به، فأتوا منه	146
262	صحيح	البخاري	أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ،	147
262	صحيح	البخاري	إِذَا تَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ	148
263	صحيح	الحاكم	لو أن رجلاً عمل عملاً في صخرة صماء	149
264	صحيح	ابن ماجه	إن الله لا ينظر إلى صوركم وأحوالكم بل إلى قلوبكم وأعمالكم	150
267	صحيح	مسلم	إِنَّ أَخْذًا جَبَلٌ يُجِبُّنَا وَنُحْبُهُ	151
267	صحيح	البخاري	يَخْطُبُ إِلَىٰ جِدْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ <small>صلى الله عليه وسلم</small> كَانَ النَّبِيُّ	152
267	صحيح	مسلم	"إِنِّي لِأَعْرِفُ حَجْرًا بِمِغَّةٍ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ	153
269	صحيح	البخاري	ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة	154
270	صحيح	مسلم	لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ	155

فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم	م
15	أبو حامد الغزالي	1
15	العز بن عبد السلام	2
16	الشاطبي	3
16	علال الفاسي	4
16	أحمد الريسوني	5
20 - 19	ابن القيم	6
22	سعيد بن جبير	7
26	عفيف بن سالم	8
37	خالد ابن معدان الشامي	9
70	النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ	10
78	إبراهيم بن أدهم	11
85	خُرَيْمِ بْنِ قَاتِكِ	12
182	الشعبي	13
188	يَحْيَى بْنُ الْيَمَانِ	14
226	عبد الله بن زيد المازني	15
252	عوف بن عبد الله	16
256	عَبِيدَةَ السُّلَمَانِيِّ	17